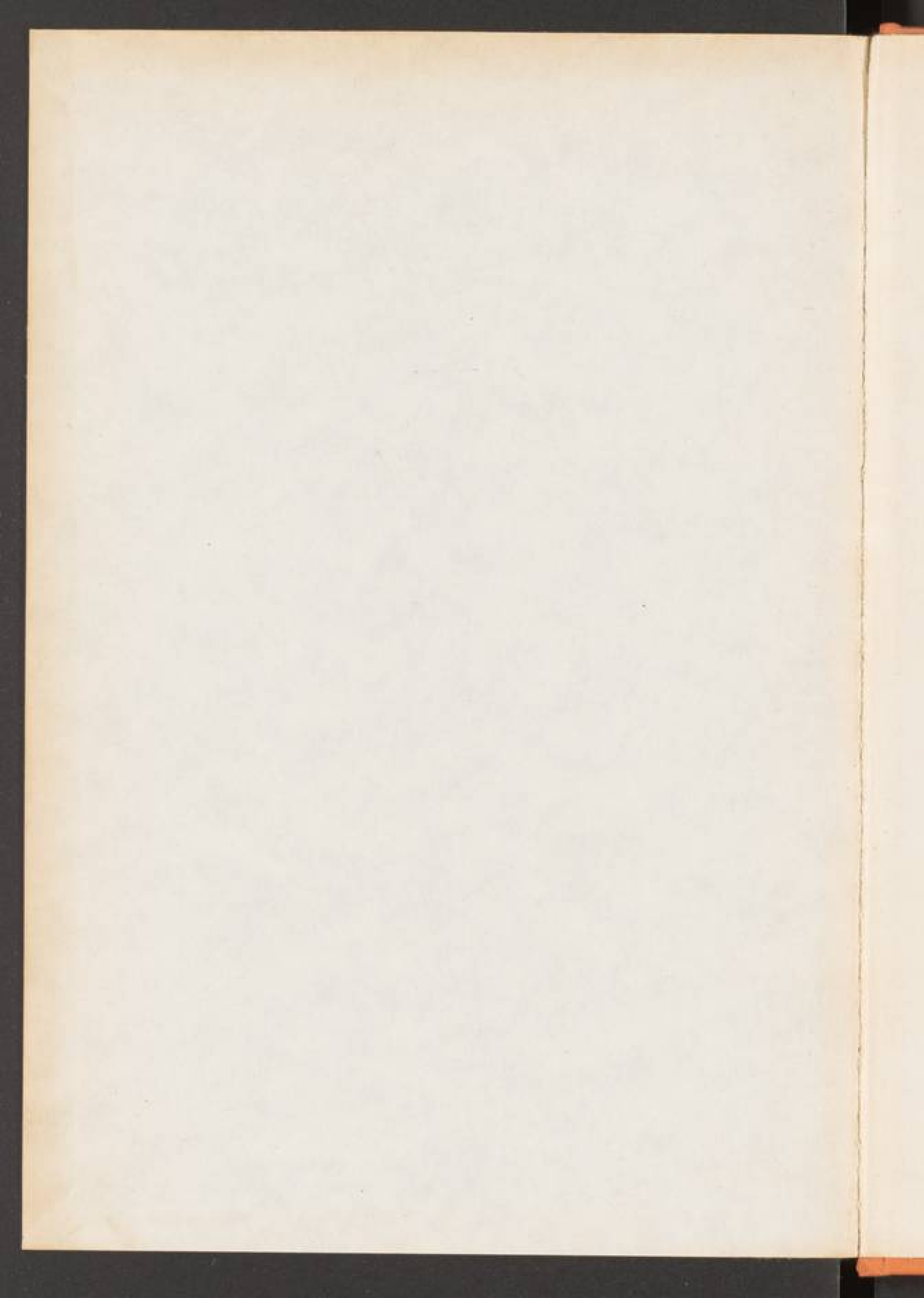
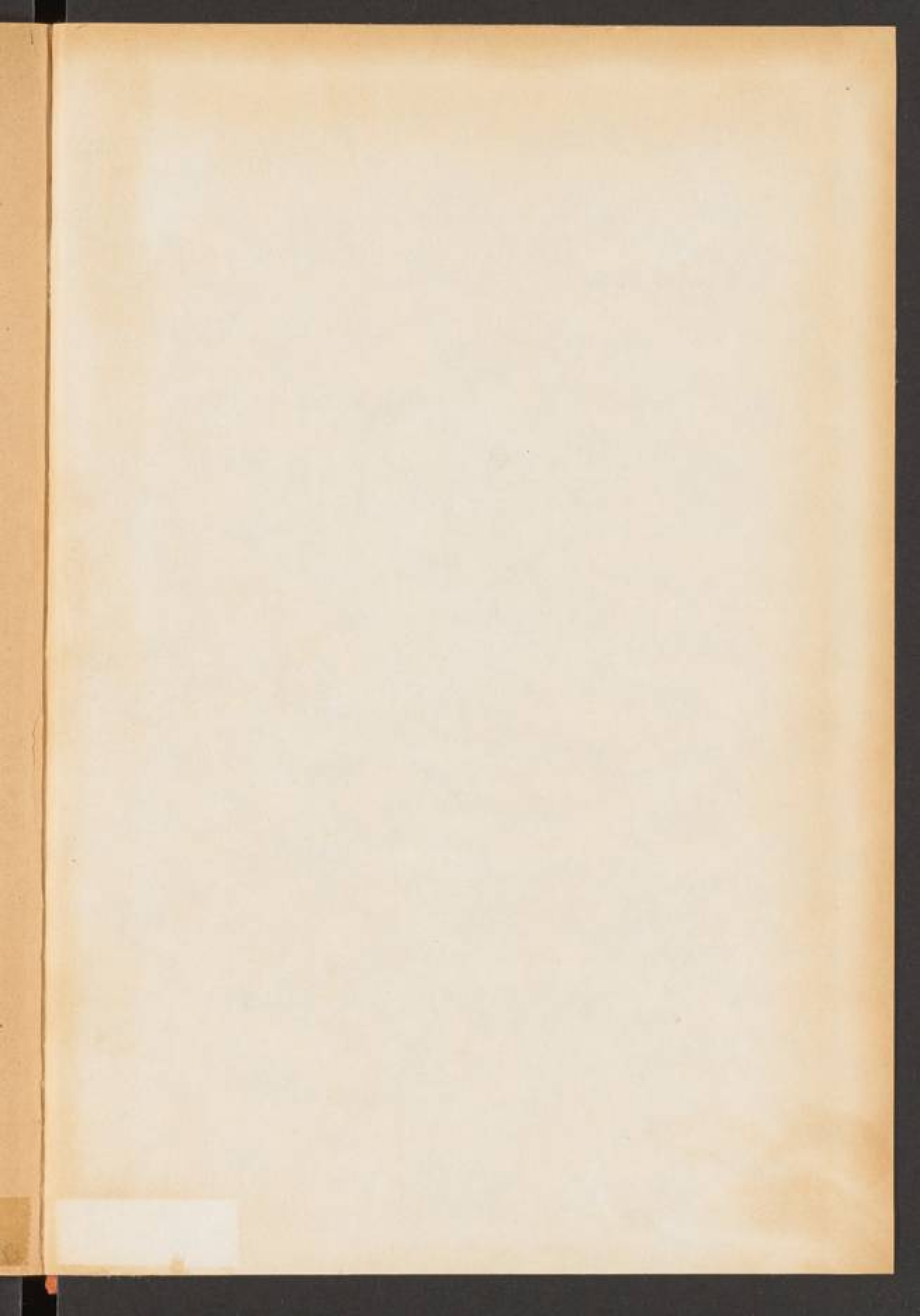


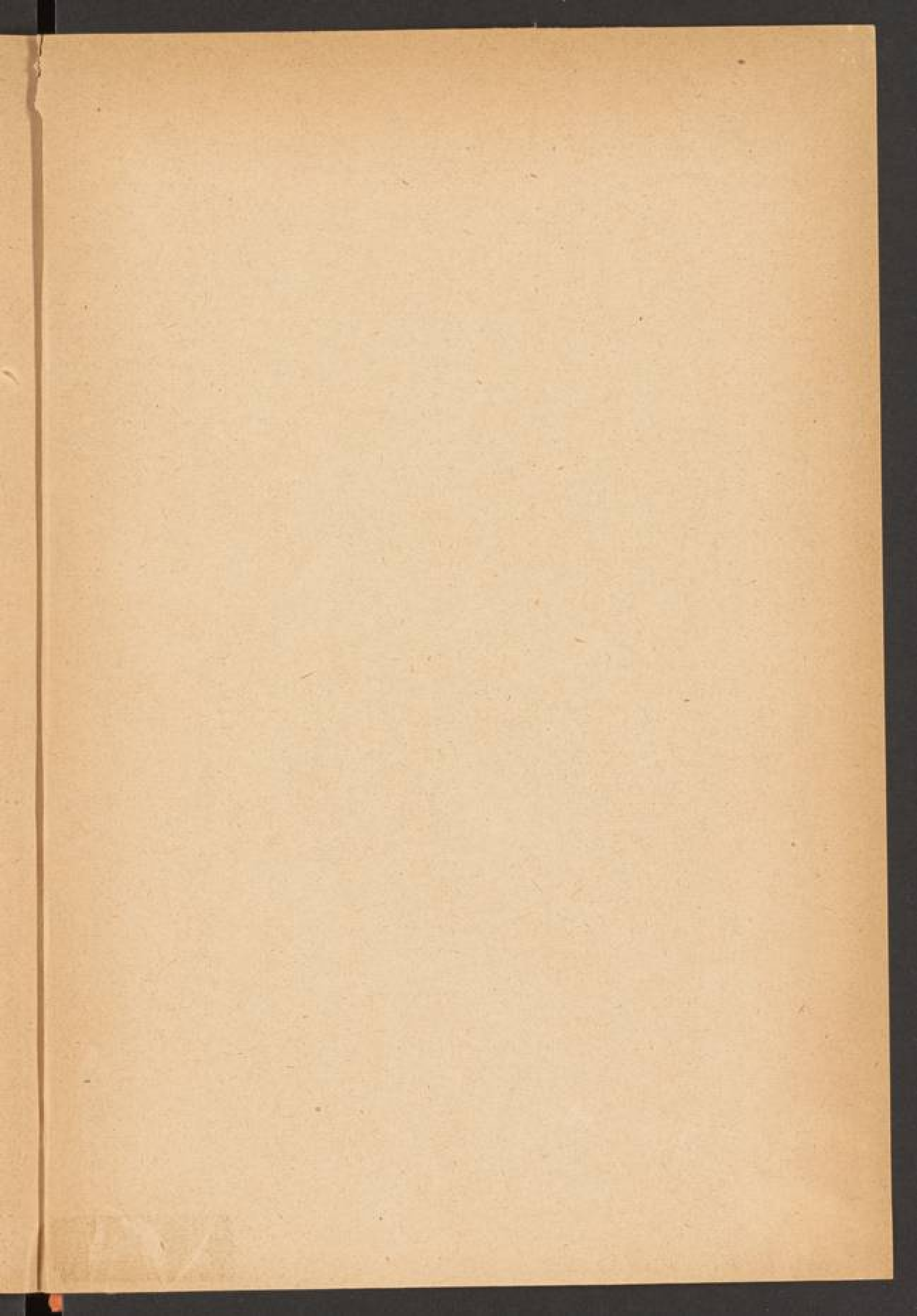

BOBST LIBRARY
3 1142 02842 5463


NEW YORK UNIVERSITY
MDCCCXXXI
NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES





front



أنيس فريحة
الجامعة الأميركية في بيروت

حضارة في طريق الزوال:

القرية اللبنانية

١٩٥٧

جامعة بيروت الأميركية

منشورات كلية العلوم والآداب



سلسلة العلوم الشرقية

الحلقة الثامنة والعشرون

الاهداء

الى صديق وزميل كريم ؛

الدكتور نبيه امين فارس

تقديراً لجهوده في حقل الدراسات العربية .

مقدمة

نحن الذين رأينا النور في القرية اللبنانية نحِنّ ابداً الى مرابع الطفولة . فان لها في اعماق نفوسنا ذكريات حلوة : العين ودرب العين ، الكروم ودرب الكروم ، العودة ومراح العودة ، القلع ومنابت الشيح والوزال ، العلية والسطيحة المُسوَّرة بتنكات عتيقة صدئة فيها الحبق والقرنفل والفل وتفاحة فيها عناقيد من التفاح ، والسهرات البريئة تحت العريشة . وانّى ذهبنا وانّى نزلنا فان صور القرية تظل عالقة في مؤخرة الدماغ . وليس اشهى عندنا من ان نعود الى القرية فندخل العلية العتِمة الدَخِنة التي ولدنا فيها ، وان نمشي في الساحة التي لعبنا فيها ، وان نمرّ في الازقة والمعابر التي اختبأنا فيها .

ولكن حضارة القرية اللبنانية ، قرية طفولتنا ، في طريق الزوال . فقد غزت الحضارة الغربية اكثر القرى اللبنانية حتى النائية منها . وقد غزتها بعنف وقوة حتى ان صغار القرية اصبحوا لا يعرفون قرية آبائهم . فالبيت قد تغير : اثاثه وادواته ، والدكان في الساحة قد زال وقام مكانه مخزن حديث ، والعرس لم يعد ذلك العرس ، والمأتم لم يعد ذلك المأتم ، والفرن والتنور والصاج في طريق الزوال ، فان في قرى كثيرة فرناً عصرياً حديث البناء يموّن القرية بالخبز الطازج يومياً ، والعين ، العين حيث كان الناس يلتقون للحديث والشكوى وللعتاب وللخصام قد هجرت ، فان ادارة اسالة الماء في قرى عديدة تجهّز البيوت من نبع بعيد يصبّ في مطبخ البيت القرويّ .

ولكن في لبنان قرى لا تزال تحتفظ بطابعها القديم . فان معايشها ومكاسبها وبيوتها وعاداتها واعراسها ومآتمها واعيادها وسجايا اهلها لم تتغيّر ولم تتبدّل كلياً . والى جانب هذه القرى قرى اخرى تبدّلت معالمها لقربها من المدن او الساحل او لوقوعها على طرق التجارة او السياحة ،

ولكنها لا تزال ايضاً تحتفظ هنا وهناك بالطابع القروي اللبناني القديم . فان ضيعة بحمدون ، رغم مجاورتها لمحطة بحمدون (واسمها القديم تلتيتة) التي بعدت عن حياة القرية اللبنانية ، لا تزال ضيعة لبنانية في عاداتها واعيادها ومواسمها وفي مأكلها ومشربها وملبسها . ولكن السؤال الذي يتبادر الى اذهان طلاب الاجتماع والتاريخ هو : الى متى ستظلّ القرية اللبنانية محتفظة بطابعها الخاص ؟

ان الفولكلور[1] اللبناني غنيّ بمادته ، فيه متعة وطرافة ، وفيه كثير من نواحي الخير والجمال . وانها لجريمة علينا ، نحن الذين عشنا هذا الفولكلور ، ان نتقاعس عن جمعه وتدوينه للاجيال الطالعة كجزء من تاريخنا الاجتماعي الروحي . ان الحياة الاجتماعية تتطوّر بسرعة واساليب العيش تتبدّل بسرعة واذا لم يتصدّ لتدوينه احد الناس فانه يخشى عليه من النسيان . واذا مات شيوخ القرية وعجائزها قُضي على المصدر الاوّلي لهذا التاريخ . فان القرية لا تسجّل اخبارها ، ولا تحفل بتاريخها . تاريخها تقليد شفهي يتناقلونه جيلا عن جيل فاذا مات الجيل الحالي انطمست معالم هـذا التاريخ . ولما كنا من ابناء القرية ، وبما اننا من الذين يحبّون القرية اللبنانية ، وبما ان صلتنا بالقرية لم تنفصم بعد ، وبما اننا نميل الى الدراسات الفولكلورية ، اقدمنا على تدوين ما عشناه في قرية طفولتنا[2] وعلى تسجيل ما اخبرنا به شيوخ قريتنا وعجائزها . وهي محاولة محتشمة لا ندّعي فيها اننا جمعنا الفولكلور اللبناني بكليته . انما اردنا ان نثير الموضوع آملين ان يسدّ النقص من يُعنى بهذه الدراسات ومن هو احسن منا اعداداً واستعداداً .

لم نتناول في تدويننا الفولكلور اللبناني تلك النواحي الاجتماعية والدينية التي لا تزال حية شائعة بين الناس والتي لا يُخشى عليها من الزوال في القريب العاجل . وكذلك لم نتناول الغناء والالعاب التي لا تزال حية شائعة بين الناس . فان الميجانا وعتابا والعاب الورق والطابة

---

(١) folklore وقد خصصنا الفصل الاول لبحث هذا المصطلح .
(٢) راس المتن .

وغيرها كثير ستبقى . ونلاحظ استعداداً ونشاطاً من قبل بعض المؤسسات للاخذ بها ووضعها على مستوى ارفع فنياً وجمالياً . هذه وغيرها من الامور التي نشعر انها باقية وستبقى قد اهملناها من هذا المدوّن . غير اننا حرصنا ان ندوّن ما يخشى عليه من الزوال . مثال على ذلك اننا ، عند كلامنا عن اعياد القرية ، ذكرنا ما لصق ببعض الاعياد الكنسية من عادات وطقوس ومعتقدات خارجة عن نطاق الكنيسة وما هو في طريقه الى الزوال . فان الكنيسة الارثوذكسية مثلاً تحتفل بذكرى اقامة العازر من الموت (سبت العازر) واما العامة فتقيم في العيد شبه تمثيلية ينشدون فيها قصة العازر شعراً . هذه التمثيلية لا تقول بها الكنيسة انما هي من طقوس العامة . هذه وشبيهاتها حريّة بالتدوين .

وقد نُسأل في مدوّن كهذا عن المصادر التي استقينا منها معلوماتنا . فاننا قد اعتدنا في عصر العلم الدقيق ان نحرص على ثقة المصدر وصحة السَّند . اما الذين قد اعتادوا ان يكون المصدر كلمة مدوّنة في سجلّ او وثيقة فقد لا تروق لهم المصادر التي اعتمدناها : معرفتنا الشخصية للقرية اللبنانية ، وشيوخ القرية وعجائزها .

ولدت في قرية نائية احتفظت بالطابع اللبناني القديم – راس المتن . ونشأت في بيت فلاح عتيق ، وعشت في القرية الى ان شببت ، وقمت باعمال يقومون بها في القرية ، ولعبت العابها ، وعيّدت اعيادها ، وسهرت سهراتها امام الموقد وعلى السطيحة ، فاصبح ما خبرته وسمعته وشعرت به جزءاً من حياتي الروحية والعقلية .

اما ما سمعته من الشيوخ والعجائز فاكثره صحيح ، ولكن زيادة في التأكيد كنت اعرض معلوماتي على اكثر من رجل ، وكنت اقابل وكنت اقارن وكنت اغربل . ومن الطبيعي ان يكون هنالك تباين في الرواية واختلاف في الوصف والتعليل . ومن الطبيعي ان يكون هنالك فروقات كثيرة بين قرية واخرى ، وبين طائفة واخرى ، غير اننا حرصنا ان ندوّن ما نظنه مشتركاً عاماً او ما يكاد يكون مشتركاً عاماً بين سكان لبنان القدماء : النصارى والدروز .

وقد يثير احد القرّاء مسألة انتقاء القرية التي جعلناها محور اهتمامنا . وهي مسألة على كثير من الخطورة نسبة لاختلاف المناطق اللبنانيـة الجغرافية ونسبة لتباين السكان دينياً . فان ما يصدق قوله في قرية عند الشاطىء او بالقرب منه قـد لا يصدق في قرية نائية في جرود صنين ، وما يقال عن الدروز في بعض الامور لا ينطبق على النصارى ، وما يقال عن الموارنة لا يصدق في الشيعة الذين يقطنون لبنان القديم (قبل ان تضاف اليه مناطق لم تكن زمن الاتراك من لبنان) .

ان درساً علمياً شاملاً للفولكلور اللبناني يجب ان يكون مبنياً على تقسيمات مختلفة : جغرافية ودينيـة . فتؤخذ قرى ساحلية وقرى من الوسوط (ويعنون بالوسوط الاماكن التي يتراوح علوها بين ٦٠٠ – ٨٠٠ متر) وقرى اخرى من مناطق جبلية عالية وتدرس دراسة مسهبة شاملة . وكذلك يحسن بجامع الفولكلور اللبناني ان يأخذ السكان في اربع فئـات : الموارنة والروم الارثوذكس والدروز والمتاولة (الشيعة) فيدرس المشترك ويدوّن ما يختلفون فيه .

ولكنّ دراستنا اكثر احتشاماً من ان تتناول لبنان جغرافياً وطائفياً . كان غرضنا في الدرجة الاولى اثارة الموضوع وتبيان اهميته الاجتماعية آملين ان تؤدي اثارة الموضوع الى ترغيب طلاب الاجتماع للمزيد من البحث والجمع على اسس ادقّ . اما نحن فقد اتخذنا طريقاً وسطاً :

اولاً – لم نأخذ مدن لبنان بعين الاعتبار لان مدن لبنان الساحلية لم تك يومـاً من لبنان القديم : لبنان الجبل والقرية . فان الفروقات الاجتماعية والاقتصادية والدينية البادية للعيان بين المدن وبين القرى الجبلية تكاد تقسم سكان لبنان الى فئتين : سكان الجبل وسكان الساحل . وقد اعتبرنا سكان لبنان – فقط في هذه الدراسة الاجتماعيـة – سكان القرية الجبلية رغم ان ازدياد عدد السكان في المدن راجع للهجرة من القرية الى المدينة . ولا يعني قولنا هذا ان ليس هنالك فولكلور لبناني في المدن اللبنانية .

ثانياً – تحاشينا قرى الاصطياف الحديثة والقريبة من الساحل اللبناني. وقولنا هذا لا يعني ان هذه القرى تخلو من جيل من الناس احتفظ بالتقليد القديم. فان في محطة بحمدون وفي بلدة عاليه وصوفر الى جانب العنصر الانساني الغريب عن القرية فئة من اللبنانيين القدماء الذين احتفظوا بالطابع القديم. ولكن ما لا شك فيه هو ان جو هذه القرى الاجتماعي والاقتصادي قد تبدّل تبدّلاً محسوساً.

ثالثاً – لم نأخذ المسلمين في هذه الدراسات فولكلورياً، لانهم في نظرنا يختلفون فولكلورياً عن سكان لبنان القديم – النصارى والدروز – اختلافاً بيّناً. لم يسكن المسلمون القرى[1] وليس في حياتهم الاجتماعية او الاقتصادية ما يشبه الحياة القروية. احتفظ المسلمون بالساحل والمدن. وان كان في بعض القرى اللبنانية افراد مسلمون مبعثرون هنا وهناك فان عادات هؤلاء لا تختلف عن عادات جيرانهم من النصارى او الدروز.

فكان علينا، بعد هذه الاعتبارات الثلاثة، ان نكتفي بقرية او قريتين تمثّلان لبنان القديم بجغرافيته وبسكانه وباجتماعياته وباقتصادياته. وقد ارتأينا ان يكون المتن، المتن الاعلى والمتن الشمالي بصورة عامة، مركز اهتمامنا. فقد وجدنا ان هذه البقعة لا تختلف كثيراً عن الشوف وعن مناطق الشمال، بل نستطيع القول ان المشترك فيه اكثر من المختلف فيه. وعلى وجه التخصيص اتخذنا بلدتنا رأس المتن – كما ذكرنا آنفاً – مركزاً لبحثنا لانه بلد يقطنه الدروز والنصارى. وهل افضل من قرية طفولة المرء مصدراً للعادات والخرافات والاساطير والتقاليد؟ وفضلاً عن كونها قرية طفولتنا فانها قرية لم تتأثر بعد بوقع الحضارة الغربية المجتاحة، بل تعيش، الى حد كبير، في لبنان القديم: لبنان الآباء والجدود.

---

(١) نبهني الاستاذ يوسف يزبك الى ان بيروت القديمة كانت «داخل السور» اما ضواحي بيروت مثل الاشرفية والمصيطبة وراس بيروت فقد كانت مزارع تعيش على «شيل القز» والزراعة كسائر القرى اللبنانية. وكان ابناء الضواحي كاللبنانيين القرويين في معايشهم وعاداتهم.

وقد نُسأل اخيراً عن الغرض من نبش الماضي وتدوينـــه ، لاسيما ونحن في فترة نتطلّع فيها الى الامام والى فوق . قد يقول قائل ما بال بعضنا ، ينظر الى الوراء والى اسفل ؟ قد تكون مبررات هـذه الدراسة غير مرضية عند بعض الناس . ولكن اعتقادنا الخالص ان في هذا الفولكلور غِنىً روحياً وجمالاً بسيطاً يستأنف الى القلب كما يستأنف الشعر والموسيقى الى القلب هو الذي حدا بنا الى جمع هـــذا التراث الذي هو في طريقه الى الزوال . هذا الفولكلور مرآة تعكس لنا روح لبنان القديم ، روح القرية . ولبنان مجموعة قرى ، فاذا اردنا فهم لبنان على حقيقته يجب ان نتفهّم روح شعبه الاصيل : اهل القرى .

وجدير بي ان ارفع خالص الشكر الى مؤسسة روكفلر الاميركية التي اتاحت لي عن طريق هيأة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية في بيروت الوقت والعون المالي اللازمين لاخراج هذه الدراسة الاولية للفولكلور اللبناني . واسدي خالص الشكر ايضاً الى ادارة الجامعة الاميركية في بيروت التي تحرص اشدّ الحرص على الحفاظ على التراث القومي والتي تحثنا نحن الاساتذة على الدرس والتأليف .

واخيراً لا بد من كلمة اعتراف بالجميل . الى الاساتذة الذين قرأوا المسودّة وعلقوا عليها واضافوا الى معلوماتي الشيء الكثير ارفع شكري وامتناني . وهم الاستاذ يوسف ابراهيم يزبك صاحب مجلة « اوراق لبنانية » والاستاذ سعيد حماده استاذ الاقتصاد التطبيقي في الجامعة الاميركية ، والسيد امين خليفة احد خريجيّ الجامعة واحد القلائل الذين عُنوا باخبار القرية وعاداتها واحوالها المعاشية . الى هؤلاء الافاضل اقرّ بالفضل .

انيس فريحة
الجامعة الاميركية في بيروت

في الاول من شهر آذار ١٩٥٧

الفصل الاول

الفولكلور اللبناني (FOLKLORE)

وضرورة جمعه

المصطلح

هذا المصطلح العلمي الشائع في جميع اللغات الاوروبية « فولكلور » من وضع عالم انكليزي اسمه وليم جون تومس. وضعه عام ١٨٤٦ ليحل محل مصطلح مبهم : « العاديات الشعبية. » واللفظة مركبة من كلمتين انكلوسكسونيتين « فولك » ومعناها الشعب والعامة و « لار » ومعناها « معارف » . ويعنون بهذا المصطلح جميع المعارف البدائية والعادات والتقاليد والسجايا والمعتقدات والاساطير والخرافات والاقاصيص والامثال والشعر العامي والالعاب والمسليات والاعياد والحفلات والمواسم التي هي خارج نطاق المعترَف به رسمياً من قبل المؤسسات الرسمية : الكنيسة ، والمعبد ، والمدرسة ، والنادي العلمي والاجتماعي ، والصحافة الادبية الرصينة ، والمجلات العلمية ، وخلافها من المؤسسات التي تُعنى بالمعارف والعلوم والفنون المنظّمة التي اشترك في خلقها اصحاب العقول والمواهب والفلاسفة والمصلحون الدينيون والمؤرخون الحاذقون .

وكنا نتمنى لو كان في معجمنا مصطلح عربي يغنينا عن اقتباس هذا المصطلح الغربي . ولكننا لا نعرف كلمة تصلح ان تكون ترجمة لهذا المصطلح العلمي الجامع وتفيد ما تفيده اللفظة الغربية . ونحن من انصار الاقتباس اذا عجز معجم اللغة عن اسعافنا . وسيرى القارىء

الكريم ، بعد ان نحدّد له معنى الفولكلور ، اننا معذورون في استعمالنا هذا المصطلح الغربي ، واننا على حق في اغناء العربية به وبامثاله من المصطلحات العلمية المحددة المعنى والاستعمال .

مادة الفولكلور

يندرج تحت هذا المصطلح « فولكلور » ظواهر روحية واجتماعية وثقافية وعقائدية عديدة متنوعة .

عندما تجلس الام الى جانب سرير طفلها لتنوّمه فتغنّي له :

يا الله يْنَام إبني يَا الله يْنام ْلاذْبَح لو الْوَزّة وْطَيْر الْحمام
يَا حْمامات لا تْخافوا عَم إضحك عَ ابني تَ يْنام

***

يَا الله يْنام إبني يَا الله يجيبه النَّوْم
يَا الله يْحِبّ الصلا يَا الله يْحِبّ الصَوْم
يَا الله يْجيبه الْعَوافي كِلّ يَوْم بْيَوْم

وعندما يخرج الاولاد الى ساحة القرية وازقتها يلعبون بالحجارة والعيدان والدُّمى العاباً لا يعرف لها بدء ، وعندما يجلس القوم شتاء حول الموقد ، او صيفاً على « السطيحة » امام العلّية فيقصّ عليهم قاصّ اخبار الجن والرَّصد والغول والمَصْهيص[1] والخوارق وظهور الاولياء ، وعندما يحدّثهم محدّث عن ابطال القرية او العشيرة وعن شجعانها ، وعندما ينقلب الحديث الى مقارعة في الاحاجي والامثال والشعر العامي ،

---

(١) الرصد في لغة العامة شخص او حيوان (حية ، حرذون ، حشرة .....) سحريّ يحرس كنزاً مخبوءاً . اذا استطاع الانسان ان يتغلب بطريقة سحرية على إبطال سحر هذا الرّصد فانه يستطيع الاستيلاء على الكنز . اما المصهيص فحيوان مفترس يعتقدون بوجوده ، وهو قريب من الغول يخيفون به الاولاد .



بيدر مهجور ... وقبو خرب ... وتينة عنيدة ...

وعندما تشحب الفتاة وتفارقها حيويتها فتقول عجوز الحي « قد خطـُوا لها » ولا يعيد لها رونقها سوى رقية من راقي الحي ، وعندما يمرض الطفل فترتعب الام فتقول لها الجدّة « عين خبيثة » اصابته او صاحب عين زرقاء واسنان « فرقا » لم يسمّ ، ولم يطلب خزي العين ، فاصنعوا له تميمة او استكتبوا له حجاباً ، وعندما تجلس الام الى ابنتها تعلمها الغزل والحياكة والرفأ والطبخ والغسل كما تعلمتها هي من امها وكما تعلمتها امّها من امها الى اجيال لا يعرف عدها غير الله ، وعندما يجتمع القرويون متعاونين على جمع الغلال : قطف العنب وجمع الشرانق وصنع الكشك وسلق البرغل وصنع الدبس وتعبئة جرار « القورما » ، وعندما يخرجون زرافات الى المزار والاديرة يوفّون النذور ويقدمون العطايا ويكفـّرون عن الخطايا فيذبحون ويأكلون ويرقصون ويعودون مطمئنين الى نفوسهم راضين عنها انها قامت بواجب ديني عظيم ، وعندما يُجلِسون العروس على دكّة فيجلونها ويغنون لها ثم يخرجون بها راكبة فرساً وبيدها خميرة لتلصقها على عتبة باب العريس ، وعندما تنطلق الحناجر بالزغردة والاهازيج والحداء والحوربة — اقول جميع هذه وغيرها كثير تندرج تحت لفظة الفولكلور .

فالفولكلور هو مجموعة العادات والمعتقدات والخرافـات واساليب العيش القروي . هو مُختَزَ اختبارات الانسانية القديمة : طبّها ، فلسفتها ، دينها ، سحرها ، فنّها ، علمها ، افراحها ، اتراحها ، مكاسبها ، اقاصيصها واساطيرها التي تحدرت الينا عبر الاجيال وبقيت وستبقى ما دام هنالك بشرية تعمل بالعاطفة وتعيش بالخيال .

الفولكلور يستأنف للقلب :

يستأنف الفولكلور للقلب ، لقلب كل انسان ، لانه حكمة طفولة الانسانية ومختزَ اختباراتها المصوغة بقالب شعري . في الفولكلور جمال لانه من صنع خيال الانسان القريب الى الطبيعة ، ولانه نتاج العاطفة

المتأججة الساذجة . جميع الناس على اختلاف طبقاتهم ، وعلى تباين رقيّهم العقلي ، يقعون تحت تأثير سحره عن وعي وعن غير وعي . فقد يكون الواحد منا عالماً في الذرة ، او طبيباً بارعاً ، او ثقة في الكيمياء ، او عالماً في الافلاك والاشعة الكونية ، ورغم هذا فانه يتطيّر من المرور تحت سلّم ، ويشعر برجفة خفيّة اذا اعترضت طريقه قطة سوداء !

يخيل الي ان في الانسان ميلاً طبيعياً خفياً يجذبه الى جو الطفولة البريئة . فكأن الرقيّ العقلي والمنطقي مغايرة للسجية الاولى . فاننا كالطفل ، نحب ان نرى في المطر « مرشّة » بيد الآلهة تروي بها الارض العطشى ، ونحب ان نرى في الريح روحاً تحركه ، وفي البندورا «البعل» بعلاً يسقيها . كاطفال يروق لنا أن نجسّم كل شيء ، وان نعزو روحاً الى كل شيء ، وعقلاً وادراكاً الى كل حي وكل جامد . فاذا تعثّرنا بحجر سببنا الحجر وشتمناه وقد نضربه ، واذا مسنا ضرّ فروح خبيثة تعمل في الخفاء على القضاء علينا . وكاطفال نحب ان نصدق ان اثنين مع اثنين خمسة لا اربعة ، فقد يسأم الرجلُ المنطقَ وقد يتعب من العقل ، فيحنُّ الى جو الطفولة والاسطورة والخرافة والشعر والخيال . ومن هنا كان استئناف الادب الى قلوب الناس كافة لان في الادب كثيراً من الفولكلور .

وهذا الفولكلور يعيش فينا رغم هزئنا بـه ، ورغم ضحكنا من سخافته ، ويستمرّ في مجتمعنا رغم محاربتنا اياه ، ويخلد في تصرّفنا وسلوكنا وعاداتنا واعيادنا وعقائدنا وسمرنا وفرحنا وغمّنا وحزننا ، لانه جزء من الحياة . ولا نتخلى عنه لانـه ينقلنا من الاجواء الثقيلة الى الاجواء العبقة الطليقة المنعتقة من ربقة العدد والكم والكيف والقياس والبرهان. يستأنف الى قلوبنا لانه اسبق في الزمن من العقل والمنطق والقياس . فيـه شيء من الانوثة الحلوة لانه في اكثره من صنع المرأة ومن ذكريات العجوز .

ما قيمة هذا التراث ؟

ينقسم الناس في كل مجتمع ، في البلدان المتقدمة والمتخلّفة على السواء، الى ثلاث فئات . الفئة الاولى طبقة الناس الدنيا ـ الدنيـــا بمعايشها ومكاسبها وعاداتها القديمة لا باخلاقها وروحها . هذه الطبقة هي الكادحة التي تشعر ان نصيبها من الحضارة القائمة نصيب من اخذ من الجمل اذنه . فهي تعيش على هامش الحضارة ، وتشعر انها حضارة غريبة عنها ، فانها لم تساهم في بنائها ولا اشتركت في صنعها . فتسير الحياة سيراً وئيداً طبق العادات القديمة والتقاليد الموروثة . الفولكلور يحدّد لهم السلوك ويقوّم الآداب . فهو نوع من الحياة او دستور لهـا . هذه الفئة لا تتساءل عن قيمة الفولكلور ولا يداخلها شكٌّ في نفعه لانـه جزء من حياتها . هو عندها كل شيء . والفئة الثانية الفئة الحائرة التي ظفرت من قشور الحضارة القائمة بنصيب اوفر ، والتي قيّض لها ان تنعم بشيء من خيرها وفيضها . ولكنها فئة لم تساهم ايضاً في بناء هذه الحضارة ، ولم تتمثلها تمام التمثُّل . موقف هـذه الفئة من كل قديم موقف الهازىء الساخر المحتقر . قد تضحك من اوهام الماضي ، وقد تتلهى باخبار الماضي ، وقد تأنس الى تقاليد الماضي ، ولكنها فئة تشعر انها ارفع من ان تأخذ بهذه الاوهام ، واعقل من ان تحفل بهذه الاباطيل . والفئة الثالثة الاقلية الخيرة النيرة التي نضجت عقولها وتثقفت ارواحها فهي تعيش في حاضرها وماضيها ومستقبلها . تدرك هذه الفئه ان كياننا الاجتماعي والثقافي مشوب بالفولكلور . تشعر هذه الاقلية الناضجة انه كان يوم لم تكن فيه حضارة ، ولا علم ، ولا فلسفة ، ولا فنون ، بل كان هناك سحر وكهانة وعرافة ورؤى وخيالات واحلام طفولة بريئة . وتشعر في الوقت ذاته ان على انقاض هذا السحر قام العلم ، وعلى بقايا الكهانة نشأت الديانات المنظمـــة ، وعلى اعقاب تلك الرؤى والخيالات ظهرت الملاحم والاشعار . للفولكلور عند هذه الفئة قيمة عظيمة وتحرص شديد

الحرص على تأليف الجمعيات لجمع هذه التقاليد والعادات والخرافات والاقاصيص وتدوينها ودرسها فان في تضاعيفها نواة تاريخ الانسان الروحي .

جمع هذا التراث :

في كل مجتمع تقليدان متعايشان جنباً الى جنب : التقليد الفني الادبي وهو مدوّن الامة الذي اشترك في تأليفه الاديب والشاعر والفيلسوف والمصلح الديني والعالم الطبيعي والمؤرخ الحاذق المدرّب على جمع الاخبار وغربلتها وتنسيقها وتمييز صحيحها من فاسدها . ويتميز هذا التقليد الادبي بالموضوعية والمنطق وحسن القياس والصنعة في الوضع والتعبير . اما التقليد الثاني فهو الشعبي او العامي الذي ساهمت في خلقه على مدى الاجيال جماعة الفلاحين والعملة والصناع والسحرة والكهنة والعرافون والقصاصون والعجائز ومفسرو الاحلام والرؤى . ويتميز هذا التقليد بالعاطفة والخيال والشعور والسذاجة والبدائية الحلوة القريبة من الطبيعة . وهناك شبه صراع عنيف بين التقليد الادبي — واداته المدرسة بمكتبتها ومختبرها ومجهرها ومرقبها ، والكنيسة بهديها وتوجيهها ، والنادي بصحيفته ، والجمعية بمجلتها — وبين التقليد الشعبي — واداته الحفاظ القديم والميل الى الرجعية والاطمئنان الى العرف والاستئناس بالموروث . ولا شك عندي في ان نتيجة الصراع محتمة رغم ما نبديه جميعاً من الحفاظ على الارث القديم ، ورغم اعجابنا بالعامي البسيط . فالقرية النائية لم تعد نائية منعزلة . فقد غزتها المدرسة والاذاعة والصحيفة والنادي والآراء الآتية من بعيد . واننا نشهد الآن جيلاً من الناس في لبنان لا يعرف شيئاً عن حياة القرية ، القرية كما نعرفها نحن المخضرمين . فيحسن بنا ، ابقاءً على هذا الارث القديم ، ان نجمع الفولكلور ان لم يكن للتاريخ فللمتعة الروحية التي ينعم بها قارىء الفولكلور .

تفسير الفولكلور :

لا ينحصر الخلاف بين علماء الفولكلور حول تفسيره وتعليله ونشأته بل يتعدى ذلك الى تبويبه او تصنيفه في جملة العلوم المنظمة . هل هو داخـل في علم الاجتماع ، او الاثنولوجيا (علم الاعراق البشرية) او الانثروبولوجيا (علم الانسان الطبيعي) او البسيكولوجيا ، او التاريخ، او الدين ؟ الواقع انه يقع ضمن نطاق هذه العلوم الاجتماعية جميعها . اما اختلافهم في تفسيره وتعليله وقيمته الاجتماعية فقد فرّقهم شيعـاً ومدارس . فمنهم (وعلى راسهم العلامة اللغوي المشهور ماكس ميلر) من يرى في الفولكلور « امراضاً لغوية » بمعنى ان اصل الخرافة او الاقصوصة او التقليد محاولة فيلولوجية مغلوطة لتفسير اسم الآلهة او لتفسير كلمة مبهمة . فتنشأ حول الآلهة اساطير واقاصيص بواعثها « فيلولوجية » . وهذه مدرسة لم يعد يأخذ برأيها احد في يومنا هذا .

وهنالك مدرسة اخرى ترى في نشأة الفولكلور محاولة بدائية ساذجة لمعرفة العلل والاسباب : لماذا تتناثر اوراق الشجرة في الخريف لتعود فتظهر في الربيع ؟ والجواب : اله يعمل للموت وآخر للحياة . وقد تجسدت هذه الفلسفة البدائية واتخذت شكل تمثيلية دينية في قصة ادونيس وعشتروت .

وهنالك مدرسة اخرى ترى في الفولكلور « خيالات » (Fantasy) تخفي حقائق تاريخية لم يتبقّ منها سوى ذكريات مشوّشة في عقل الانسان . ومدرسة اخرى ترى في الفولكلور « بقايا بربرية » (Survival of Barbarism) واخرى تنتمي الى مذاهب التحليل النفسي فترى ان اصل الفولكلور مرتبط بالحياة الجنسية ومراسيم الزواج . واخيراً هنالك المدرسة الوصفية الواقعية التي تسمي نفسها المدرسة العلمية التي تقول : قد يكون اصحاب هذه المدارس المتباينة على حق ، وقد يكونون على خطأ . من المحتمل ان يكون بعض زعمهم صواباً ومن المحتمل ان يكون ضلالاً . اما نحن ،

اتباع المدرسة الحديثة ، فاننا لا نُعنى بالدرجة الاولى بالتعليل والتفسير بل نعنى اولاً بجمع الفولكلور قبل اندثاره وبتبويبه ووصفه ودرسه بالمقابلة . هدفنا الامانة في الجمع والدقة في التدوين والوصف ونترك لعلماء الاجتماع والبسيكولوجيا والتاريخ والدين ان يفسروا وان يعللوا وان يستنتجوا وان يأوّلوا .

ونحن في مؤلفنا هذا حصرنا همنا في الجمع والوصف والتبويب . وقد تركنا التعليل الى من هم احسن منا استعداداً علمياً .

—

الفصل الثاني

الفضائل اللبنانية

قد يُخيل الى بعض الناس ان الحضارة[١] علوم ومعارف . هذه من الحضارة . وقد يتوهّم بعضهم ان الحضارة هي الآلة . الآلة ناحية من الحضارة لاسيما اذا كانت الآلة تجمّل الحياة وتزيدها بهجة ورونقاً . وقد يُظَنّ ان الحضارة صنع وبناء وعمران . هذه نواحٍ من الحضارة ولاسيما اذا كان هذا النوع من النشاط عاملاً في تدميث الحياة وفي إسباغ مسحة من الرضى والسعادة على العيش .

الحضارة في جوهرها مجموعة فضائل روحية وعقلية : الدين والاخلاق والفلسفة والعلم والعدل والاحسان والذوق والفن والدماثة والمعاملة والعادات الفاضلة . فاذا كان جوهر الحضارة فضائل فان في القرية اللبنانية قسطاً وافراً من الحضارة الخيّرة . ولكنها حضارة في طريق الزوال . وعندما نسمع آباءنا يتحسرون على الماضي ، وعندما يذكرون القديم بالخير فانما يتحسرون على تلك الفضائل ويتذكرون ذلك العيش الهانيء .

واذا نحن افردنا فصلاً في هذا المؤلف لذكر الفضائل اللبنانية فاننا لا نقصد الى المدح والمباهاة . كلا انما نحن بصدد تدوين واقع الحياة القروية كما كنا نعهدها في مطلع القرن العشرين . وعند ذكرنا هذه الفضائل لا ندّعي انها فضائل يتصف بها كل قروي لبناني . اللبنانيون

---

(١) رغم ان بعض الكتاب المحدثين اخذوا يفرّقون بين « حضارة » « وثقافة » على اساس ان الحضارة تقابل لفظة civilization وثقافة culture فانني اوثر اطلاق لفظة الحضارة على الناحية الروحية من المدنية . وذلك لانني اشعر ان عامة الناس من العرب يقرنون لفظة ثقافة ومثقف بمعنى التعلم والمتعلم اي الذي دخل مدرسة . التعلم من الحضارة ولكنه ليس الحضارة .

بشر ، فيهم الخير وفيهم الشر ، فيهم الكرم وفيهم الحرص ، فيهم النبل وفيهم الحطة ، فيهم التقوى وفيهم الكفر . وسنأتي في هذا المؤلف على ذكر النقائص في الخلق اللبناني ، ولن نستنكف عن ذكر المثالب . ولكننا آثرنا البدء بذكرِ المزايا الطيبة والصفات الكريمة التي يتصف بها اكثر سكان القرى اللبنانية[١] لانها حريّة بالتدوين . نذكر منها بايجاز كلي :

(ا) كرم الضيافة
(ب) النجدة (ويسمونها العونة)
(ج) القناعة
(د) التقشف والصبر على المكاره
(ه) حسن الثقة والامانة
(و) الصدقات السرية
(ز) المصالحة وحسم المنازعات
(ح) احترام كبير السن
(ط) الآداب العامة

(١) كرم الضيافة :

وقد قصرنا صفة الكرم على الضيافة لان كرم القروي يبرز احسن ما يبرز في اكرامه الضيفَ وفي تفانيه في خدمته . لا نستطيع القول بان القروي سخي في العطاء للخير العام وللاحسان العامّ . ذلك لان تيقُّظ الضمير الاجتماعي ظاهرة جديدة مبعثها العلم والمعرفة والتحسُّس برذائل الظلم الاجتماعي . القرويّ لم يتعلم بان يعطي ، وقد نقسو عليه في احكامنا اذا كنا ننتظر منه ان يشعر بالمسؤولية الاجتماعية . وسنذكر فيما بعد انه يُحسِن ويتصدّق بطريقة سرية احياناً .

---

(١) وبعض هذه المزايا يتصف بها سكان الارياف في بلدان اخرى ، اذ يظهر انها فضائل تمليها طبيعة الارض ويفرضها اسلوب العيش القروي .

يعتزّ القروي بدعوة الضيف الى غداء او عشاء او الى المبيت عنده. ويشعر بنوع من الغبطة والزهو عند اقامته وليمة يدعو اليها الضيوف والاصدقاء. وقد يُظهِر من ضروب الكرم ما لا طاقة له على تحمّله. وفي كل قرية لبنانية يقصّون عليك قصة بعد قصة عن اناس يستدينون ليكرموا الضيف، وعن اناس افتقروا بعد غنى لفتحهم بيوتهم «مضافات». ذلك لان الكرم من صفات الزعامة والوجاهة. يقولون «الكَرَم بِغَطّي كِلّ العيوب!» ويقولون «أضْرُب سيف بتِتْأمّر، إطعَم خِبْز بتِتْمَشْيَخ[١]» واي قروي لا يحب ان يكون اميراً او شيخاً في قريته؟

اذا اتى غريب ونزل في القرية زمناً او اراد استيطانها فان اهل القرية يشعرون بواجب الضيافة. يعرف المؤلف طبيباً ارمنياً[٢] قطن راس المتن اكثر من ٢٥ سنة بعد تخرّجه من الجامعة الاميركية. ايّ بيت في القرية لم يدعه الى طعام؟ اي بيت لم يرسل له ثماراً او خضاراً او شيئاً من غلاله؟ ايّ بيت لم يرسل له هدية عند زواجه؟ احبوه واحبهم. طبّبهم وخدمهم ولكنهم اخلصوا له واحسنوا وفادته. وعندما اراه يقول لي: «آه الضيعة، الضيعة، راس المتن كتير كتير حلو!»

كان يوم لم يكن فيه اصطياف. فكان اهل القرى ينزلون الى بيروت ويلحون على اقاربهم المقيمين هناك ان يصعدوا اليهم الى الضيعة لقضاء الصيفية. «ما تحمْلُوا نِقْلة! نِقْلِتْكم عَ الأرض. العِلّيّة حاضْرَة، وفِرْش[٣] قدّ ما بَدْكُن، بَسّ تِطْلعوا. يا مية أهلاً وسَهلاً!» وكان كثيرون من البيروتيين الذين عندهم في الجبل اقارب يصعدون في الصيف لقضاء بعض الوقت. والمؤلف يذكر وهو بعد

---

(١) اي انك تصبح اميراً في قومك او شيخاً.

(٢) لا يزال حياً يسكن بيروت واسمه هاروت تشبلقيان ولكنهم في القرية لم يعرفوه الا بالحكيم هاروت

(٣) جمع فراش.



يقول ضيف ام نمر من الساحل : « ما في اجل من الصبحية والعصرية على سطيحة العلية ! »

صغير كيف كانت امه تحمله سلة في اسفلها خضار : لوبياء وبندوره وبطاطا جديدة وخيار وباذنجان ، وفي اعلاها فاكهة : عنب وتين ، وتقول له : « يَلاَّ خُوذ هَالسَّلّة لِقْرَايبنا ! » وكان اقاربنا احياناً يحتارون ماذا يصنعون بسلال الخضار والفاكهة اذ لم تكن امي الوحيدة التي ترسل سلالا .

ولا يقتصر الكرم على اضافة الغريب بل نجد ان القروي يظهر كرمه نحو جاره وقريبه والفقير في قريته . فانه يوم اللحامة (عندما يذبح الخروف المسمن لصنع القورما) يولم ويدعو الاهل . واذا طبخ غَمّة[1] ارسل بصحن منها الى جيرانه او اقاربه ، واذا طبخ الهريسة وزّع منها على الاصحاب ، واذا سلق القمح بعث به متبّلاً بحب الرمان والصنوبر وماء الزهر والسكّر الى الجيران والاصحاب . واذا اقبل الموسم لا ينسى ان يرسل هدية من غلاله الى من هو بحاجة الى هذه الغلال من فقراء العائلة كالزيتون والصنوبر والدبس .

(ب) النجدة (العونة) :

يلبّي القروي النداء للنجدة . عون الجار فريضة مقدسة ، واذا اعان جاره واغاث قريبه فان جاره سيعينه يوماً ، واذا احتاج فان قريبه سيغيثه يوماً .

يسمون النجدة « العونة » ولفظها يدل على معناها . فانها المساعدة الجماعية التي يسديها الجيران للجار في الاعمال التي تحتاج الى ايد كثيرة ، او في الاعمال التي لا تتحمل مرور الزمن بل يجب ان تُعمَل ضمن وقت قصير معين كقطاف الشرانق مثلاً . فان الدودة داخل الشرنقة تنقب الشرنقة بعد مرور ٨ ايام على اتمام نسجها فتفسد خيطان الحرير . وعليه يجب ان تُجمَع وتباع لتُخنَق[2] والاّ خسر الفلاح موسمه . في مثل

---

(١) وهي اكلة مستحبة تتألف من سلق مقادم الخروف والرأس والكرش بعد حشوه بالارز والحمص واللحم والبصل والتوابل الكثيرة .

(٢) سنأتي على ذكر تربية الحرير فيما بعد ، في فصل عن زراعة القرية .

هذه العونات تتجلى روح القرية التعاونية التي تفرضها عليهم الحياة الجبلية الزراعية .

يهبون الى نجدة بعضهم بعضاً عند القيام بالاعمال الثقيلة التي لا قوى للرجل الواحد على القيام بها او لا طاقة له على تحمل نفقاتها . نذكر منها على سبيل المثال جلب الجسر[١] من الوعر . والجسر جذع شجرة صنوبر قديم (مِلْقش)[٢] او جذع سرو او شربين او دلب . فانهم نهار الاحد بعد القداس يتنادون للذهاب الى الحقل لجلب الجسر لفلان . وتكون الزوجة قد اعدّت لهم شراباً حاراً شتاء او بارداً صيفاً ، وحلويات او فاكهة لتقدم للشبان الراجعين « عَرْقانين هَلْكانين » . وعند المقايسة[٣] ينتخون ويساعدون الباني . واذا كان الاساس عميقاً اعانوه في ردمه . ولا تزال هذه العادة الكريمة حية الى يومنا هذا لاسيما عندما يجبلون الاسمنت للسقف . فقد رأينا في القرية اناساً يساعدون الباني مساعدة لوجه الله . واذا اراد صاحب المعصرة جلب الزَغْل[٤] الى معصرته ورفعه الى المَدْرَس فانه يطلب الى شبان القرية ان يعينوه . وفي اواخر شهر ايلول يتعاونون على قطاف العنب وعصره وصنع الدبس . ويتعاونون على سلق القمح وصنع البرغل وفرك الكشك وصنع الخبز . وفي الخريف يتعاونون على جمع الزيتون .

وقد قيل لي انهم قديماً كانوا يتعاونون على نقب الارض فيجتمع عدد منهم ويعملون في حقل الى ان يأتوا على آخره ثم ينتقلون الى سليخ آخر . وهي عادة قد زالت في القرى التي اعرفها .

---

(١) سنأتي على ذكر الجسر عند كلامنا عن بناء العلّية .

(٢) قلب جذع شجرة الصنوبر خشب احمر تكثر فيه المادة الصمغية . هذا الخشب الصنوبري الغني بمادة الصمغ (ويسمونه الزفت) يُعرف بالمِقش ، والمِلْقش الغني بالمِقش . والصمغ يكسب الخشب قوة ومناعة .

(٣) المقايسة رفع الجسور على الحيطان لبناء السقف . واللفظة مصدر قايس وهي ليست عربية الاصل بل لفظة سريانية : ܩܝܣ ومعناها غطّى بالواح من الخشب .

(٤) الزغل الرّحى العظيمة التي تستعمل في المعاصر للسحق والطحن . وهي تدور على حرفها .

ولا تنحصر مظاهر النجدة في الاعمال اليدوية والزراعية بل تتعداها الى الامور الاجتماعية . ففي حـال الحريق او التهدم او الكوارث او الموت ترى الناس في القرى يداً واحدة .

يجدر بنا هنا ان نذكر شيئاً عن الطريقة المتبعة في ابلاغ الناس طلب العون او النجدة . يتم ذلك عن طريق المناداة من على السطح بعد الغروب عندما يعود الناس الى بيوتهم وعندما يكونون قد جلسوا لتناول طعام العشاء . يصعد المنادي الى سطحٍ وسط القرية وينادي :

« يا سامعين الصّوت صلوا عَ النبي (وفي القرى المسيحيـة عَ المسيح ») ثم يعلن الخبر . وقد يكون الخبر المعلَن يتعلق بامر حكومي : ضريبة الاملاك ويسمونها الميرة ، او ضريبة الاعناق ويسمونها الفريضة ، او صدور امر حكومي ما ، او فرض ضريبة جماعية على القرية (كاتلاف الجراد مثلاً) . وفي حالات الخطر الشديد يستعيضون عن المنادي بقرع الجرس (في القرى المسيحية) .

(ج) القناعة :

نحن الذين ندعو اليوم ابناءنا الى الطموح والى العمل المستمرّ والى جمع اكبر ثروة تكفل لهم احسن مركز اجتماعي قد لا نعد القناعـة فضيلة . لكن القول المأثور « القناعة كنز لا يفنى » لا يزال دستور الحياة القروية الى حدّ بعيد . وهذا لا يعني ان القروي اللبناني كسول اتكالي . كلا ، فهو يعرف ان معجنه ان تمتلىء خبزاً وخابيته لن تمتلىء خمراً الاّ بعرق الجبين . فهو من هذه الناحية دؤوب على عمله يبكّر الى حقله شتاء صيفاً . والمؤلف يعرف فلاحين عديدين خلقوا من الوعر ، خلال سنين وسنين من العمل المضني ، جنائن سخية بالغلال وبساتين تدر لبناً وعسلاً . ولا يعرف المؤلف فلاحين في الاقطار المجاورة يضارعون الفلاح اللبناني في مثابرته واجتهاده .

قد يشير بعضهم الى هجرة اللبنانيين على انها دلالة على الطموح والهرب من القلة التي يجدون انفسهم فيها . هذا صحيح الى حدّ معلوم . ولكن للهجرة اللبنانية اسباباً اخرى غير اقتصادية . عندما يجزم شاب امره على مغادرة بيت ابيه القروي يقول له ابوه[١] : وَلَك يا ابني خلِّيك هَوْن . ما في حَدا عقِل ونِدِم ، مِش سامِع المَثَل شو بِقول يا ابني : بْلحس مسنّي وبنام مِتهنّي . وَلَك يا ابني مِشْ كِلّ الْ هجروا الضيعة اغتنوا . هذا مات من السل وهذا مات من الشَّحْطة[٢] وهذا رجع ما ع جِسمو قميص . في مثل لبنان وعيشتو ؟ لَيش مـا بْنِقيم[٣] هَالرِّزْقات ، وَسخاتِن[٤] بعيّشوا عيلة . وْهو حدا مات من الجوع ؟ »

الى اي حدّ يبلغ طموح القروي ؟ لا يطمح الى كثير . اول ما يطمح اليه بناء عِلية . اقتناء بيت موضع فخر واعـتزاز . لا يصبح الرجل في القرية رجلاً الاّ بعد ان يصبح « صاحب بيت » والبيت سترة :

بَيْتي بَيْتي بُوَيْتاتي يا مْستَّر عَيْباتي
فِكْ بآكل وفِك بِشْرب وْفيك بْمِدّ جْرَيّاتي

والبيت مثل الرزق عقدة « والعِقدة » في مصطلحهم ما لا يباع وما لا يُتصرّف به بيسر . فقد يخطر على بال احدهم في ساعة ضيق واحتياج ان يبيع البيت ، ولكن البيت عِقدة اي لا يسهل بيعـه ، فيبقى الى زمن ربما تكون الحاجة فيه اشدّ واعنف . ولذلك يقولون « البيت اول مقتنى وآخر مبيع » .

ويطمح القروي الى ان يتزوج ، « والزيجة سترة » والزيجة المبكرة

---

(١) وقد سمعت هذه العظة مراراً وتكراراً ، ولا نشك في ان غيرنا سمعها وقد يكون بعض القراء ممن وُجّهت اليهم هذه النصائح .

(٢) العناء والعذاب وقسوة العيش .

(٣) تعتني بها وتتعهّدها بالفلاحة والتسميد .

(٤) الغلال الثانوية كالخضار تزرع بين اشجار التوت .

حكمة . فالمرأة بَنّاءة خدومة مقتصدة . يقولون « الرجل جَنّا والمرأة بَنّا[١] » . والاولاد بركة من السماء . وفضلاً عن هذا فانهم ضمانة المستقبل . كما اعان هو والديه فانه يأمل ان يعوله اولاده في الكبر .

ويطمح الفلاح ان يزيد كل سنة ، اذا استطاع الى ذلك سبيلاً ، « شوَيّ ع َ الرِّزقات » ، كشراء قطعة سليخ رخيصة فينقبها ، او جلّ يعيد نقبه وغرسه ، او قد يحفر بئر ماء . الشيء المهم ان يضيف الى الرزقات شيئاً من توفيره .



« الحمد لله ! مَوَّنّا البيت وارتاح البال . »

(١) اي ان الرجل يجني ويجمع ويكسب ، والمرأة تبني .

ويطمح القروي ان يكون كما يقول المثل « فلاّح مكفي سلطان مخفي » فاذا جاء زمن المونة (شهر ايلول) يستطيع ان يشتري مؤونة الشتاء حتى اذا اتى الشتاء جلس على جلد امام الموقد خالي البـال . وسنتكلم عن شهر المونة فيما بعد .

ولا ينسى اللبناني ان يكون شكوراً . يعتقد ان بالشكر تدوم النعم ، فلا خابية الزيت تفرغ ولا كوارة الدقيق[١] تفرغ اذا شكر العبد مولاه .

(د) التقشف والصبر على المكاره :

اما التقشف ففضيلة دينية ، وعند الدروز ، ولاسيما اجاويدهم ، من صلب الدين واوامره . وكلما زاد تقشف المرء وزهده في هـذه الحياة عظم اجره في النعيم .

تظهر روح التقشف في الملبس والمأكل وفي فرش البيت وفي الاقتصاد في النفقات وفي العزوف عن الدنيا ومباهجها . القروي محتشم رصين يترفع عن الزهو ويبتعد عن مجالس الطرب والشراب .

عندما بدأ شبان الدروز المتعلمون ينخرطون في سلك الخدمة الحكومية لقاء مرتبات كان آباؤهم الاجاويد يستنكفون عن تناول شيء كانوا يعتقدون انه ابتيع بدراهم الحكومة . وذلك لان مال الحكومة ليس مالاً حلالاً . المال الحلال مـا يكسبه الانسان بعرق جبينه ، من استخراجه من الارض بقوة ساعده .

اخبرني والدي عن شيخ درزي تقي[٢] كان لا يشرب قهوة في بيت

(١) سفر الملوك الاول اصح ١٧ عدد ١٤ . سفر الملوك الثاني اصح ٤ عدد ٢ — ٧ .

(٢) هو المرحوم الشيخ ابو علي يوسف مكارم من راس المتن وكان من اتقياء الدروز وزهادهم المشهورين .

درزي كسب دراهمه في التجارة او في المهجر . واخبرني الاستاذ يوسف يزبك صاحب مجلة « اوراق لبنانية » عن درزية تقية ورعة من آل عماد كان زوجها من كبار موظفي الدولة . وكانت هذه المرأة تتسلم اسبوعياً من قريتها خبزاً ومآكل اخرى . فكان الجيران (في قرية الحدث قرب بيروت) يتساءلون عن معنى حضور المكاري من الجبل لينقل اليها الطعام وبيتها مفتوح للضيافة . واخيراً علم الناس انها لا تأكل من كسب زوجها مع ان زوجها كان معروفاً بالاستقامة والنزاهة . ولكن رغم هذا فان مال الدولة حرام ، لانه مال يؤخذ قسراً ولا يدفع عن طيبة خاطر .

اما الصبر على المكاره فميزة يتميز بها القروي اللبناني . اذا « حط عليه الدهر » فانه يصبر ويشكر . واذا حلت الكوارث يصبر ويشكر ، واذا نزلت ضائقة فانه يتجالد ويصبر ويتحمل .

اخبرني والدي عن رجل ترك بيته وسافر الى بلاد قريبة . وفي اثناء غيابه مرض احد اطفاله (اظن تسمم) ومات . فجزعت المرأة وكان جزعها شديداً لاسيما وان زوجها غائب . فقد يعزو موته الى الاهمال او التفريط . عاد الرجل بعد ايام مساء . وعندما اقترب من البيت رأى اناساً في البيت ولحظ حركة مريبة ، ولم تخرج المرأة لاستقباله . فوجم . دخل فعلا الصياح ، وأخبر الخبر المفجع . تجالد الرجل وانتهر امرأته الباكية المتفجعة وطلب الى الناس ان يكفوا عن البكاء حالاً وقال « الرب اعطى والرب اخذ فليكن اسم الله مباركاً » . ودخل الى غرفته وبدّل ملابسه وطلب اكلاً وجلس وكأنْ لم يحدث حادث .

(هـ) حسن الثقة والامانة :

ومن الصفات القروية اللبنانية البارزة حسن الثقة والامانة . ومن يعرف القرية اليوم بمنازعاتها الداخلية وخصوماتها وكثرة دعاويها ويقابلها

بقرية الأمس يجد ان طباع القرويين آخذة بالتغير والتحول عن العرف القديم . فان في كل قرية اليوم مراب يقسو على فقراء القرية ويعيش على امتصاص كسبهم الضئيل . وقد قيل لنا ، والقول صحيح بان هنالك مرابين يتقاضون اثنين وثلاثة بالمئة شهرياً !

يقول لنا آباؤنا ان الفقراء ايام الضيق (الشتاء والايام القليلة الواقعة قبيل جمع الغلة) كانوا يستقرضون لا يستدينون . وكانت القرضة او الاستدانة « عَ الأمانة » الى الموسم . والموسم الذي يعتمدونه في وفاء الدين موسم الحرير (او الصنوبر في المناطق التي يكثر فيها شجر الصنوبر او الزيت في الشوف .) وتظهر الأمانة في دفتر الدكنجي في الضيعة . فانك تجد طريقة القيد تجري على هذا النمط (هذا اذا كان الدكنجي يقرأ ويكتب !) :

بذمة بو حبيب	:	٢٣ ﻗ (ثلاثة وعشرون وزلطة[١])
بذمة ام مخايل	:	زهراوي[٢] حق طحين
بذمة بوعلي حسين	:	ريالين مجيدي للموسم

ومن دلائل حسن الثقة والأمانة ان بيعهم الارض وشراءها (ويسمونها الرزق او الملك او الأملاك) كان يتم مراضاة امام شهود . واذا ارادوا المعاملة ان تكون قانونية فانهم يكتبون « حجة » وعليها توقيع شهود الحال . وفي ادراج شيوخ القرية عشرات من هذه الحجج . وعندما شرعت الحكومة بمسح الارض وتسجيلها اعتبرت هذه الحجج قانونية . وقد قال لي احد المشتغلين بمسح الارض اللبنانية انه يندر ان ينكر احد صحة هذه العقود الفردية .

اخبرني الشيخ سعيد حماده استاذ الاقتصاد العمليّ في الجامعة الاميركية ان احد اقاربه (قبل الحرب العالمية الاولى) كان وكيلاً للبنك الالماني

---

(١) الزلطة ٣/٤ القرش .

(٢) الزهراوي قطعة نقود فضيه قيمتها بشلكان والبشلك (نحاس) قيمته ٣ غروش .

الفلسطيني . كان وكيل البنك هذا اذا احتاج الى خمس مئة ليرة ذهبية فانه كان يكلف احد المكارين فيجلبها له . واخبار الامانات وارجاعها كثيرة يقصها الكبار على الصغار ولاسيما في هذه الايام التي تكثر فيها دعاوي سوء الائتمان والتزوير .

ومن الامور الملاحظة قلة السرقات في القرى . ولا يستغرب ترك الباب بدون قفل ، او ترك بعض الادوات في الدار او في المراح او تحت القنطرة كالدست والطنجرة والصاج وادوات الفلاحة . وكذلك تترك المرأة غسيلها المنشور قرب العين[1] وتعود مساء لتجمعه وقلّ ان نسمع ان الثياب سرقت .

(و) الصدقات السرية :

تُعطَى في القرية صدقات واعانات سرية لمن يسمونهم عائلات مستورة او عائلات «حطّ عليها الدهر» اي تلك التي افتقرت بعـد الغنى . وكثيرات من نساء القرية الغنيات عند جمع الغلال (الزبيب ، الزيتون ، بزر اللوبياء ، خضار ، حبوب) يرسلن بشيء من هـذه الخيرات الى فقيرات العائلة ولاسيما الارامل وذوات البنين العديدين . ومن اللطيف انها ترسل بطريقة لا «تكسر عزة النفس او تكسر الخاطر» وذلك ان ترسل ليلاً او بطريقة خفيّة اخرى .

وتجمع احياناً اعانات تعطى لعامل فقير في العائلة عند زواجه او عند وقوع مرض او حادث يقعده عن العمل .

(ز) المصالحة وحسم النزاع :

تتميز القرية اللبنانية في عهدنا هـذا بكثرة الخصومات والانشقاق وبكثرة الدعاوي المقامة في المحاكم . واما قديماً – قبل ان تفسد السياسة

---

(١) كثيرات من النساء يغسلن الثياب عند عين القرية وتكون العين احياناً بعيدة عن البيوت

راحة الاهلين – فان اكثر ما يقع عليه الخلاف كان في تحديد الاملاك . فانهم كانوا يحددون « الرزقات » بطريقة بدائية (واحياناً مضحكة) : طَيُّونة[١] ، عِلّيقة ، قَمْقور[٢] ، حجر عليه كاس ، او جبّ سنديان او شمخ[٣] بطم . وظاهر انها علامات تزول ، او علامات غير فارقة . فاذا وُجِد الطمع سهل على الطامع ان يغيّر معالم الحدود . وكذلك يقع الخلاف على حقّ السقي من الماء : العين ، او الساقية التي تخص الضيعة والتي ينتفع بها اولئك الذين اكتسبوا حق السقاية والريّ . فان هنا مجالاً للتأويل والتفسير فيقع الخلاف . وكذلك يحدث خلاف احياناً حول الميراث . وقد يقع خصام عائلي بين الرجل وزوجته او بين الرجل وابنه الضالّ . في جميع هذه المنازعات يعودون الى كبير العائلة او الى وجوه العائلة الذين يحلونها بالمصالحة او بالفرض[٤] . فانه يستقبح ان يصل خبر الخلاف الى خارج العائلة ، ويعدونه امراً منكراً اذا ادّى الى اقامة الدعوى امام المحاكم . الذهاب الى المحاكم مع وجود « المشايخ » عيب وقلة احترام لهم ، واحترام الكبير في العائلة فرض وواجب .

اما اذا وقع الخلاف بين عائلتين فان باقي العائلات تشعر ان واجبها يقضي عليها باصلاح ذات البين . فيتدخلون ويقترحون الاجتماع في منزل محايد ، واذا نجحوا تمت الصلحة فوراً . واحياناً يشعر اهل القرية ان من واجبهم حسم المنازعات والخلافات التي تقع بين جيرانهم من القرى المجاورة . فيؤلفون وفداً ويزورون وجوه العائلات المختلفة ويطلبون اليهم بحق الجيرة ان يكارموهم بقبول الصلحة . واحياناً كثيرة يشعر المتخاصمون ان للزائرين حقاً واكراماً يجب اداؤهما . فينزلون عند رغبة الجماعة وتتمّ الصلحة . ومن جميل العادات في القرى التي فيها دروز ونصارى انه اذا وقع خلاف بين عائلة نصرانية واخرى نصرانية هبّ

---

(١) Inula viscosa

(٢) عمود من حجارة صغيرة تنضد الواحدة فوق الاخرى الى علو ٤٠–٥٠ سنتمتراً .

(٣) تطلق لفظة جبّ على النبتة الواحدة وعلى الشجيرة . والشمخ الشجيرة الصغيرة .

(٤) اي انهم احياناً يفرضون الحلّ فرضاً ويستعملون الاقناع والضغط لقبول الحكم .

الدروز الى اجراء المصالحة فوراً . وكذلك اذا وقع الخصام بين عائلة درزية واخرى درزية هب جيرانهم النصارى الى اجراء المصالحة . والجميل ان المصالحة اذا قام بها الغريب اقرب الى الوقوع منها اذا قام بهـــا القريب . وقد يعجب المرء اليوم ان القدماء كانوا يحلون مشاكل عويصة وخلافات خطيرة يمكن ان تؤدي الى عواقب وخيمة كحوادث السرقة والقتل والزنا والخطيفة . واذا لم ينتصح المتخاصمون ولم يقبلوا بالوساطة فانهم يعودون الى قريتهم شاعرين بالاساءة والاهانة .

(ح) احترام كبير السن :

يقولون في امثالهم الشائعة « الْ ما عِندو كبير (او اختيار) يشتري لو كبير ! » فكأنهم يعترفون ما للخبرة في الحياة ، وما للحنكة والتؤدة في تصريف الامور من عظيم الفائدة .

ذكر في الفقرة السابقة طريقة الفصل في المنازعات واسلوبهم في حسم الخلافات البسيطة والخطيرة . ونضيف هنا ان الفضل في ذلك يرجع الى احترام القروي رأيَ كبير السن . فانه اذا وقع احدهم في مأزق يذهب الى كبير عائلته لاخذ مشورته ، واذا اراد ان يزوج ابنه او ابنتـه طلب مشورة وجوه العائلة ، واذا حزم امره على سفر او تجارة او بيع او شراء اخذ مشورة كبير العائلة . واذا لم يذهب هو من تلقاء نفسه قالت له زوجته او احد اقاربه المقرّبـين « رُوح تَتْشاور بُو حبيب تَتْشوف شو بِقول . »

ومن دلائل احترام الكبير احترام مجلسه فلا ضحك ولا خفة طرب ولا كلمة بذيئة ولا جلوس غير محتشم . في حضرة المشايخ يظهر المرء الرصانة والوقار . وان المؤلف ليذكر وهو صغير مع رفاق له كيف كانوا ينتهروننا بعنف اذا عـلا صراخنا او ارتفعت اصواتنا بالضحك : « اجد يا ولد ! إستحِ يا ولد ! » مجلس كبير السن في البيت يجب ان يُحترَم . والكبير في البيت بركة .

(ط) الآداب العامة :

مما لا شك فيه ان الاخلاق والآداب العامة في القرى اللبنانية افضل مما هي عليه في المدن والسهول . فان طبيعة القروي الجبلي طبيعة محافظة حذرة رصينة . فان للكلمة البذيئة وقعاً شديداً على اسماع شيوخ القرية ونسائها . وقد لحظنا ان الدرزي اجمالاً اعفّ لساناً من المسيحي وذلك راجع لأثر الاجاويد في جهّالهم ولمعتقدات دينية اخرى منها ان بذيء اللسان « ما بْيِرْتِحِم[1] »

يحرصون في القرية على السترة . « الله يِسْتُرْ عَ النّاس ، يا رب ستْرك » من الاقوال التي يردّدها الرجال والنساء عند سماعهم همساً او اغتياباً او قيلا وقالا . وكثيراً ما ينتهرون طويل اللسان لاذعه . ويقولون ايضاً « حرام الْ بْيِحكي ع الناس » ولاسيما عن الفتاة العذراء فان ذلك في عرفهم خطيئة .

ولا تنحصر « السترة عَ الناس » اي عدم التشهير بهم ، في الترفع عن الكلام في اعراض الناس وانما تتعدى ذلك الى امور اجتماعية اخرى . فانه اذا وقع احدهم في عسر او حلّ به مكروه او اخلّ بعرف او تقليد يؤاخذ عليه فانهم يحرصون الاّ يُفشَى خبره : « الله يِسْتُرْ عَ الناس . »

ومن فضائل القرية فضيلة « المساهمة . » « رجّال بِسَاهِم ومرة مساهمتها ممتازة » من احسن ما يقال في المرء مدحاً . والمساهمة مشاركة الناس احزانهم قبل افراحهم . فانه اذا مرض انسان وجب عليهم ان يفتقدوه ، واذا حلّ به مكروه ذهبوا لمؤاساته وللتخفيف عنه . يقولون « راحوا يِتْهَدّْسوا[2] بفلان » اي ذهبوا للسؤال عنه . ومن يجرؤ في القرية الاّ

---

(١) اي ان الاجاويد عند موته لا يرحمونه اي انهم لا يردّدون عبارة « الله يرحمو » عند الصلاة على الميت ثلاث مرّات .

(٢) وهي لفظة سريانية : ܗܕܣ .

يحضر مأتماً ؟ العدو اللدود يجب ان يحضر مأتم عدوه . ولا نذكر شيئاً عن العرس ، لان العرس ، كما سنذكر في فصل تال ، مهرجان القرية . وقد ذكرنا سابقاً خبر العونة (ص ١٤) ونذكر هنا ان النساء كثيراً ما يذهبن الى الجارات لعونهن في امور منزلية اذا شعرن ان المرأة تحتاج الى مثل هذه النجدة .

وفي القرية تقلّ السرقات ، واذا وقعت سرقة قالوا غريب مارّ ، اذ لا يمكن ان يكون « قرايبي[١] » . واهل القرى يتركون حاجات كثيرة خارج البيوت : الغسيل ، الادوات ، بعض الغلال ، الزبيب والتين يتركان في الحقل زمناً قبل ان ينقلا الى البيت .

وفي القرية حفاظ شديد على المرأة . لا يجوز لفتى ان « يلفي[٢] » على فلانة او بنت فلانة » قبل اعلان الخطبة . واذا شعر ذوو الفتاة ان « عين فلان ع بنتهن » حذّروها وحذّروه . في القرية يجب ان يراعى العرف والتقليد . اما التعدي على الفتاة والمرأة فامر نادر جداً واذا وقع فانه قد يؤدي الى عواقب خطيرة .

من الامور الاولى العالقة في ذاكرة المؤلف[٣] هو انه ، وهو بعد صبيّ يلعب في « مرملة[٤] » ، مع صغار آخرين ، وجد نفسه فجأة امام مشهد مخيف : رجل بيده مسدس يركض ماراً فوق كثيب الرمل الذي كنا نعلب عليه ويطلق الرصاص يميناً وشمالاً ، وكذلك من على جانبيه وعلى بعد منه آخرون يطلقون عليه الرصاص . واذا بأمي تصرخ :

---

(١) القرايبي في مصطلحاتهم القريب وابن الحيّ الذي يعرف المداخل والمخارج عن كثب . واللفظة تحريف لفظ فصيح : القراريّ .

(٢) يقولون عن الرجل انه بْيِلْفي عَ بيت فلان اي انه يتردّد لتعلقه بفتاة في البيت — ويلفي ع مَرْة فلان اي انه عشيقها .

(٣) اظن انني كنت في الخامسة او السادسة من عمري .

(٤) كثيب من الرمل ، او ارض ذات رمل .

ناموا ع الارض! ناموا ع الارض!» منظر لم ولن انساه . بعد سنين عرفت انه رجل من خارج القرية متّهم بانه كان «يلفي» على امرأة . وقد وُجد عندها عصر ذلك النهار فحاولوا قتله .



مكاري الضيعة

الفصل الثالث

القرية اللبنانية

لا نعلم علم اليقين كيف كانت نشأة القرية اللبنانية الاولى . صمت تاريخي عميق يخيّم فوق ربوعها . فان الآثار التاريخية – مقابر ، انصبة ، بقايا هياكل ، نقوش كتابية – تكاد تكون معدومة في اكثر القرى اللبنانية[١] . اما السجلات والوثائق الخاصة والعامة – إن وُجدت – فحديثة العهد ، واخبار الشيوخ والعجائز التي يتناقلونها في القرية جيلاً عن جيل (حتى وان كان في بعضها اشارات مبهمة الى حقائق تاريخية) اقرب الى الخرافات والاساطير منها الى التاريخ . وقلّ ان تجد في القرى اللبنانية الجبلية من يذكر اسم ابي الجدّ ، ومنهم من لا يذكر اسم الجدّ[٢] . فكأن القروي لا يحفل بالماضي ولا يهتم بالتاريخ ، فان من كان همّه تفتيت الصخر ليستخرج من الصخر طعاماً لا يحفل بالماضي .

كذلك يودّ المرء ان يعلم شيئاً عن القوم الذين حلّوا اولاً في القرية : الى اي عرق بشري كانوا ينتمون ، واية لغة كانوا يتكلمون ، هل كانوا عشيرة واحدة او عشائر متحالفة ، هل تملكوا القرية كعشيرة واحدة او كعائلة واحدة فكانت ملكية القرية مشتركة بينهم ، وكيف عادت الارض وتوزّعت بين الافراد ، وكيف كانوا يحكمون القرية ويديرون مصالحها وشؤونها العامة ، وأسئلة اخرى كثيرة تزدحم في ذهن

---

(١) في لبنان آثار قديمة مصرية وفينيقية وبابلية – اشورية ورومانية اغريقية ولكن اكثر هذه الآثار في المنطقة الساحلية ، وعلى وجه التدقيق في المدن القديمة وفي جوارها . تجد وصفاً لهذه في كتاب ارنست رينان المشهور : « بعثة فينيقيا » وكذلك في كتاب الاب لامنس : « تسريح الابصار . »

(٢) من الطبيعي ان يكون هنالك عائلات تحتفظ بشجرة العائلة ولكن هؤلاء قلة .

الباحث عن تاريخ القرية القديم ويودُّ جواباً عنها . ولكن التاريخ القديم ليس جزءاً من حياة القرية . القرية اللبنانية غارقـة في الحاضر ، واذا تطلّعت الى المستقبل فالى المستقبل القريب . الماضي كئيب .

ان هذا القليل من التاريخ الذي نعرفه عن القرية اللبنانية الجبلية لا يعود الى اكثر من بضع مئات من السنين ، ولكن ما هي مئات السنين اذا قيست بتاريخ لبنان المديد ؟ الواقع ان ما تبقّى لدينا من تاريخ القرية السابق للميلاد ينحصر جلّه في اسماء القرى[١] . ان اكثر هذه الاسماء آرامية – سريانية وبعضها فينيقي مما يـدل دلالة واضحة لا يتسرّب اليها الشك ان الذين استوطنوا القرى اللبنانية كانوا ساميين من العائلة الآرامية . وقد اطلقوا على القرى والاودية والتـلال والجبال والانهر والينابيع اسماء تصف هذه الاماكن وصفاً جغرافياً طبيعياً . اما ماذا حلّ بهؤلاء الآراميين السريان ، وكيف اندمجوا[٢] في غيرهم من الشعوب ، وكيف ومتى جرى هذا الاندماج فقصة على كثير من الغموض وتاريخ يتخلله فجوات .

ولكن بحث الناحية التاريخية القديمة يُخرجنا عن نطاق بحثنا ، وعليه نتركه للمؤرخين . يهمنا ان نقرّر ان سكان القرى اللبنانية يمثلون بقايا اقليات عرقية ودينية نزحت من الشرق ومن الشمال امام احداث سياسية ودينية اقتضت هجرتهم الى مواطن معينة نائية منحرفـة عن الطرق العسكرية العامة لكي تكون في مأمن من الاضطهاد والازعاج . ويهمنا ان نقرّر ان هذه الاقليات انشأت اسلوباً في العيش يتميّز عن بقيـة الشعوب المجاورة لاختلاف البيئة وتعدُّد الملل . هذا الاسلوب في العيش، او هذه الحضارة اذا شئت ان تسميها حضارة ، آخـذة في الزوال في

---

(١) راجع مقدمة كتاب « اسماء القرى اللبنانية وتفسير معانيها » منشورات الجامعـة الاميركية في بيروت ، ١٩٥٦ .

(٢) الشعوب لا تنقرض والحضارة لا تزول بـل تندمج في غيرها وتتحوّل رويداً من حال الى حال ببطء وعن غير قصد او وعي .

كثير من القرى اللبنانية . واننا ، قبل ان تزول معالم هذه الحضارة ، قد اخذنا على نفسنا تسجيل اخبارها كما خَبَرْناها في القرية وكما سمعنا خبرها من الكهول والشيوخ ..

لكي تكون القريةُ قريةً لبنانية يجب ان تكون قد احتفظت بما تتميّز به القرية اللبنانية :

(ا) ساحة الضيعة .
(ب) المشاع
(ج) العليّة
(د) التنور والصاج والفرن
(ه) المعصرة والطاحون والمطروف
(و) الأتون
(ز) المشحرة
(ح) العين

(أ) ساحة الضيعة :

لم يكن انتقاء موقع القرى الجبلية صدفة واعتباطاً ، بل ظاهر ان الذين اسسوا القرى اخذوا بعين الاعتبار اموراً جوهرية يجب ان تتوفّر قبل الاقدام على التوطّن : وجود الماء ، وجودة التربة ، وعدم التعرّض للارياح والعواصف الشديدة التي تُلحق الاذى بالزراعة ، وسهولة الدفاع عن القرية ، وقربها او بعدها عن المراكز الرئيسية أو الطرق العامة ، جميع هذه امور نظروا فيها . فان اهالي الشوير ، الضيعة القديمة القابعة في الوادي ، ولاسيما الجيل الجديد منهم ، يسألون وبشيء من الحنق : لماذا لم يبنِ آباؤنا القرية في الظهور ؟ كان الشويري العتيق اذا غضب على احد ابنائه واراد عقابه فانه كان يحرمه الارث في الضيعة القديمة القابعة في الوادي ويكتب له قطعة ارض في الظهور (واسمها القديم مرحاتا) ! ولكن ما لا شك فيه ان مركز الشوير القديم ، بالنسبة لاحوال اجدادنا

واساليب عيشهم وسكنهم ، افضل من الظهور من نواح كثيرة لان في الضيعة القديمة تتوفر الشروط التي ذكرناها اعلاه .

ان الذين بنوا القرى اللبنانية متراصة لاغراض دفاعية ولاسباب تعود الى انعدام الامن حرصوا على ان تظلّ في وسط القرية بقعة كبيرة ، مستديرة او مربعة او مستطيلة تكون لهم مكاناً للاجتماع وسوقاً للمقايضة وملعباً للصغار ومكاناً للمآتم والاعراس . هذه البقعة تعرف بالساحة .



قفل في ساحة الضيعة . « يا سامعين الصوت صلّوا عَ النبيّ ! »

قد يكون في القرية الواحدة اكثر من ساحة واحدة . قد يكون لكل حارة (والحارة حيّ من احياء القرية تسكنه عشيرة او رهط متقاربون) ساحة ولذا تسمع الناس في القرى يتكلمون عن الساحة الفوقانية والساحة التحتانية او ساحة بيت فلان .

في الساحة يجتمع الرجال بعد القدّاس او في يوم البطالة[١] او اليوم المشمس بعد المطر الشديد فيتحدثون ويقضون شؤونهم الخاصة والعامة . في ايام الصيف الكسولة يجلسون صباحاً وعشية تحت شجرة كبيرة في

(١) البطالة في الضيعة يوم انقطاع عن العمل اي الأحد ويوم العيد ويوم المأتم .

الساحة (مَيْسة ، سنديانة ، زنزلختة[١]) ويلعب اثنان منهم المنقلة[٢] او لعبة الدريس او لعبة الداما فينقسم المتفرجون الى حزبين كلٌّ منهما يحاول مناصرة لاعبه ، وكثيراً ما يشتد بينهم الخصام البريء . والساحة سوق عام . كان يوم لم يكن هنالك دكاكين وخانات بل كانت الساحة الدكان والخان . في الساحة كان اهل القرية يتقايضون المنتوجات او يبيعونها في مواسمها ، وفي الساحة ينزل المكارون من اهل القرية والمكارون الوافدون اليها من الخارج جالبين البضائع والسلع والطعام الذي لا تنتجه القرية . فيصعد احد المكارين الى سطح بيت قريب – واحياناً يصعد سمسار من القرية – فينادي : «يا سامعين الصوت صلّوا عَ النبي» ، وفي بعض القرى المسيحية التي ليس فيها غير مسيحيين : صلّوا عَ المسيح[٣] يلّي عاوزين قمح ، برغل ، عدس ، بصل ...... قبل النفاق يا عاوزين ! سعر الرطل ...... او ثمن المدّ ..... » ويكرّر النداء مرّات . واحياناً لا يحتاج المكارون للمنادي والنداء فان القرية تعرف الخبر بعد وصول الجمّالين او المكارين (ويسمونه القِفل) بدقائق قليلة (راجع الرسم ص ٣١) وقد يكون البيع والشراء بالنقد – وهو الشائع الآن – وقد يكون بالمقايضة كما كان شائعاً في اواخر القرن التاسع عشر وعند مستهل العشرين . واننا نذكر شيئاً من هذه المقايضات :

الحديد العتيق والنحاس والتنك : بقضامة وفستق
شرانق بُوَيصة[٤] : بحلاوة جَوْزانية[٥]

---

(١) الازادَرخت في الفصحى وهي كلمة فارسية .

(٢) وسوف نصف هذه اللعبة وغيرها في فصل آخر تالٍ عن العاب القرية .

(٣) وظاهر انه تقليد النداء الاسلامي . فان النصارى لا يقولون صلّوا على المسيح . ان المصطلح اسلامي صرف ، فان المسلمين يفسّرون الصلاة على النبيّ انه تعظيم وتمجيد وليس هذا الاستعمال للفظة معروفاً في التقليد المسيحي ، بل معنى اللفظة في التقليد المسيحي التضرّع والطلب والابتهال .

(٤) البويصة الشرنقة الرفيعة التي لم تستطع الدودة اكمال نسجها لمرض او ضعف اصابها او لموتها قبل اتمامها .

(٥) حلاوة يضيفون اليها الجوز وهي مستحبة عند اولاد القرية

تين مُطَبّع او مُشَرَّح : بعنب تشروني من اعالي الجبال او بطاطا للمونة[١]

زيت لبناني : بقمح او بفاصوليا

حبوب وزيت : باقمشة واحذية وقباقيب من المدن

اشياء عتيقة معدنية : بتفاح زبداني او خوخ من قب الياس .

وكثيراً ما تؤدي هذه المقايضات الى اختلافات عائلية . فان رغبة النساء الشديدة في هذه السّلع الآتية من الخارج كثيراً ما كانت تدفعهن الى السخاء بالمقايضة . وعند رجوع الزوج من الحقل يبدأ الجدل في الغبن الذي لحق به من جهل المرأة ومن رغبتها الملحة .

ولكن الساحة التي كنا نعرفها في اشهر الصيف سوقاً مبهجة تُعرَض فيها البضائع والسّلع القادمة الينا من عالم بعيد اخذت بالزوال عندما بدأ بعض الناس يفتح الدكاكين . ونحن نظن ان فتح الدكاكين ، ولاسيما في القرى الدرزية ، بدأ عندما اخذ الناس يجرأون رويداً رويداً على الخروج على العرف . فان الدروز الاجاويد يعتبرون كل كسب عن طريق غير طريق الزراعة والانتاج المباشر حراماً . الحلال ما يكسبه المرء بعرق جبينه ، ولذا نرى اجاويدهم وعقالهم وزهادهم المتقشفون يعيشون على الزراعة والصناعة والانتاج المباشر ، فانها اشرف الاعمال في معتقدهم . والحرام ما يكسبه المرء عن طريق التجارة وابتزاز الاموال عن طريق الوظيفة[٢] . فكان من الطبيعي الا يكون في القرى الدرزية دكاكين . كان فتح الدكاكين بداية تغير في حياة القرية الاقتصادية . في كل قرية

---

(١) البطاطة المنتجة في اعالي لبنان تصلح للمونة ، فانها تبقى الشتاء بكامله دون ان يصيبها فساد . وهذه البطاطا صفراء اللون من الداخل ولذيذة جداً ، وقد قلّ وجود هذا النوع كثيراً . اما التين المطبّع والمشرّح فسيأتي ذكرهما عند كلامنا عن زراعة القرية (تحت تينة) والتشروني نسبة الى شهر تشرين الاول والثاني .

(٢) ونحن نعرف اجاويد لا يتناولون فنجان قهوة في بيت درزي او مسيحيّ اذا عرفوا ان دراهم الرجل ليست كسباً حلالاً . ولكن عدد هؤلاء الصلاح الشرفاء يقلّ يوماً بعد يوم.

لبنانية الآن دكاكين حول ساحة القرية حيث لا يزال هنالك ساحة اذ ان بعض الساحات ولاسيما في قرى الاصطياف زالت من الوجود ، فقد اخترقتها طرق وشوارع حديثة .

وفي الساحة تقام المآتم ، لاسيما مآتم الاعيان والكبار حيث يجتمع حشد غفير من القرى المنعبّة . فيها تقام حلقات الندب ، وقد ينصب في طرف الساحة صيوان[١] كبير تملكه القرية مصبوغ باللون الازرق . هناك يسجّون الميت وتجتمع حوله الندّابات . وفي الساحة تقام الاعراس الحافلة وهناك يحدون ويرودّون ويطلقون العراضة[٢] .

واخيراً الساحة ملعب للاولاد . هناك يلعبون العابهم المختلفة فيضيق بهم اهل الدور القريبة ذرعاً . واني اذكر ان امرأة عجوزاً كانت تصيح بنا : دَوّختونا يا ولاد ، حِلّوا عنّا شوي !

(ب) المشاع :

مشاع القرية ارض تملكها القرية كمجموع . وهي ارض موات ، او صخرية ، او « حرشية عاصية » كما يقولون ، او مراع لهم يتعهدوها بالنقب والفلاحة والغرس اما لعدم صلاحيتها ، او لبعدها ، او لعدم تمكّنهم من احيائها عند نشأة القرية الاولى لبلوغهم درجة الاشباع من جهة الارض .

كان من الطبيعي ، عند نشأة القرية الاولى ، ان تُحيَ الارض الجيّدة الخصبة المحيطة بالقرية القريبة من الماء ومن العمران . فمهّدوا الارض ودرّجوا السفح وبنوا الشوارات[٣] لحفظ التربة وغرسوها اشجاراً مثمرة

---

(١) خيمة كبيرة من القماش الكتاني الازرق او الاسود السميك ويعرفونها في بعض القرى « بالسِترة » .

(٢) اطلاق الرصاص تعبيراً عن فرح وابتهاج .

(٣) ومفردها شوار وهو حائط المدرّج على سفح الجبل الذي تعرفه العامة بالجلّ ، واصلها سرياني : ܫܘܪܐ ومعناها مكان عالٍ مشرف .

ومفيدة . هذه الارض المحيطة بالقرية تعرف « بالجذار » او « الجدار »[١] على لغة بعضهم . وهي ارض خصبة ثمينة . ولكن عند ازدياد السكان يأخذ بعضهم باستغلال الارض التي تليها قرباً وجودة ، ثم التي تليها الى ان يصلوا الى اماكن وعرة صخرية متحدّرة عاصية بحيث يصبح احياؤها امراً اقتصادياً خاسراً . قد يظلّ في القرية اناس فقراء يندفعون الى اطراف هذه الاراضي فيتعهدونها بالنقب والفلاحة فتصبح ملكاً لهم .

ولكن عملية التملك الفردي على هذا النمط يجب ان تكون قد وقفت عند حدّ لسببين : اولاً لعدم صلاحية الارض ، ولان العمل فيها لا يعود على صاحبه بربح يوازي الجهد والعمل . ثانياً لان الحكومات، او المجالس البلدية ، اعترفت اخيراً ان هذه الاراضي ليست حرة فيما بعد يتعهدها من يشاء ، ويملكها من يشاء ساعة يشاء ، بل هي ملك مشاع للقرية تنتفع بها القرية كمجموع . وهكذا تتحدّد الملكية الفردية وهكذا ينشأ مشاع القرية .

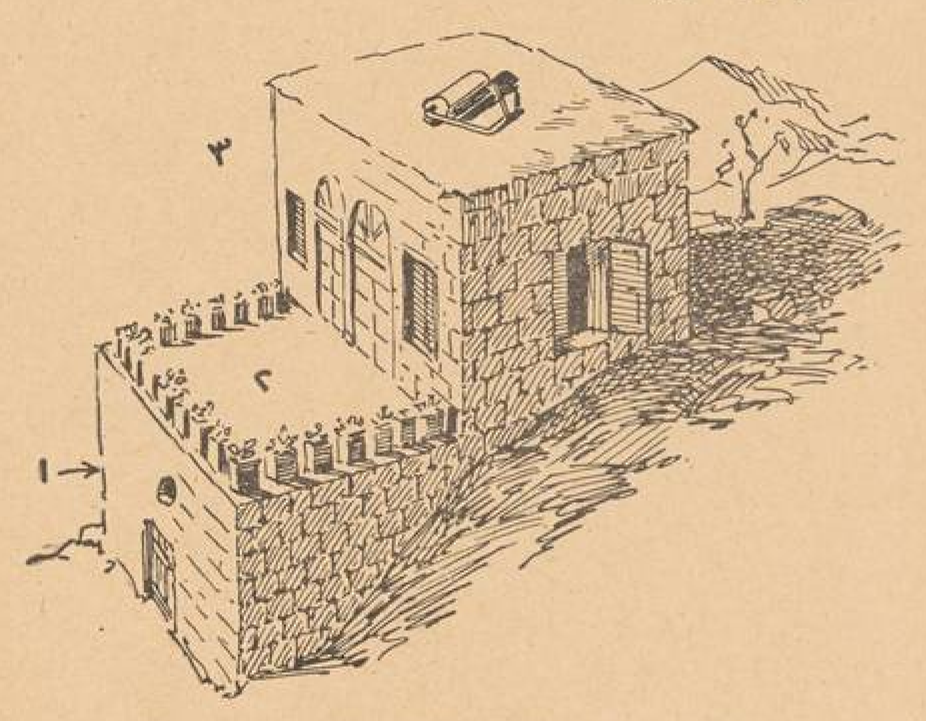
لاكثر القرى اللبنانية مشاع ، وبعض هذه المشاعات شاسعة المساحة غنية بالاشجار والمراعي وتعود على القرية بنفع اقتصادي كبير :

اولاً : يحق لفقراء القرية ان يحتطبوا من المشاع شرط الا يقطعوا شجراً من جذعه او اغصاناً وفروعاً غليظة . ويسمّون فروع الشجرة الغليظة « عمِد » وجمعها « عمود » واذا فعلوا هذا اوقفهم الناطور اذ لكل مشاع ناطور . غير ان الفلاح الفقير يُسمح له ان يشحّل الاشجار فينتفع باغصانها وقوداً وتنتفع القرية بنموّ الاشجار .

ولكل فرد من افراد القريـة الحقّ بان يذهب الى المشاع فيطعّم البرّي من الخروب والزيتون وينقب الارض حول الشجرة ويتعهدها بالركاش والتسميد فيصبح له حقّ باخذ نصف الغلة . واكثر من يقوم

(١) وهي لفظة سريانية ܓܕܪܐ ومعناها حائط . وقد تكون عربية من الجذر لكثرة الغرس فيها .

بهذه الاعمال الفقراء النشيطون او الاغنياء الشرهون . وانت اذا مشيت في الاودية الصعبة وفي اعالي السفوح العاصية تجد كثيراً من هذه الاشجار المثمرة وسط ذلك الوعر حسنة النمو ، ارضها مفلوحة ، وحولها جدار يحفظ تربتها . نصف غلة هذه الاشجار يعود الى الذي يتعهدها والنصف الآخر للبلدية . وهو تقليد قروي حسن . ذلك لانه يشجع الناس على تحسين المشاع وفي الوقت ذاته يفسح المجال امام الفقراء لشيء من الكسب بعرق الجبين .



بيت لبناني : ١ القبو او المراح او المدّ – ٢ السطيحة – ٣ العلية

ثانياً : المشاع مرعى لماشية اهل القرية . واذا كان المشاع في الاودية العميقة الدافئة فانه يُضَمَّن مرعى للمعّازين الوافدين من اعالي لبنان شتاء لرعي ماعزهم . على هؤلاء المعّازين الوافدين ان يتفقوا مع المجلس البلدي على رسم مقطوع يدفعونه سلفاً . وهذه الرسوم تُنفق في اعمال عامة تعود على القرية بالنفع كاصلاح الطرق وتنظيف الازقة وخلافها .

ثالثاً : ان المشاع الغنيّ باشجار السنديان والملول والبطم والشجيرات المتنوعة كالجربان والبلان يُضمّن كل مدة (عشرين سنة) بمقدار كبير من المال لقطع الاشجار وصنع الفحم من اخشابها . ونحن نعرف قرى ذات مشاعات غنية بالاشجار (راس المتن مثلاً) تضمن مشاعها بما لا يقلّ عن ٦٠ او ٧٠ الف ليرة نسبة لارتفاع اسعار الوقود . وهذا المال يعود الى المجلس البلدي[١] . ويتقيّد الضامن بشروط وقوانين اهمها انه لا يحق له قطع الشجر من الجذر . يجب ان يكون القطع فوق الارض بسنتيمترات قليلة لكي يعود الشجر فيفرخ وينمو فيضمّن مرّة اخرى بعد عشرين او ثلاثين سنة . من جذوع الاشجار ومن الاغصان الغليظة يصنعون الفحم (وسنأتي على ذكر المشحرة) او يبيعونها حطباً . اما الاغصان الرفيعة فيجمعونها حزما واغماراً او يبيعونها لاصحاب الاتونات كما سيأتي ذكره عند كلامنا عن الاتون .

ومن الطبيعي ان يكون استغلال المشاع والتصرّف بالريع الذي يعود به على القرية موضع خلاف واتهامات بين العائلات والاحزاب المختلفة . ولكن هذا الخلاف وهذه الاتهامات هي جزء من تقليد القرية .

(ج) العليّة :

يصعب تحديد البيت اللبناني النموذجي فان بيوت القرية تختلف هندسة ومادّة . انما يستطيع المرء ان يعمّم القول بان العلّية[٢] هي بيت الفلاح اللبناني الغني والمتوسط الحال مالياً . والعليـة هي الغرفة الانيقة النظيفة للضيف ، وفي احيانٍ كثيرة تكون المسكن العادي الذي لا تعرف العائلة مسكناً سواه .

---

(١) في البلاد الان قوانين مرعية الاجراء تتعلق بالمشاعات وطرق تضمينها وقطعها وقد تخالف في نصها ما نحن بصدده . ليذكر القارىء الكريم اننا نصف القرية اللبنانية عند مستهل القرن العشرين.

(٢) اللفظة سريانية الاصل : ܥܠܝܬܐ ومعناها غرفة عالية .

يعتز اللبناني كثيراً ببيته ، ويفخر اذا استطاع يوماً ان يبتني لنفسه علية وسيعة فخمة . واذا قالوا عن رجل انه صاحب بيت كان ذلك بمثابة اطراء له وتعظيم . كما ان رهن البيت او بيعه منقصة ومثلبة .

ولهم في البيت اقوال شائعة وحكم تعكس تعلقهم بالبيت وحرصهم على اقتنائه . يقولون : « كُومة مْن حْجار ولا حِرْج ذهب . البيت اول مقتنى وآخر مبيع . البيت سترة . البيت للآخرة . ببيتي بلحس مستّي وبنام متهنّي . البيت عِزّ . البيت رفع راس . ومن اغانيهم :

« بَيْتي بيتي بْوَيْتَاتِي يا مْسَتّر عَيْبَاتي
فِك بَاكل وْفِك بِشْرب وْفِيك بْمِدّ جْرَيّاتي »



صيرة امام المدّ او القبو او المراح

يحرص القروي على ان يبني بيته الى جانب بيت ابيه او اخيه او قريبه . وقد يسمح الاب لابنه المتزوج ان يضيف الى البناء غرفة ملاصقة يسكن فيها مع زوجته . ومن شدة حرصهم على ان تكون البيوت متجاورة فانهم احياناً ، لاسيما الاقارب منهم ، يبنون بيوتهم « الحيط عَ الحيط » . يعنون بذلك ان حائطاً واحداً يكون مشتركاً

بين بيتين توفيراً لبناء حائط ثانٍ ، فيضع الواحد منهم جسور سقفه على الجدار المشترك . وهذا شائع تجد له شواهد في كل قريـــة لبنانية . وسبب هذا التراصّ في البناء اولاً حرص الاهل على أن يظل الافراد قريبين بعضهم من بعض للتعاون والتسلية ، ثانياً فقدان الامن .

تختلف العلية الواحدة عن العلية الاخرى اختلافاً جزئياً طفيفاً . انما مبدأ الهندسة واحد في كل القرى اللبنانية . وهي هندسة على غاية من البساطة ولكنها تفي بحاجات القرويّ السكنيّة .

العلية غرفة وسيعة مربعة يقوم سقفها على عمود او عمودين[1] (نسبة الى الطول والعرض .) ويقتطع منها جزء يكون مخزناً للمونة ومكاناً لصبغ القماش كما سيأتي وصفه . والعلية ، كما يدل عليها اسمها ، يجب ان تكون علوية اي طابقاً ثانياً . ولكن قد تكون ارضية ، او نصفها ارضي ونصفها الثاني علوي وهو المفضّل . ويفضل الفلاح اللبناني ان يكون موقع عليته في مكان على شيء من الانحدار ، فيبني مدّاً او مراحاً[2] « لجلوس الارض » (راجع الرسم ص ٣٦) ثم يبني عليته بشكل يكون فيه سطح المراح سطيحة او مقعداً ايام الربيع والصيف والخريف .

اما المدّ او القبو فغرفة ضرورية للفلاح . في المدّ يبيّت حيواناته ، ويبني قناً للدجاج ، وفيه يضع ادوات الفلاحة ، وفيه يخزن حطبه وعلف حيواناته من التبن والجزّة والقشر[3] . وسطح المدّ او المراح (راجع الرسم ص ٢٦) ويسمونه سطيحة ، مقعد للعائلة . تظلّل السطيحة عريشة[4]

---

(١) و « العليّة بعمودين » موضع فخر ومباهاة .

(٢) المدّ او المراح ويسمونه ايضاً قبواً غرفة للحيوانات وفيها يخزن علف الحيوانات وحوائج اخرى تقتضيها الحياة الزراعية كادوات الفلاحة . وقد يخزن فيها الفلاح وقوده او بعض غلاله .

(٣) قشر اغصان التوت يجفّف ويعطى علفاً للبقر . والجزّة ما يتبقّى من ورق التوت بعد ان يعطى للديدان .

(٤) تنبّهني الاستاذ يوسف يزبك الى ان هناك قولاً شائعاً ان غرس العريشة قرب البيت استمرار لعبادة باخوس التي عرفها اللبنانيون زمناً .



سقف العلية : ١ الجسر — ٢ نقضة — ٣ سبّاحيات — ٤ عمود العلية

من العنب الاسود او الاحمر ، وحافاتها مسوّرة بفراغات التنك العتيقة او سحاحير خشب او بقايا جرار وخواب خزفية يُقرَم رأسها وتملأ تراباً ويزرع فيها مختلف الزهور : الورد والمنثور والحبق والفل والقرنفل واحياناً شجيرة تفاح تحمل اثماراً كبيرة شهية ذات رائحة عطرية . على السطيحة ينامون في الليالي الحارة ، وعلى السطيحة يقضون السهرة . وجمال السطيحة يعوّض عن قبح المدّ او المرح من الداخل ، فانه غرفة عتمة عفنة ذات رائحة كريهة . وامام المدّ او المراح « صيرة » اي حظيرة للماشية في النهار وايام الصيف (راجع الرسم ص ٣٨) .

جدران العلية وسقفها :

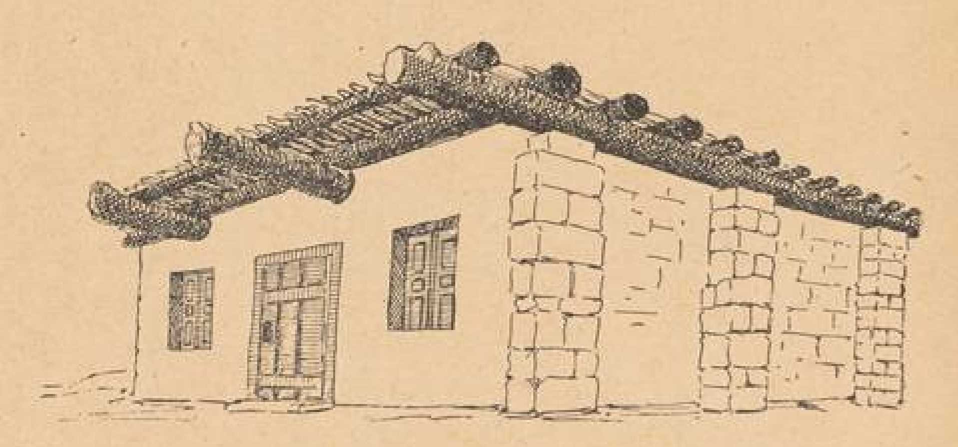
تبنى جدران العلية غالباً من الحجر الغشيم ويسمّونه دبشاً ، وذلك لفقرهم . وطينهم تراب دلغاني لزج يمزجون معه تبناً . امـا الجدار المعرّض للرياح السائدة والامطار العاصفة ، ويسمونها الشَّرْد ، (في لبنان الرياح السائدة ايام الشتاء هي الجنوبية الغربية) فيبنى « كلّين » ، والكلين جدار سميك مزدوج ، اي مبنيّ من حائطين متلاصقين متداخلي الحجارة ويسمّونها رباطات لانها تربط البناء .) اما بقية الجدران التي لا تتعرّض للرياح والامطار « فمفـرّط » ، اي مبنية من جدار واحد . واما عتبات الشبابيك والباب والطاقات فمن الحجر او من لقش الصنوبر[1] ، وهـذا اللقش الغنيّ بالمادة الصمغية صلب حسن المقاومة ويتحمّل ضغطاً عالياً . وقد رأينا في ضيعتنا عتبات من هذا النوع يزيد عمرها على مئة سنة .

اما سقف العلية ، ويسمّى القَلَد ، فيقوم على جسر رئيسي من الصنوبر العتيق يدعمه في الوسط عمود او عمودان (راجع الرسم ص ٤٠) . ثم يضعون جسورا ثانوية تسمّى نقضاً (واحدتها نقضة) تربط الجدران بالجسر الرئيسي . وتكون المسافة بين النقضة والاخرى من ٦٠ – ٧٠ سنتمتراً .

---

(١) اللقش الخشب الاحمر الغنيّ بالمادة الزفتية في قلب جذع الصنوبرة . اما في المناطق التي ليس فيها صنوبر فانهم يستخدمون خشباً صلباً من نوع آخر كالجوز مثلاً .

ويضعون بين النقضة والاخرى قطعاً من الخشب الدقيق (عرضها ٥ – ١٠ سنتمترات) تسمّى سبّاحيّات بطريقة متراصّة لكي تمنع سقوط التراب . وفوق هذا الجهاز الذي يسمّونه القلد طبقة من البلاّن Poterium Spinosum ، او رقاق الحجارة وفوقها طين من تراب دلغاني ممزوج بالتبن وفوقه طبقة من تراب سمكها ١٢ – ١٥ سنتميتراً . وعلى وجه الطبقة الترابية يضعون رشّة من رقاق الحجر الصغير او طبقة من ترابة صفراء شديدة تجفّ في وقت قصير ويسمّونها في بعض القرى



سفارات العلية ، وهي الجزء الناتىء من السطح

« ترابة فلَيْنَسِة » وفي قرى اخرى يسمونها الفِرْس . ويجدلون السطح بحجر اسطواني ثقيل يسمى المحدلة لكي يمنعوا الوكف (ويسمّونه الدّلف)[1] . هذه المحدلة تجرّ بواسطة مقبض يسمى الماعوص (انظر الرسم ص ٤٣) واذا تراكم الثلج شتاء جرفوا عنه الثلج بزحف (انظر الرسم ص ٤٣) .

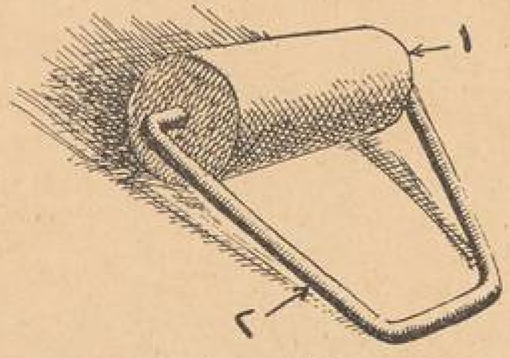
وهذا السقف الذى جئنا على وصفه يكون غالباً ناتئاً عن الجدران مسافة ٦٠ – الى ٧٠ سنتيمتراً . فانهم عندما يقابسون[2] النقض يخرجونه

(١) كلمة سريانية : ܕܠܦܐ .
(٢) المقايسة (والفعل قايس) وضع الجسر والنقض على الشكل الذي وصفناه .

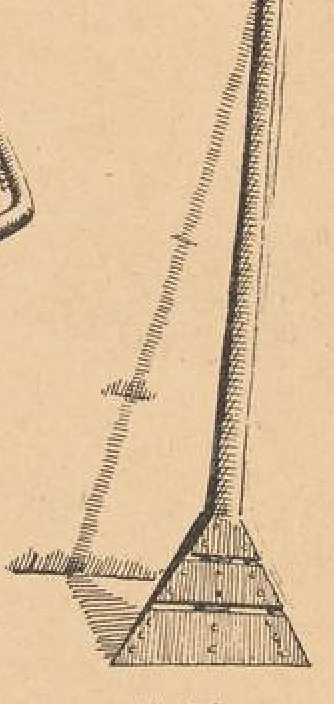
هذا القدر لكي يمنع هذا الجزء الناتىء من السقف (ويسمونه السفارات[١]) سقوط المطر على الجدران الغير المسيّعة . (انظر الرسم ص ٤٢)

العلية من الداخل :

باب العلية منخفض ضيّق ويكون عادة درفة[٢] واحدة . وقفل الباب خشبيّ يسمّى السكّرة (انظر الرسم ص ٤٤) يدخل الداخل الى ما



١ محدلة — ٢ ماعوس



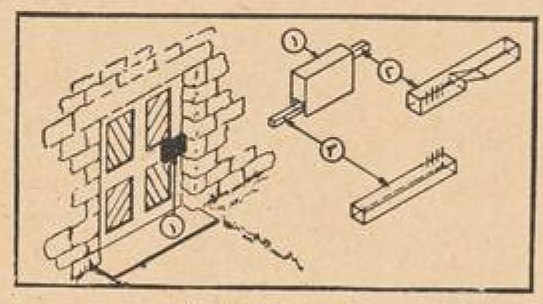
زحف لجرف الثلج

يسمونه « المجاز » وهو كناية عن مربّع ارضه منخفضة قليلاً عن سطح ارض العلية ومبلطة بحجر ناعم صقيل . هنا يخلع الداخلون نعالهم . لا يدخلون الى العلية النظيفة بأحذيتهم ، فان ارض العلية مسيّعة بطين من حوّارة ودلغان يمزج بالتبن ويصقل بمدلكة والدوس عليه يجرح سطحها . وفضلاً عن هذا فان الجلود والحصر والبُسط ، حيث هنالك بسط ، نظيفة لا يجوز تدنيسها . وهناك

(١) كلمة سريانية ܣܦܪܐ . وليس من الضروري ان يكون لسقف العلية سفار بل قد يُكتفى برديف وهي حجارة ناتئة قليلاً تحفظ الجدار من تسرّب الماء اليه .

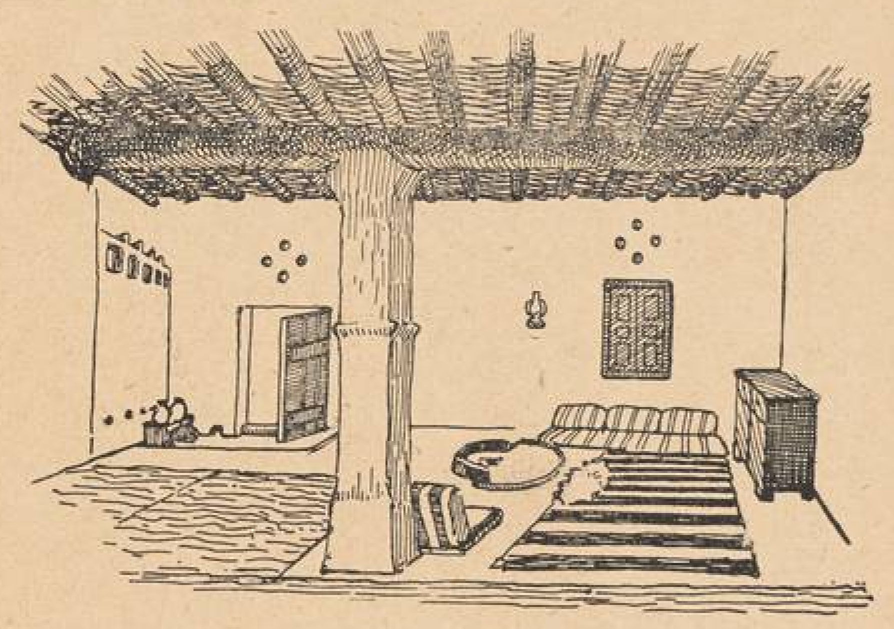
(٢) الدّرفة مولّدة ومعناها احد مصراعي الباب او النافذة .

قرب المجاز مقعد خشبي توضع عليه جرار الماء الخزفية وابريق ودويك .
وبالقرب منه طاقة صغير للقطة (انظر الرسم ص ٤٨)



رسم تقريبي لمبدأ السكرة

قلنا آنفاً ان سقف العلية يقوم على عمود او عمودين يدعمان الجسر الرئيسي ، واذا كانت العلية على عمودين قالوا « صاحب علية بعمودين »



علية كما تظهر من الداخل

اي علية فسيحة وصاحبها غنيّ . والعمود على شيء من الصنعة والزخرف .
على العمود يعلّق السراج . وكان السراج اناء خزفياً يوضع فيه زيت

الزيتون وله فتيلة تتدلّى من على جانب وتضاء . وكان الاغنياء منهم يشترون قنديل كاز نمرو واحد او اثنين . وعلى العمود تعلّق صور المهاجرين . والى جانب صورة المهاجرين ايقونة العذراء او صورة مار جريس او قيصر روسيا (عند الروم الارثوذكس) .

وفي منتصف العليّة « موقدة » من حجارة مسيّعة بالدلغان (راجع الرسم ص ٤٤) وامامها بشكل نصف دائرة حاجز يمنع الرماد يسمّى المَطْلَم[١] . ولم يكن للموقدة مدخنة . ولذا كانت العلية ايامَ الشتاء الباردة دَخِنة ، وسقفها اسود قاتم تتدلّى منه خيوط السناج . وفي آخر الشتاء عندما يستهلكون مونة الحطب اليابس يبدأون بحرق الحطب الاخضر . يجلسون امام الموقد والدخان عاقد فوق رؤوسهم وعيونهم تدمع . غير انهم في السنين المتأخرة بدأوا باقتناء الوجاقات ذات المداخن . ولكننا نذكر عليات لها مواقد من طين لا مدخنة لها .

تُفرَش ارض العلية بالحصر والبلس والبسط وجلود الغنم . امـــا الضيوف فيجلسون على فرش طويلة ضيقة وعلى طراريح مربعة يضعونها امام الموقد . تُحشى الفرش والطراريح بالصوف او القطن . اما الفقراء فيحشونها بالخرق البالية وبعض التبن . والاغنياء منهم يصنعون ما يسمونه مقعداً عربياً ، وهو كناية عن سحاحير[٢] توضع فوقها الواح خشبية وفوق الالواح حَشِيّة من قش القمح او الشعير يعلوها احياناً طبقة من القطن او الصوف . وظهر المقعد مساند قوية شديدة محشوة بالقش ايضـــاً . (راجع الرسم ص ٤٤)

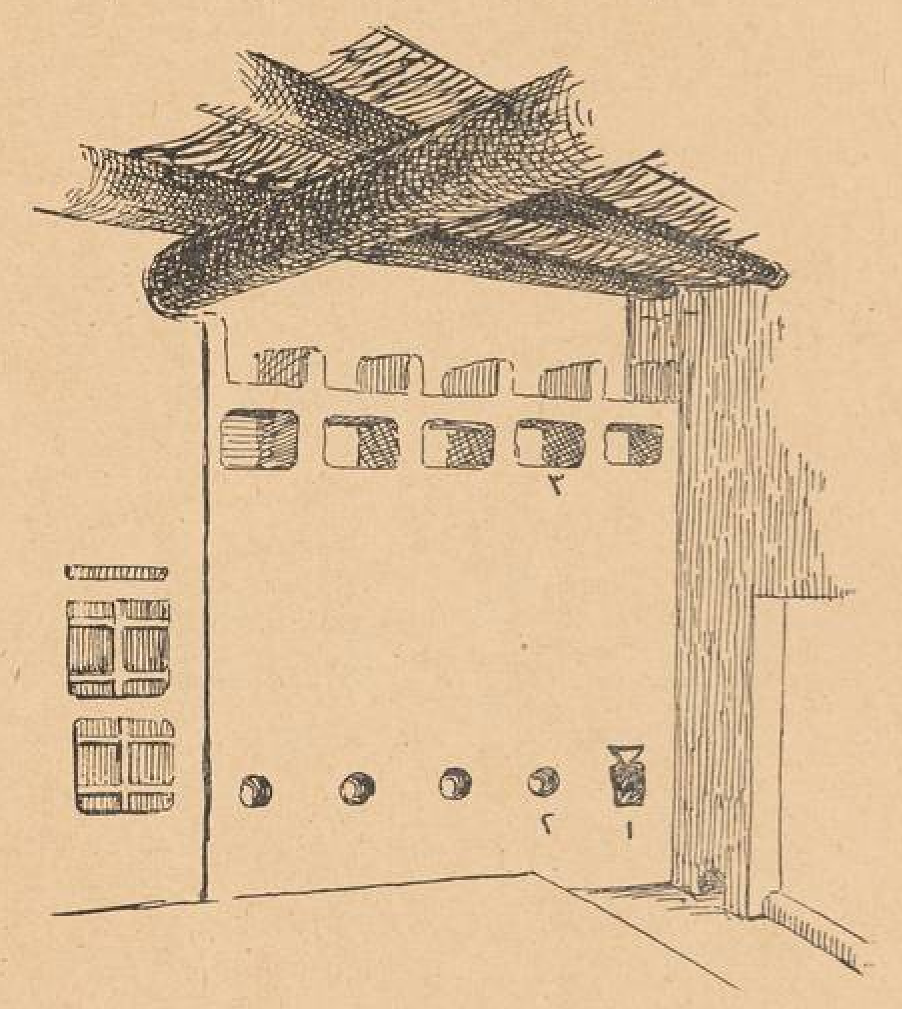
يقتطع جزء من العلية بحاجز خشبيّ دلغاني ليكون غرفـة مونة . ويسمُّون هذا الحاجز سَاطُوين (راجع الرسم ص ٤٦) وهـذا الحاجز سميك يتألف من جدارين متقابلين عـــلى مسافة ٦٠ – ٧٠ سنتيمتراً .

---

(١) وفي بعض القرى يسمونه الحارون .

(٢) ومفردها سحّارة وهي صندوق خشبيّ تُنقَل فيه الخضار والفاكهة .

ويقسّم هذا الجدار الحاجز الى كوابر مربعة كبيرة والى ليوك[١] (انظر الرسم ص ٤٧) . في الكواير يخزنون الحبوب والطحين والصنوبر (حيث



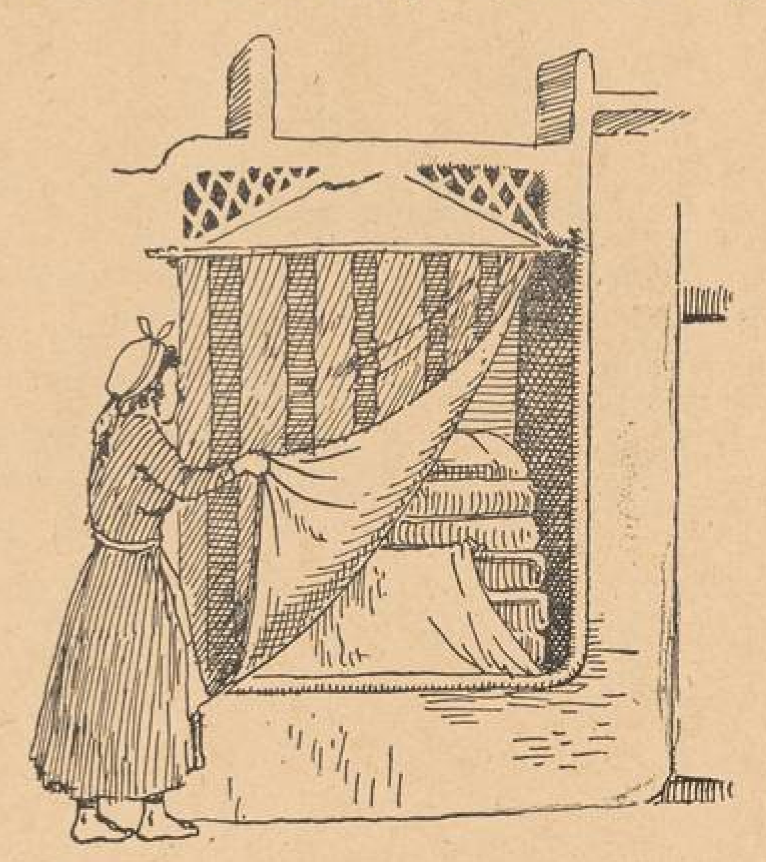
ساطوين : ١ جبّازة ٢ سدّة الكوارة ٣ فم الكوارة

تكثر غابات الصنوبر) . وفي البوك يضعون فرشهم نهاراً . تملأ الكواير من اعلى ، وفي اسفل كل كوارة جبّازة ، وهي جهاز خشبيّ صغير يعمل كقفل في الكوة السفلى التي تخرج منها الحبوب .

---

(١) البوك لفظة تركية : يُوك ومعناها خزانة. وقد اصبحت اداة التعريف جزءا من الكلمة

اما غرفة المونة فصغيرة فيها توضع الحوابي والزبارة[١] والجرار ، وفيها يعلقون مجادل البصل والثوم ومشاكيك (مفردها مشكاك) التبغ والبامية والرمان وما يقدد من الخضار . وعلى رف يضعون مسامن الدهن[٢] او القورما . وقد يكون في غرفة المونة بعض خواب لصبغ القماش .



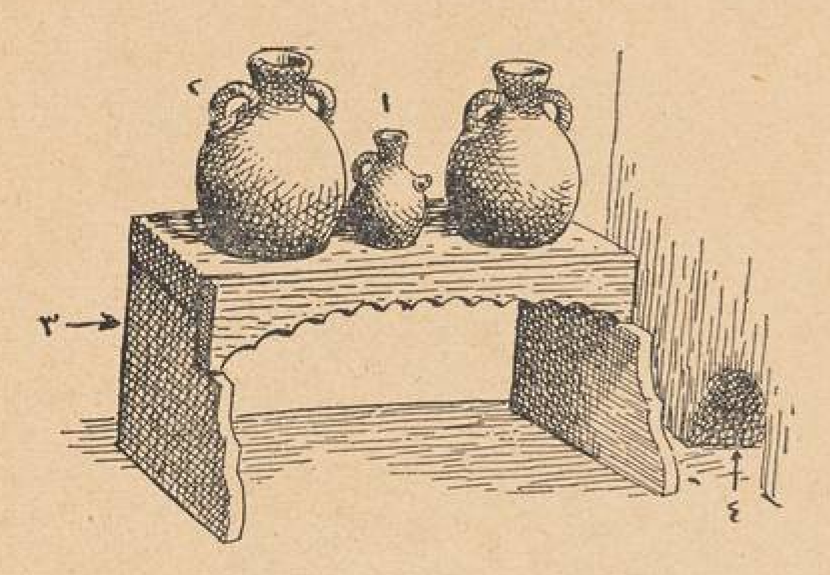
يوك (ليوك) للفرشات

اما ارض العلية فمسيّع بالحوّارة والدلغان الاصفر وعند جبله يضيفون قليلاً من التبن . ووجه السطح صقيل ناعم يمرح[٣] مرة كل اسبوع .

---

(١) جمع زير وهو الخابية الكبيرة .
(٢) سيأتي وصف عمل القورما .
(٣) تمرّح ارضَ الغرفة طلاها بطلاء او غسلها بماء .

يمرحونه بماء الحوّارة والدلغان ، وقبل ان يجف يدلكونه بدلكة ، وهي حجر صقيل ناعم يأخذونه من على الشواطىء او من مجرى نهر . وتتفنّن النساء بالدلك فيرسمن خطوطاً ودوائر ذات شكل هندسي جميل . وللمرح رائحة جميلة تألفها انوف اهل العلية .



١ ابريق بزلومة — ٢ جرّة — ٣ مقعد الجرار — ٤ طاقة البسينة

المصبغة :

وقبل ان نترك موضوع العلية يجدر بنا ان نقول كلمة عن صناعة صبغ الاقمشة . كان لكل قرية مصبغة وصبّاغ . ولكن بعض الناس يصبغون قماشهم في البيت . فكان في كثير من البيوت مصبغة صغيرة في غرفة المونة المقتطعة من العلية .

كانت البسة اللبنانيين الى زمن متأخر من الخام[١] الابيض او المقصور . وكانوا يصبغونه باللون الازرق (النيلة) او الاسود (بالجاز وقشر الرمان ،

(١) الخام قماش قطني ساده لونه اسمر وعند الغسيل يبيضّ شيئاً فشيئاً .

والجاز هو صلفات الحديد Sulphate of Iron) كانت المرأة تأخذ ثوب الخام الى جرن العين . ولكل عين في القرية اللبنانية جرن كبير يخص العموم . منـــه تشرب الماشية وفيه يغسلون ثيابهم اذا شاءوا . تضع القماش في الجرن وتضربه بمخباط ضرباً شديداً لكي يزول عنه النشا . فاذا نظف جففته واعطته لزوجها ليصبغه .

عملية الصباغ بسيطة . تذاب النيلة (للون الازرق ، ويغلى الجاز مع قشر الرمان للون الاسود) وتوضع في خابية . وبعد نقع القماش زمناً يجفف في الظل . ثم يعاد نقعه مرتين اخريين . وبعد الثالثة يغسل القماش بالماء البارد وينشر في الشمس دون ان يعصر منه الماء .

(د) التنور والصاج[1] والفرن :

الخبز[2] مادة القوت الرئيسية . هو قوام الحياة القروية ، ولذا كان الاهتمام بالتنور والصاج والفرن . وقد لحظنا ان اكثر اللبنانيين القرويين يفضلون خبز التنّور على غيره من انواع الخبز . ولا شك في ان التنّور اقدم عهداً من الصاج والفرن .

قد يكون للعائلة تنور خاص ، ولا يمنعونه عن الاقارب والجيران . وقد يكون التنور الواحد مشتركاً بين عائلات قليلة (تنور الحارة) . اما الصاج نسبة لثمنه الزهيد ، فمن متاع البيت يستطيع كل امرىء ان يقتنيه ، والفلاحون الذين يتوفّر لديهم الوقود من ارزاقهم فانهم يحرصون على اقتناء صاج لما في ذلك من توفير في اجرة الخبز .

اما الفرن فانه مؤسسة تجارية وتكاليف بنائه كثيرة ولذا يكون للعموم . يحق لكل فرد من افراد القرية ان يأخذ عجينه الى الفرن ليخبز لقاء اجر معين : كذا ارغفة على المئة (او دراهم) .

---

(١) وبعضهم يقول صاجة ، وهي لفظة فارسية . والتنور لفظة سريانية : ܬܢܘܪܐ .

(٢) سنأتي على ذكر صنع الخبز في الفصل التالي .

التنور :

غرفة صغيرة (٣ أمتار × ٢ ، ٢ × ٤ ، أو ٢ × ٢) حقيرة منخفضة السقف مبنية من الدبش (الحجر الغشيم) لا نافذة لها ولا مدخنة . يحفر في وسط هذه الغرفة حفرة مستديرة عمقها متر او اكثر قليلاً وقطرها متر . ثم انهم ينزلون في هذه الحفرة (ويسمونها جورة التنور) فخارة



امرأة تخبز في تنور وفيه تظهر جورة التنور وعلى جداره رغيف ، والكارة وعليها رغيف عجين ، والى جانب هذا معجن فيها اقراص العجين ، وطبلية .

اسطوانيه ارتفاعها متر وقطرها متر او بعضه . فتكون الفخارة جدران الجورة . يشترون هذه الفخارة من معمل الفخار ويسمونها الفاخورة ، ويترك ارض الجورة على طبيعته لانه مكان للوقود .

تحمل المرأة عجينها وطبليّتها وكارتها[١] وتذهب مع ابنتها او جارتها لتعينها في الخبز . ويكون زوجها قد اخذ لها وقوداً يسمونه « حمي التنور » . تحمي اولاً فخارة التنور باشعال الوقود في اسفل الجورة . ثمّ ترق قرص العجين وتهله وتضعه على الكارة ثم تلصقه على جدار الفخارة لينضج فتسلخه . في هذه الاثناء تكون قد اعدّت قرصاً آخر . وعليها ان تحتفظ بحرارة الفخارة على درجة معلومة . ولذلك ترمي ببعض الوقود بين الفينة والاخرى (راجع الرسم ص ٥٠) .

الصاج :

والصاج لوح من الحديد مستدير مقعّر قطره ٧٠ — ٩٠ سنتمتراً . وهو رخيص الثمن يستطيع من عنده الوقود الكافي ان يقتنيه ويخبز خبزه في بيته . . يبنون للصاج موقداً مستديراً من حجارة تسبّع بالدلغان . وكثيراً ما يبنى موقد الصاج في المدّ او المراح او تحت القنطرة او في الصيرة . ولا تبخل المرأة على جارتها او قريبتها باستعمال الصاج والموقد، واذا كان اصحاب الصاج من الاغنياء بالوقود تكرّموا للفقراء بالوقود ايضاً .



صاج على موقد وعلى الصاج رغيف

الفرن :

اما الفرن[٢] فبناء اكبر حجماً من التنور . واكثر ما يكون موقعه في

---

(١) الكارة حشيّة مستديرة تضع المرأة عليها رغيف العجين لتلصقه على جدار التنور . واللفظة سامية قديمة من جذر « كر » ويفيد الاستدارة .

(٢) والفرن حديث العهد في لبنان . تعلّم اهل الجبل بناءه وطريقة الخبز فيه من اهل المدن او من الفرنجة واللفظة لاتينية الاصل : fornax

الساحة . والفرن كناية عن غرفة كبيرة (٦ أمتار × ٥ واحياناً اكبر من هذا) ولا يختلف بناؤها عن بناء العلية الذي جئنا على وصفه . تقسّم هذه الغرفة الى قسمين في القسم الواحد يخزن الفرّان وقوده : قنيبلة[١] وشيح وبلاّن[٢] وكسر قلوب الصنوبر وجفت[٣] وقليل من الحطب ، وفي القسم الثاني يبنى الفرن .



فرّان الضيعة

اما الفرن حيث يُخبَز الخبز فكناية عن غرفة صغيرة (متر ونصف بمترين) سقفها عقد ارتفاعه من اعلى العقد الى ارض الفرن ٧٠-٨٠ سنتمتراً . ولها باب طوله ٥٠ – ٦٠ سنتمتراً . ارض هذه الغرفة مبلّط بحجارة

---

(١) القنَيْبلة ابر شجر الصنوبر عندما تجف وتتساقط .

(٢) الشيح كلمة عامة تُطلق على شجيرات او اغصان شجيرات مختلفة: السَمَيْسِمة (heather) والوَزّال والغِبَيري والقصعين وخلافها توضع لديدان القزّ لتحوك فيها شرانقها . اما البلاّن فهو نوع من الشوك يزهر ويحمل ثمراً يشبه كبش التوت واسمه العلمي Poterium spinosum.

(٣) الجفت دريس الزيتون بعد عصره .

ناعمة رقيقة . تحت هذه البلاطات يضعون طبقة سميكة من الملح (٥٠٠ - ٧٠٠ كيلو من الملح) لحفظ الحرارة واستمرارها . يحرق الفران وقوده في الفرن الى ان تحمى جميع البلاطات ثم انه ينظفها من الرماد والشومار بخرقة . وبعد هذا يحرق وقوده الى جانب واحد من الفرن مبقياً بعض البلاطات نظيفة للخبز . ثم يأخذ بوضع رقاق العجين على هذه البلاطات . وعليه ان يرمي بالوقود كلما شعر ان البلاطات ليست حامية كما يجب ان تكون .

امام باب الفرن جورة يقف فيها الفرّان وامامه مصطبة مبلطة بحجارة ناعمة صقيلة ترق عليها النساء اقراص العجين . يأخذ الفران الرغيف العجين الذي رقّته المرأة ويهله ويهلّه بقدر ما تتحمل لزاجته ، ثم يضعه على الراحة ويدخله الى الفرن (وسنأتي على ذكر انواع الخبز فيما بعد) .

يتقاضى الفران اجراً مقداره ٥٪ أو ٦٪ واحياناً ٧٪ (اي على كل مئة رغيف يتقاضى ٥ أرغفة او ٦ أو ٧) وفي كل قرية امرأة او نساء يساعدن الخابزات في الرقّ او في حمل العجين من البيت او الخبز الى البيت ويتقاضين اجراً زهيداً جداً (رغيفين او ثلاثة) وجلهن من فقيرات القرية او من الارامل .

(د) المعصرة والمطروف والطاحون :

هنالك نوعان من المعاصر : معصرة لصنع دبس العنب ، ومعصرة اخرى لاستخراج الزيت . وفي هذه المعصرة ، معصرة الزيت ، يصنع دبس الخروب ودبس الزبيب كما سيأتي شرحه .

(اولا) معصرة دبس العنب

وهي على غاية من البساطة ، وقد تُنشأ في الكروم توفيراً في نقل العنب . وقد تكون في الضيعة . والمعاصر التي في الكروم ، والتي رأينا

منها جملة ، تتألف من سطح صخر طبيعي[١] متحدّر قليلاً يصلح ان يكون « بيدراً » . والبيدر في لغتهم مكان صالح لدوس العنب قصد عصره . وعند نهاية السطح الصخري المتحدّر يضعون آنية : براميل او خلاقين او خوابي كبيرة يتجمّع فيها العصير . وهنالك في الجهة المقابلة ثقب لجسر يستعملونه ثقلاً للضغط . ثم هنالك موقد كبير يبنونه عند



صبايا يدسن العنب بارجلهنّ

شوار يكون داخلاً في الحائط ويتركون له منفذاً للدخان . ويضعون فوق الموقد خلقيناً كبيراً يغلون فيه عصير العنب (انظر الرسم ص ٥٥).

بوضع العنب اكداساً في اعلى المتحدّر الصخري ويرشّ عليه تراب الحوّارة ويداس بالارجل (ويسمون الذين يدوسون العنب ويشتغلون بالمعصرة جراذين) فيسيل العصير الى البراميل او الخوابي . وزيادة في

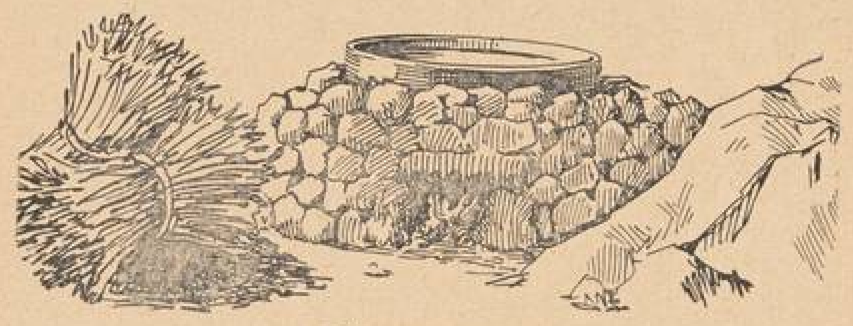
---

(١) اذا لم يكن هنالك صخر طبيعي يصلح ان يكون مكاناً للعصر فانهم يبلطون بقعة صغيرة ببلاطات خشنة السطح ولكن محكمة البناء، او يبلطون البيدر بركّة كلس ورمل وبحص

العصر يجمعون الجماش[١] عرمة ويحزمونه حزمة بقضبان الدالية ويسلطون عليه ثقلاً جسراً كبيراً كما ترى في الرسم . ثم ينقل هذا العصير الكدر



طريقة عصر العنب بعد دوسه بالارجل



خلقين معصرة دبس في الكروم

الى الخلقين ويسلق ، اي يغلى قليلاً . ثم ينقل مرّة اخرى الى براميل لكي يروق ، اي لكي يترسّب التراب والبقايا الرفيعة من لبّ حبة

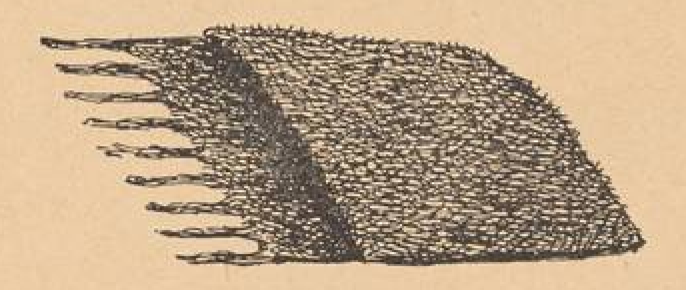
(١) الجماش في مصطلحهم عناقيد العنب وقشرته وبزره بعد ان يكون قد ديس بالأرجل وعُصر

العنب فيصبح العصير صافياً صافياً « كعين الديك » كما يقولون . ثم انهم ينقلون هذا العصير الصافي الى الحلقين ويغلونه الى ان يتخثّر . هذا هو دبس العنب ، ولونه احمر غامق . ثم انهم يضعونه في خواب خزفية « ويطرفونه » اي يضربونه بقضبان التين فيشتد ويصبح كالعجين الشديد ، ويتغيّر لونه الى ذهبي ويسمونه دبساً مطروفاً . وقد لا يطرفونه فيبقى دبساً سائلاً . غير انهم يفضلون الدبس المطروف .

(ثانياً) معصرة الزيت

وفيها يصنعون ايضاً دبس الخروب ودبس الزبيب . وهذه المعصرة غرفة كبيرة مستطيلة مجهّزة بالامور الرئيسية التالية :

(ا) المدرس   (ب) المكبس   (ج) التباغير والحلقين

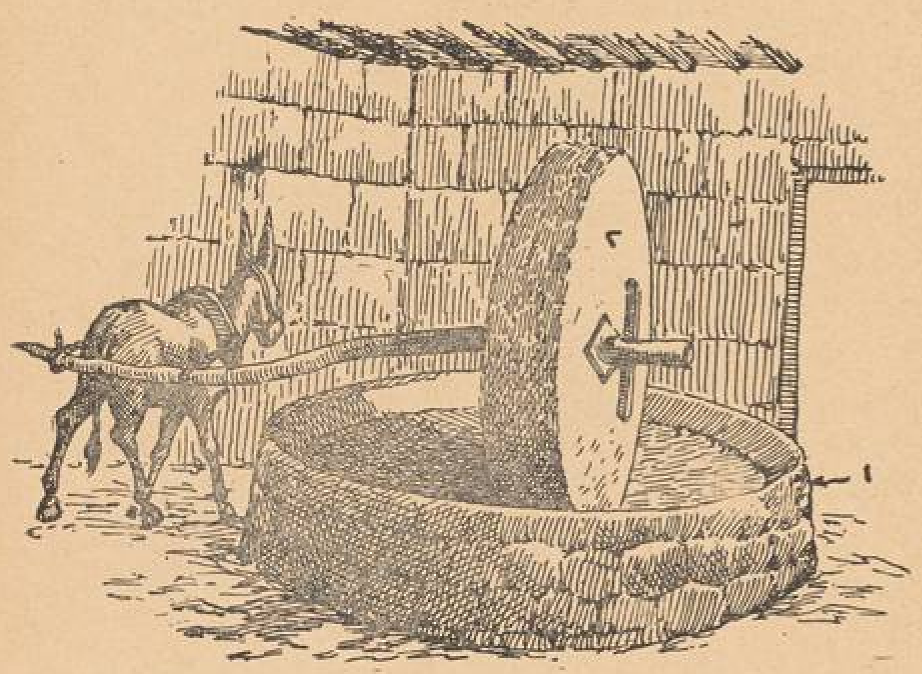


قفة شعر ماعز

(ا) المدرس :

وهو المكان الذي يُدرَس (اي يسحق) عليه الزيتون والخروب والزبيب . تبنى في وسط المعصرة مصطبة مستديرة قطرها متران (وقد تكون اصغر او اكبر من هذا) وعلوها عن ارض المعصرة متر او اكثر قليلاً . وارض المصطبة مبلطة برقاق من الحجارة الصلبة ذات الوجه الخشن ، ومرصوفة رصفاً محكماً لكي لا يتسرب عصير الزيتون بين الشقوق . وفي وسط المصطبة يقوم عمود خشبي متين قائم على نقطة ويتصل بسقف المعصرة حيث ينتهي بنقطة اخرى . يسمون هذا العمود « العروس » ويثقب عند منتصفه لكي يربط به حجر الرحى القائم على حافتـــه .

ويسمون حجر الرحى « الزغل » . والزغل كناية عن حجر مستدير ضخم ثخانته من ٣٥ — ٤٠ سنتمتراً وقطره متر او اكثر يدور على حافته . يدار الزغل بواسطة البدّ[١] ، وهو خشبة متينة مربوطة الى الزغل . ويدير البدّ حمار او كديش او احياناً عملة يسمونهم جراذين المعصرة.



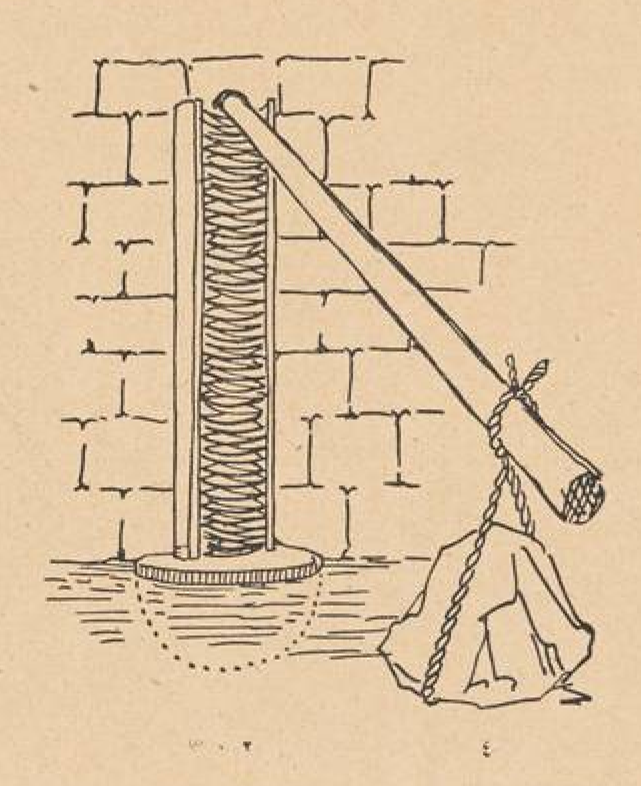
معصرة للزيت ولدبس الخروب والزبيب : ١ المدرس — ٢ الزغل

(ب) المكبس :

وهو جذع شجرة طويل قطره لا يقل عن ٤٠ سنتيمتراً يسمونه الباقوف . يجوّف هذا الجذع ويركّز في جدار من جدران المعصرة ، وعند اسفله يضعون في حفرة خابية كبيرة خزفية يسمّونها الجِج ّ . وعند اعلى الجذع المجوّف ، او الباقوف ، يضعون جسراً يسمونه السّهم ، وهو القوة الضاغطة . يوضع الزيتون المدروس في قفف من الخوص او في خرق مربّعة من شعر الماعز (انظر الرسمين ص ٥٦ و٥٨) وتنضد في الباقوف

(١) لفظة سريانية حَبًا وتطلق ايضاً على الجسر الضاغط الذي يسمونه السّهم .

الواحدة فوق الاخرى ثم يضغط على السهم فيكبس القفف المنضّدة فيسيل الزيت الى الجِحّ . ويكون الضغط تدريجياً اولاً لكي لا يدفق الزيت



صورة المكبس: ١ السهم - ٢ ، ٣ الباقوف مع الجِح - ٤ الخرص

دفقاً فيسيل بعضه الى الخارج . ويتابعون الضغط على السهم الى ان يصل الى الارض . ثم يُرفع وتوضع فوق القفف قطع من الخشب (مربعة او مستديرة) ويعاودون ضغط السهم . واخيراً ، وزيادة في القوة الضاغطة ، يربطون السهم بثقل ، حجر كبير ، يسمونه الخرص[١]

يسمون الزيت الناتج عن اول عصرة « زيت قطف » . ثم انهم يأخذون القفف ويفرغون الجفت (والجفت ما يتبقى من الزيتون بعد عصره)

---

(١) والخرص ايضاً حجر في الحائط له ثقب يربطون به الدّابة .

على لوح حديدي كبير موضوع فوق موقد ويسكبون عليه بعض الماء ويوقدون تحته لكي يسخن . يحركونه بملعقة خشبية كبيرة يسمونها الربش. وعندما يسخن يعيدون وضعه في القفف ويعصرونه مرّة اخرى . والزيت الناتج من هذه العصرة الثانية يعتبر زيتاً من الدرجة الثانية ، ويسمونه « زيت صوصة » ويستعملونه في صنع الصابون .

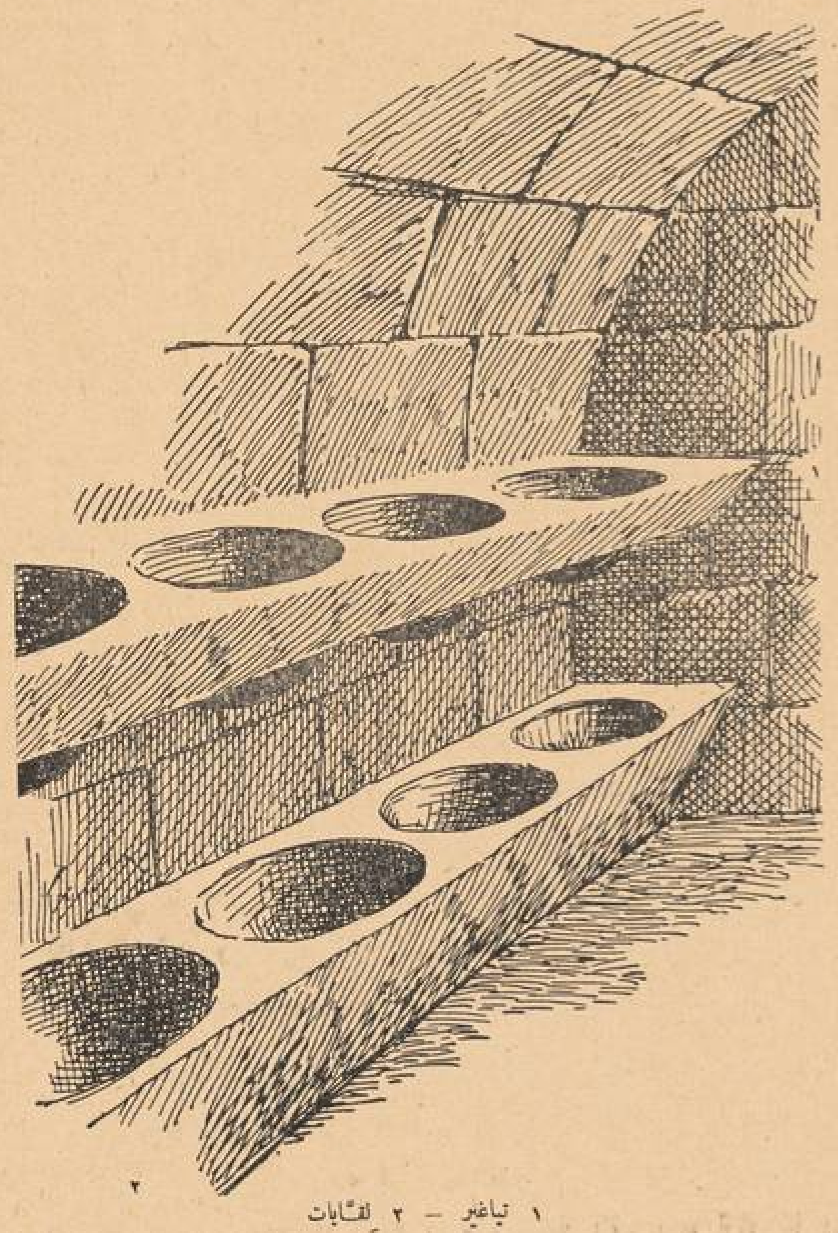
هذه الطريقة البدائية لاستخراج الزيت لا تكفل استخراج الزيت كله بل يبقى شيء منه في الجفت (٦٪ ، او ٧٪ ، او ١٠٪ تبعاً لمهارة صاحب المعصرة) . وقد نشأت في الآونة الاخيرة معامل لاستخراج الزيت من الجفت . اما الجفت فيباع وقوداً لاصحاب الافران والمعاصر

(ج) التياغير والخلقين :

ومفردها تيغار . وهو اناء خزفي كبير مستدير مقعّر قطره من ٦٠ – ٧٠ سنتيمتراً يسع من ٧٠ – ٨٠ لتراً من الماء . توضع هذه التياغير على مصطبة مرتفعة (انظر الرسم ص ٦٠) . وعدد التياغير في في المعصرة يتوقف على كبر المعصرة او صغرها (من ٣ – ٦) . توضع التياغير في صفّين الواحد فوق الآخر . اما التيغار الفوقاني فمثقوب في اسفله ويسدّ الثقب بفلينة او بخشبة . ويسمون التيغار التحتاني لِقّابة (لانه يتلقى ماء التيغار الفوقاني) . في التياغير الفوقانية يُنقع الخروب المدروس او الزبيب المدروس لتذوب المادة الحلوة منه . ثم يُفتح السداد في قعر التيغار الفوقاني فينزل الماء الى اللقّابة . ثم يُعاد ماء اللقابة الى اعلى ويتابعون هذه العملية الى ان يتأكد صاحب المعصرة ان المادة السكرية قد ذابت تماماً . ثم يغلى الماء الى ان يتخثّر .

تجمع غلة الخروب في شهر آب ، وتدرس اعكاش (مفردها عكش) الخرّوب في مدرس المعصرة في اواخر الصيف بعد ان يكونوا قد جففوها جيداً في شمس الصيف . ثم ان هذا الدريس يترك مدة طويلة . وقد قال لي خبير في صنع دبس الخروب انه من الضروري ترك الخروب

المدروس مدة ٣ اشهر لكي يسكّر (اي الى ان تتحوّل المادة الحلوة فيه الى بلّورات السكّر المرئية) . ولكن لان الطلب على الدبس يبدأ في



١ تباغير — ٢ لقّابات

اول تشرين الثاني ، ولان السعر يكون حسناً فان صانعي الدبس يبدأون

صنع الدبس في اواخر تشرين الاول وهو خطأ في الصناعة على زعم الثقاة منهم .

يؤخذ الخروب الدريس ويُنقع اي يُبَلّ في التباغير ولهم طريقة خاصة في نقل ماء الخروب من تبغار الى آخر الغاية منها ان يتأكد الصانع ان دريسه لم يعد يحتوي على شيء من مادة السكّر[1] . ينقل ماء



خلقين الدبس

الدريس الى خلقين من النحاس كبير مركّز على موقد كبير وهناك يغلي ويشلّى[2] بمغرفة خشبية كبيرة . وتشليته للاسراع في تبخّر الماء. وعندما يحمرّ ويتكثّف ماء الخروب يعرفون انه قد نضج فيتركونه

---

(١) يأخذ صاحب المعصرة شيئاً من الدريس المنقوع ويذوقه فان وجد ان لا طعم للحلوى فيه تأكد من ان زمن النقع قد مضى .

(٢) شلي الحساء او الماء او عصير العنب والخرّوب رفعه بملعقة او بمغرفة واعادة صبه من علٍ حتى يساعد في زيادة التبخّر .

في الخلقين الى ان يبرد ثم يضعونه في خواب كبيرة . ينقلونه الى الخوابي بواسطة مغرفة خشبية يسمونها الكولك . ودبس الخروب طعام غنيّ بالمادة السكرية ويؤكل مع الطحينة (زيت السمسم) ويعتبر اكلة مفتخرة .

اما الزبيب فيدرس على المدرس وترشّ عليه الحوّارة (كما يفعل عند صنع دبس العنب راجع ص ٥٤) ويترك زمناً الى ان ينتهي صاحب المعصرة من صنع الزيت ودبس الخروب (اي في الشتاء) ويؤخذ الزبيب المدروس وينقع في التباغير ، ولا تختلف عملية صنع دبس الزبيب عن دبس الخروب .

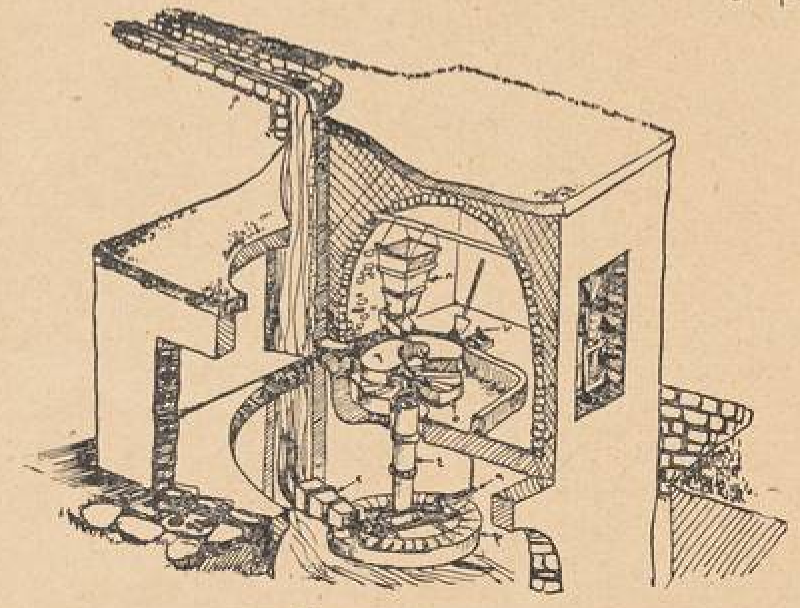


كولك

(ثالثاً) الطاحون والمطروف :

تجرّ مياه الانهر او الينابيع الغزيرة في قناة الى مكان يصلح علوه لتساقط المياه فادارة حجر الرحى . يتألف الطاحون من قناة تنتهي بكور عال قطره ٥٠ — ٦٠ سنتيمتراً وينتهي عند اسفله بفوهة لا يزيد قطرها عن ١٠ سنتيمترات . يسلّط منفذ هذه الفوهة على الفراش . والفراش عجلة كبيرة قائمة على نقطة ومجهز باضلاع خشبية عريضة مائلة بحيث ينصبّ عليها الماء فيحرّك الفراش . يقوم في وسط الفراش عمود ينفذ الى وسط جورة الطاحون حيث هنالك حجر ثابت كبير مستدير قطره بعض المتر او اكثر قليلاً ومثقوب في وسطه لينفذ منه العمود المركّز على الفراش . ثم انهم يضعون حجراً آخر فوقه مربوطاً الى رأس العمود . فاذا تحرّك الفراش بواسطة ضغط الماء المتساقط تحرّك الحجر المربوط الى رأس العمود القائم على الفراش . ثم انهم اذا ارادوا منع الماء من الانصباب على اضلاع الفراش وضعوا عند الفوهة لوحاً

خشبياً عريضاً ينزلق عنه الماء الى خارج الفراش . هـذا اللوح مربوط بحبل او عود طويل يسمّى الدالية (لانه اكثر ما يكون جذع دالية) ينتهي في غرفة الطاحون فيجرّه الطحّان عندما يريد ادارة الفراش ثم يعيده الى مكانه اذا اراد وقف ادارة الفراش . هذا هو المبدأ الذي يقوم عليه انشاء الطاحون .



رسم تقريبي للطاحون المائي

١ قناة الطاحون — ٢ فوهة القناة — ٣ الفراش — ٤ العمود الذي يحرك الرحى
٥ حجر الطحن التحتاني — ٦ حجر الطحن الفوقاني — ٧ الدالية — ٨ الكور
٩ لوح خشبي لمنع الماء من تدوير الفراش

يوضع القمح او الشعير او الذرة المنوي طحنها في الكور . وينتهي الكور بمنفذ يتساقط منـه الحبّ في نقرة في وسط الرحى . ويضعون فوق الرحى خشبة صغيرة مربوطة بخيط الى الكور تسمّى الطرطاقة فاذا تحرّك الرحى اهتزّت الخشبة وتراقصت . وهـذا الاهتزاز يتصل بالكور فيحركه حركة خفيفة جداً مما يسهل تساقط الحبّ بانتظام .

يقع الطحين في جورة الطاحون وعنـد الفراغ من الطحن يوقف الطحان الفراش ويجمع الطحين ويضعه في كيس .

المطروف :

يصلح الطاحون ان يكون ايضاً معصرة للزيت ، وفي هذه الحال يسمّى المطروف . يضيفون الى غرفة الطاحون باقوفاً كالذي وصفناه عند كلامنا عن معصرة الزيت . اما دراسة الزيتون فتتمّ بازالة حجر الرحى الفوقاني وتركيب سيفين متقاطعين يركّبان في اعلى عمود الفراش (انظر الرسم ص ٦٣) ويكون بينهما مسافة قصيرة . فاذا تحرّك العمود تحرّك السيفان المتقاطعان وقشرا لبّ الزيتون الموضوع في الجورة . ثم ان عملية استخراج الزيت لا تختلف بشيء عن طريقة استخراجه في معصرة الزيت . انما الفارق هو ان الزيت المستخرج في المطروف لا يكون قد امتزج بالنوى المسحوقة ، لان دراسة الزيتون في معصرة الزيت تسحق النوى ايضاً . اما في المطروف فان النوى لا تسحق بل يقشر عنها اللب قشراً مما يجعل طعم الزيت افضل .

(و) المشحرة :

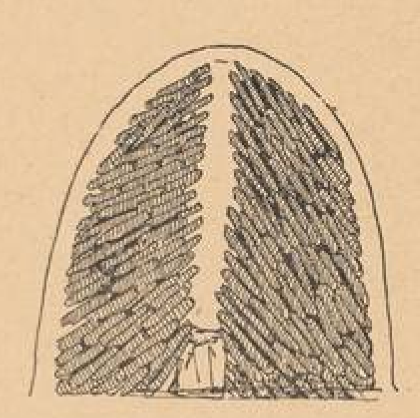
المشحرة كلمة سريانية مشتقة من جذر « شحر » ويفيد السواد . وفي عامية لبنان يشتقون من الاسم فعلاً : مَشْحَر اي صنع فحماً ، والذي يصنع الفحم يسمونه مِشحرجي . وهي صناعة آخذة بالزوال . وكلنا نرغب في ان نرى اليوم الذي يُمْنَع فيه الفلاح من قطع اشجار الاحراج لصنع الفحم . وان اليوم لآت عندما يصبح في مقدور القروي ان يطبخ ويتدفأ على الكهرباء ! ولكن الى ان يأتي ذلك اليوم سيظلّ اللبناني يعتمد الفحم مادة للوقود :

يصنع الفحم من عود السنديان والملول والبطم والاشجار التي حطبها على شاكلة السنديان والملول : قاس صلب . لا يصلح عود الصنوبر والكرم والتين والتوت وما شاكلها لصنع الفحم فان جمرته لا تدوم طويلاً بل تحترق بسرعة . افضل الحطب حطب السنديان .

يصنع الفحم من الحطب الاخضر . العود اليابس لا يصلح لصنع

الفحم . تقطّع الاغصان الى عيدان طولها من ٢٥ – ٣٠ و ٣٥ سنتيمتراً . واذا كانت الجذوع غليظة فلقّوها وقطعوها الى عيدان من ذات الحجم والطول المطلوبين .

يمهّد المشحرجي ارضاً يسميها البيدر لانها لا تختلف حجماً وشكلاً عن بيدر دراسة الحنطة والشعير . ثم انه يضع في منتصف البيدر حجراً مستطيلاً يسميه الام ارتفاعه من ٣٠ – ٣٥ سنتيمتراً ويبدأ ببناء هرم مخروطي . يلقي العيدان الاولى على الحجر بانحناء قدره ٥٠ او ٦٠ درجة . ثم انه يضع صفاً آخر وآخر حريصاً ان تتسع الدائرة من اسفل وتضيق من اعلى كما ترى في الرسم . يظل يبني صفوفاً من عيدان متراصة الى ان يصل علواً لا يستطيع بعده ان يصل اليه . وقلّ ان يزيد علو المشحرة عن ١٨٠ سنتيمتراً وقطرها عن مترين او اقلّ قليلاً . وعلى المشحرجي ان يبقي في وسط نصفها الاعلى فوهة قطرها ١٥ – ٢٠ سنتيمتراً لوضع بضع جمرات او لحرق عود او عودين من الحطب اليابس لبدء عملية الاحتراق . عندما يتمّ تنضيد العيدان على الشكل الذي وصفناه يبني حول المشحرة دائرة من حجارة على بعد ١٠ او ١٥ سنتيمتراً من العيدان ، ويضع في هذه الدائرة حول العيدان بلاّناً واغصان السنديان الرفيع (ويسمونه بربيص.) يسمون هذه الدائرة الجديلة . ووظيفة الجديلة ان تسمح لبعض الهواء بالنفاذ الى قلب المشحرة . ثم انه يغطي عيدان المشحرة بطبقة من البربيص والبلان وسائر الاغصان الخضراء ويغطي هذه الطبقة بطبقة اخرى من التراب الناعم مبتدئاً من اسفل . يضع رفشاً من تراب ثم فوقه رفشاً آخر برفق ثم رفشاً آخر وهكذا دواليك



مشحرة : مقطع نصفي منه تظهر كيفية تنضيد قطع الحطب

الى ان يغطي المشحرة كلها تاركاً الفوهة مفتوحة لادخال النار . واذا انتهى الى هنا ادخل النار الى الفوهــة في راس المشحرة . واذا علم ان النـار بدأت بالاحتراق غطى الفوهة بالاغصان الخضراء ثم بالـتراب . وتبقى النـــار مشتعلة بواسطة الهواء النافذ اليها من الجديلة . ولكن ادخال الهواء يجب ان يكون بمقدار لانه اذا كثرت منافذ الهواء الى قلب المشحرة احترقت واصبحت رماداً . يعلم المشحرجي بالاختبار ان الاحتراق يجب ان يكون معظمه بدون هواء (او كسجين) ولذلـك يحرص الا يكون في المشحرة نوافذ صغيرة ينفذ منها الهواء الى الداخل . ولذا تراه يراقب منافس الدخان .



مشحرة كما تظهر من الخارج

بعد يومين او ثلاثة (تتوقف المدة على حجم المشحرة) عندما تنقطع دلائل الدخان الخارج من الجديلة يعرف المشحرجي ان حرقها قد تمّ . فيبدأ بنبشها . ونبش المشحرة يجري حسب اصول . فانه اذا فتح ثغرة في المشحرة وكان اليوم يوم ريح او نسيم قوي فان المشحرة تلتهب وترمّد . وكثيراً ما تقع حوادث مثل هذه اذا لم يكن المشحرجي حريصاً منتبها . يتمّ النبش شيئاً فشيئاً وكلما سحب فحمة مرّغها في التراب الناعم ليتأكد من انها لن تحترق اذا لامست الهواء . ويجب ان تكون الثغرة التي يسحب منها الفحم مغطاة بالتراب الناعم . وعليه ان يكون مستعداً اذا لحظ بدء احتراق ان يطفئه بالتراب الناعم المعدّ لذلـك .

عندما يبرد الفحم يعبئه في اكياس واضعاً المكسور الرفيع في اسفل الكيس ويبقي احسن العيدان للتوجيهة[١] ! واحياناً يضع المشحرجي في

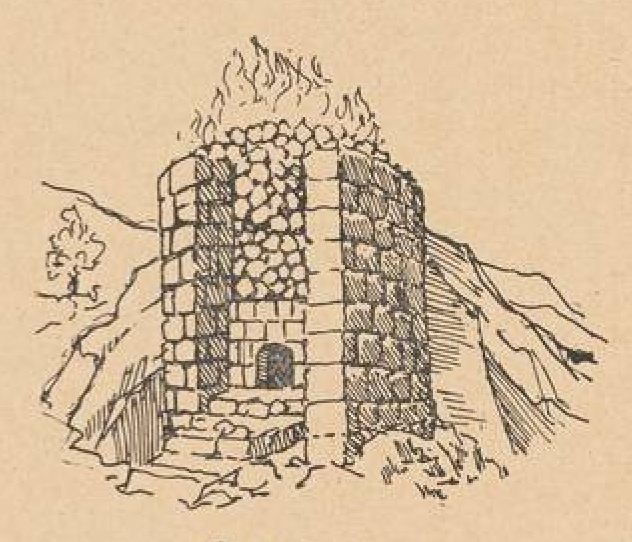
---

(١) التوجيهة احسن الخضار او الفاكهة التي يضعها الفلاح على وجه السلّة او الصندوق او الكيس .

آخر الكيس رفشاً او رفشين من التراب الاسود . ولكن الذين يشترون الفحم يعلمون مسبقاً ان آخر الكيس ليس كأوّله !

(ز) الاتونه :

ويسمونه ايتون وبعضهم آتون . والكلس مادة ضرورية للبناء ولطرش جدران الغُرف . والاتون لفظة قديمة ربما من البابلية من جذر سامي



الاتون كما يظهر من الخارج

مشترك « تن » ومعناه الدخان . والمتجوّل في الجبال اللبنانية ربيعاً وصيفاً يرى مرّة بعد اخرى عموداً من الدخان الاسود مرتفعاً في الوعر فيعرف ان بعضهم يحرق اتوناً .

يبنى الاتون في الاماكن التي يكثر فيها الوقود (في الاحراج الخاصة والعامة ، اي المشاع .) عندما يقطع اللبناني احراجه ، سواء أكانت خاصة ام عامة (مشاع) يبيع العيدان الغليظة حطباً للوقود ، والاغصان الرفيعة والورق وقوداً للاتون . وكذلك عندما يشحلون اشجار الصنوبر . فانهم يأخذون الاغصان الغليظة ويبيعونها حطباً ويجمعون الرفيعة منها

حزماً (ويسمونها قنيبلة) ويبيعونها لصاحب الاتون باثمان بخسة . وصاحب الاتون لا يربح كثيراً اذا اشترى كل وقوده من اصحاب الاحراج بل انه يبدأ بجمع الشيح والشوك والبلان والجربان من الارض الوعرة . حرق اتون كبير يحتاج الى بضع مئات من حملات الوقود ، والحملة زنتها ما يحمله العامل العادي (٥٠ – ٦٠ كيلو) . واصحاب الاملاك لا يعترضون مقتلِعَ الشوك والجربان لا بل يرحبون بمن يقتلع الشوك والجربان من ارضهم .

يبنى الاتون حسب هندسة خاصة . اولاً يجب ان يكون موقعه عند سفح ، اي يجب ان يكون نصفه مبنياً الى جانب جبل او ارض مرتفعة ، ونصفه الآخر طليقاً . (راجع الرسم ص ٦٧) . يبدأ باني الاتون بتفريغ التراب من جانب السفح الى ان يتمّ عنده نصف دائرة كبيرة قطرها من ٥ – ٧ أمتار . ثم انه يبدأ ببناء الشرّاق ، وهو المنفذ الذي يدخل منه الهواء لاحتراق الوقود . والشراق نفق كبير مسقوف بالحجارة الكبيرة بابه الخارجي متر بمتر . ثم انه يضيق رويداً رويداً الى ان يصل الى نصف دائرة الاتون . ويبني في ارض دائرة الاتون قناتين اخريين مسقوفتين بالحجارة ومتصلتين بالشراق . ووظيفة هاتين القناتين المتقاطعتين توزيع الهواء في ارض الاتون ليكون الاحتراق سريعاً وشديداً . واذا انتهى البنّاء من بناء الشرّاق والاقنية في ارض الاتون يبدأ ببناء جدران الاتون . اما في الجهة الطليقة (الجهة التي لا تستند الى جانب السفح) فانهم يبنون مصاطب متدرّجة ويطمرونها بالتراب . غير انهم يتركون منفذاً عند وسطه لقذف الوقود الى جورة الاتون .

عندما يريدون صنع الكلس يقطعون حجارة من الصخور الكلسية البيضاء . وبناء الحجارة وتنضيدها في جورة الاتون فن لا يتقنه الا اربابه . من الحجارة المنويّ حرقها يبنون اولاً عقداً كبيراً في وسط جورة الاتون . واذا تمّ بناء الحجارة الضخمة بشكل عقد متين بدأوا بملء الاتون بالحجارة الصغيرة والكبيرة فوق العقد . يضعون في الاتون من ٢٠٠ – ٤٠٠ طن من الحجارة . ثم يبدأون بحرقه . ولا يحرقون اتوناً

الا بعد انقضاء فصل الامطار ، لانه اذا امطرت الدنيا على اتون محروق فسد الكلس وخسر اصحابه مبالغ كبيرة .

يستغرق حرق الاتون مدة تتراوح بين ٧ و ١٠ أيام (يتوقف ذلك على حجم الاتون) . ويتطلب عمالاً لا يقل عددهم عن ١٠ او ١٢ ذلك لان العامل لا يستطيع ان يقف امام باب الاتون ليقذف بالوقود اكثر من ساعتين . ثم يتناوبون العمل . ويجب الا تنقطع النار ابداً . وعندما يلحظ حارق الاتون ان طبقة الحجارة التي على وجه الاتون احمرّت كثيراً ومال سطح الحجر الى البياض اوقف النار . وعندما يبرد الاتون (بعد اسبوع او اكثر) يعبئون الكلس باكياس فينقله المكارون الى المدن والقرى . اما اليوم فينقلونه الى الطرق العامة فتنقله سيارات الشحن .

(ح) عين الضيعة :

لم يعد لعين الضيعة ما كان لها في سالف الايام من مقام اقتصادي واجتماعي . ولكن في الاغاني اللبنانية والزجل اللبناني حنيناً الى العين ، فان للعين ذكريات في قلوب الجميع ، ودرب العين درب الغوى والتصابي ، والملقى على العين بريء حلو .

اما اليوم فان اسالة الماء الى القرى فالبيوت قد خلّفت العين اثراً من آثار القرية . والواقع ان من يزور القرى يرى عيوناً كثيرة مهجورة او تكاد تكون مهملة . وقولنا هذا لا يعني ان من له ملك يُسقى من ماء العين لا يستفيد من العين ، وانما العين التي عرفناها في طفولتنا حيث تزدحم النساء والصبايا صباحاً وظهراً ومساء للاستقاء وللقال والقيل وللعتاب وللعراك احياناً وحيث يلتقي صاحب « طرش »[1] بصاحب « طرش » فيتحادثان ، او حيث كان الناطور يقيّل قيلولة الظهر ، او حيث

(١) الطرش الماشية : بقر وغنم وماعز .

كان ينام الراعي ساعة الحرّ ويربح قطيعه تحت السنديانة العظيمة او الجوزة الوارفة الظلال او الزنزلختة (الازدرخت) ذات القرقارة[١] القديمة، كل هذه المظاهر في طريقها نحو الزوال .



عين الضيعة : ١ الصهريج او الحقان حيث تتجمّع المياه الفائضة — ٢ جرن حجري لتشرب منه الماشية او لغسل الثياب .

قد يكون في القرية اكثر من عين واحدة عمومية يشرب منها كل الناس ويسقي منها من له حق بالسقاية مورروث . والعــــين في القرية مجهولة التاريخ الأ النادر منها . يقولون لك : جدودنا حفروها ، جدودنا بنوها ووضعوا الجرن الكبير لشرب الماشية وجرناً صغيراً تغسل فيه النساء الثياب وحوضاً كبيراً يُبحّر[٢] فيه الصبّاغ القماش قبل صبغه وبعد صبغه .

---

(١) الجذع العظيم الغليظ الذي نخر السوس لبّه .
(٢) بحّر القماش غسله اول مرّة لازالة النشا عنه ولمعرفة مقدار انكماشه ، والاسم التبجير

غير اننا وجدنا في قريتنا (راس المتن) نقشاً على حجر فوق مزراب العين عليه نقش مؤرخ يعود الى ٥٠٠ سنة ويذكر صاحب النقش نفقات الحفر والبناء ، ويذكر ان المال من الغرامات التي كانت تُفرض على الناس.

وللعين محقان او بركة كبيرة او صهريج تنصب فيه المياه التي تفيض عن ماء الشرب . والارزاق التي « يركبها »[1] المحقان او البركة او الصهريج لها حق الريّ وذلك حسب حقوق معيّنة موروثة .

يقسّمون حقّ استعمال الماء للري الى عَدَادين ، جمع عدّان[2] . والعدّان زمن معين : ساعتان ، ٣ ساعات ، نصف نهار ، او عدان ليل ، او عدان نهار . يريدون بالعدان ما ينصبّ من الماء في المحقان او الصهريج او ما يجري من النبع او النهير في فترة من الزمن معينة . يقولون : لهذا المالك عدّان الليل ولذاك نصف عدّان النهار ، ولذاك ساعة من الزمن .... الخ . وهذا العدان يباع ويشترى كما تُشترى الارض والبيوت .

وكما ان عين الضيعة ملتقى الخلان ومكان بهج يلتقي فيه الناس للتحدث وسرد اخبار القرية هي ايضاً محل « بداية الشرّ » . فان كثيراً من خصومات القرية ويسمونها « قتالة » تبدأ على العين : بين امرأة وامرأة ، او بين راعٍ وراعٍ ، او بين ساقٍ وساقٍ آخر ، او بين اولاد يلعبون في مرج العين ، ثم تصل الاخبار مكبّرة الى القرية . فاذا كانت الصدور مشحونة فانها تنفجر على العين . وكثيراً ما حضرنا « قتالات » دامية عند العين وفي البورة او النعصة[3] المجاورة لها .

---

(١) اي الارزاق الواقعة تحت الماء بحيث يمكن ريّها .

(٢) لفظة سريانية : ܥܕܢܐ ومعناها الوقت والزمن .

(٣) البورة ارض سليخ مستوية ، والنعصة ارض غير منقوبة ولا مزروعة يكثر فيها الحشيش والنبت ويختارها الاولاد ملعباً لهم في الربيع وفي الصيف . والنعصة تكون قريبة من الماء .

الفصل الرابع

شهر ايلول في القرية اللبنانية

شهر ايلول في القرية اللبنانية شهر المونة (المؤنة) اي شهر جمع الاطعمة والوقود وخزنها استعداداً لمقدم الشتاء. وايلول شهر ممتع بهج. ولكن، بتغيّر الاحوال، فقد ايلول بهجته ورونقه.

يستعد الفلاح اللبناني استعداداً تاماً لمقدم الشتاء. فكما ان الصيف فصل بسطة وخير، او على حدّ تعبيره «بساط الصيف واسع» فان الشتاء فصل ضيق وشدّة. واذا لم يكن بيته «متبّناً»[1] فانه لا ينعم بالعيش ولا يطمئن له. وكثيرة هي الامثال اللبنانية التي تحثّ الفلاح على تموين بيته في الصيف لكي «يرتاح بالو» في الشتاء. وقلّ ان تجد قروياً لا يتموّن في الصيف. من الطبيعيّ ان نجد تفاوتاً في مقدار التموّن، ولكن نستطيع القول ان كلّ فلاح، مهما كانت حالته المالية، يتموّن. يقولون: «متى ما انوجدوا القمحات والدهنات والزيتات والبرغلات والحطبات بيرتاح البال!».

ان الدوافع للتموّن كثيرة: اسعار الاطعمة في الصيف ارخص، وفي الصيف يجد الفلاح في جيبه بعض دريهمات. فانه يبيع شرانقه وعنبه وتينه وخضاره وحليبه، وبهذه الدريهمات يشتري ضرورات الشتاء. وفي الشتاء كانت المواصلات قديماً تنقطع. في الشتاء يقفل دكان القرية ولاسيما

(١) تبّن بيته بالمواد والمؤن ملأه بها كما يملأ تبّانه تبناً لماشيته. والتبّان يملأ حتى السقف، وعليه التشبيه في قولهم «تبّن بيته».

في الايام الشديدة البرد ، والّلحام لا يذبح الا على الاعياد[١] . فتعلّم الفلاح بالاختبار ان التموُّن في الصيف ضرورة للبقاء . واهم من هذا كله الحقيقة التي يعبّر عنها بقوله : « الشرا على الموسم » اي ان اسعار المواد في مواسمها اقل مما تكون عليه في غير مواسمها .

ولن نحاول ان نأتي على ذكر كلّ ما يختزنه الفلاح لأيام الشتاء ، انما سنساير الفلاح في قوله « متى انوجدوا القمحات والدهنات والزيتات والبرغلات والحطبات بيرتاح البال » فانه في قوله هذا يعبّر احسن تعبير عن اهم المؤن الاساسية التي يعيش عليها القروي . ولذلك سنبحث في هذا الفصل : (١) مؤنة القمح
(٢) البرغل والكشك
(٣) القورما والزيت والزيتون
(٤) المخللات والمجففات والمعقودات
(٥) الحطب

(١) مؤنة القمح

الخبز مادّة الطعام الاولية . ما يطبخ – ويسمّى دامة – هو للتغميس لا لملء المعدة . تُملأ المعدة بالخبز ، والدامة للنكهة والطعم والاستساغة . وتقديرنا ان ٨٥٪ بالمئة من وجبة الطعام عند اللبناني القروي خبز واحياناً خبز وبرغل والباقي إدام[٢] . ولذا كان اول شيء يهتم به القروي مؤنة القمح ويسميها القمحات .

في كل قرية لبنانية افراد قليلون ينتجون قمحهم . ولكن اكثرهم يشتري قمحاً من الخارج . عندما كنا اولاداً نلعب في الساحة كنا نرى كل اسبوع من اسابيع آب وايلول قِفلاً[٣] من المكارين والجمّالين ينزل

(١) الكلام عن القرية قبل سنة ١٩١٤ . ولكن لا يزال في لبنان قرى ينطبق عليها وصفنا هذا .

(٢) والادام : « هو ما يجعل مع الخبز فيطيبه ويصلحه فيلتذ به الآكل »

(٣) القِفل جماعة من المكارين او الجمالين يذهبون جماعة واحدة للامتيار ويعودون .

في ساحة القرية : من البقاع وحوران وجبل الدروز : يصعد احدهم الى سطح بيت (احياناً سمسار من القرية ، او ضامن الحسبة[١]) وينادي : يا سامعين الصوت صلّوا ع النبي[٢] ! الي عايز قمح قبل النفاق ! قمح للمونة ممتاز ! قمح مشرقاني ، قمح حوراني ، قمح بلدي[٣] ! فيقبل الذين



تصويل القمح على العين

لا ينتجون قمحهم ويشترون ما يكفيهم نصف سنة على الاقل . وبعضهم لا يطمئن قلبه حتى يشتري مؤنة سنة كاملة . ولكن قسماً منهم لا يستطيع ذلك .

واول شيء يتعهده الفلاح في هذا الصدد تصويل القمح[٤] . فان

---

(١) الحسبة رسوم تفرضها البلدية على ما يدخل القرية من مواد وسلع وتضمّنها البلدية بالمزاد العلني ، ورَيْع الحسبة تنفقه البلدية في اصلاح القرية وعمرانها .

(٢) في القرية المسيحية الصرفة : « ع المسيح » .

(٣) القمح المشرقاني لونه مائل الى البياض ، وطحينه « حَبِل » اي لزج ، والحوراني اسمر وافضل نوعاً وطعماً ومنه يصنع البرغل وذلك لكثرة المادة الزلالية فيه .

(٤) مصدر صوّل الحبّ اي غسله بالماء لازالة ما يعلق بـه من غبار وتراب وحصى وقش ناعم .

دراسة القمح وسائر الحبوب على بيدر بدائي[١] تترك في الحبوب «اجراماً» والاجرام في مصطلحهم ما يعلق بالقمح من تراب وحصى دقيقة وقش ناعم وحبوب غريبة كالزوان والكرسنة والدحيريجة وغيرها من بزور البقول التي تنبت في حقول القمح . ونسبة الاجرام المئوية في القمح تعلو وتنخفض تبعاً لنظافة البيدر ولامانة الفلاح .

تصوّل القمح امرأتان امام كل واحدة منها معجن او دست كبير . يوضع القمح في المعجن الاولى فيطفو القش والحب الفارغ على الوجه فتزيله المرأة بيدها او بمصفاة . وتجول القمح وتدوّره زمناً لكي يذوب التراب ولكي تستقرّ الحصى الصغيرة في قاع الاناء . ثم انها تأخذ بنقله الى معجن جارتها بحفنتيها . وتحرص الا تحفن القمح الذي في قاع الدست او المعجن لانه ممزوج بالحصى الصغيرة . ثم ان المرأة الثانية تعيد غسل القمح وتدوّره زمناً ثم تحفنه الى سلّة (زنبيل) . ثم يأتي من يصعده الى السطح حيث ينشرون بُلساً[٢] او حصراً يضعون عليه القمح ليجفّ وييبس . ولكن الصّويل لا يزيل كلّ الاجرام بل يبقى شيء منه . ولذلك كانت الخطوة التالية تنقية القمح على الطّبلية[٣] . وهذا عمل تقوم به النساء في اوقات الفراغ في اواخر الصيف عندما تقل الاعمال قليلا . ثم ان القمح المصوّل المنقى يوضع في كوارة في الساطوين (الحاجز الذي يفصل بين العلية وغرفة المونة) . ويرسل القروي كل شهر او شهرين « طحنة » الى الطاحون . والطحنة حمل بغل او حمل بغل وحمار . ويحرصون الاّ يبقى الطحين في الكواير اكثر من شهرين فانه يقوطع اي يظهر فيه القاطوع[٤] . وعندما يعود المكاري من الطاحون يُنشَر الطحين على شراشف نظيفة بيضاء ليبرد ثم يخزن في كواير اخرى

---

(١) وسنأتي على وصفه عند كلامنا عن زراعة القرية .

(٢) ومفردها بَلاس وهو نوع من السجاد الرخيص اما من الصوف او من شعر الماعز

(٣) منضدة مستديرة او بيضاوية او مربعة ذات ارجل قصيرة .

(٤) القاطوع ديدان صغيرة .

معدّة له . خبز هذا القمح المصوّل المنقى المطحون في الطاحون المائية لذيذ ، ولذيذ جداً .

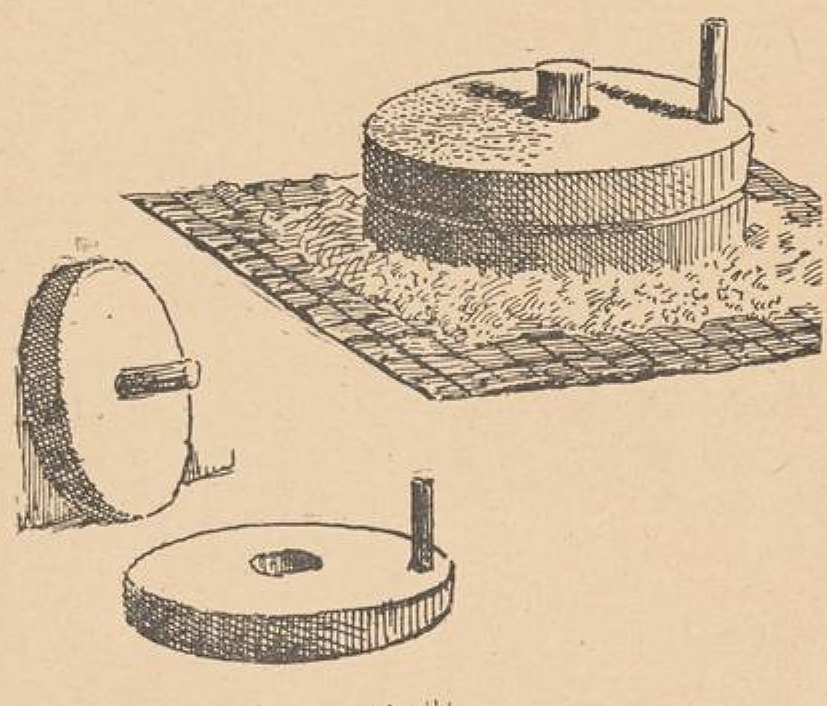
(٢) البرغل والكشك :

يقول مثل لبناني مستحدث « العزّ للرز والبرغل شنق حاله » يريدون بذلك ان الرزّ اكل الاغنياء المترفين ، واذا وجد الرز فاين منه البرغل ، البرغل المبتذل ! وفي المثل اشارة الى جدة الرز فانه طعام غريب عن البلاد . وقد كانوا يتهادونه قديماً في الاعياد والاعراس والولادات . وكان طعاماً غالي الثمن لا يشتريه الا الاغنياء ، وكانوا لا يطبخونه الا في الاعياد والولائم والمناسبات . وفي قرى لبنانية للآن لا يطبخون الرز الا للضيف او نهار الاحد . اما طبيخ الفلاح اللبناني الاول فالبرغل . ولذا يحرص ان يؤمن هذا الطعام في الصيف .

كثيرون من اللبنانيين ، عندما يشترون قمحهم ويصوّلونه كما وصفنا في الفقرة السابقة ، ينقلون قسماً من القمح المصوّل رأساً الى خلقين لسلقه . يسلق القمح الى ان تبدو اشارة التشقّق في بعض حبات القمح ، فتكون هذه اشارة الى نضجه والى وجوب رفعه عن النار . يجب الا ينضج القمح المسلوق نضجاً تاماً بل يجب ان يكون « نصف مطبوخ » لان البرغل يعاد طبخه مرّة اخرى عند تحضيره طعاماً . ثم انهم يأخذون القمح المسلوق الى السطح ويضعونه على بُلُس وحصر ويبقونه زمناً في الشمس الى ان يجف جفافاً تاماً . ويوم سلق القمح عند الاولاد يوم عيد . فان سالق القمح يأخذ منه مقداراً فيحلّي بالسكر ويرش عليه الجوز والصنوبر واللوز وحبّ الرّمان ، وينكّه بماء الزهر ويقدّم للاولاد وللذين ساهموا في عملية السلق . وقد يُبْعَث بصحن منه الى الجيران .

في الليل يجمعونه ويغطونه منعاً لسقوط الندى عليه ثم يعيدون

نشره في النهار . وعندما يجفّ جيداً ينزلونه وينقونه على الطبلية من كل جرم . ثم انهم يرسلونه الى الطاحون . وبعضهم يجرشه في البيت بالجاروش او المجرش[١] وكثيرة هي البيوت التي تقتني مجرشاً .



الجاروش

يُنمّش[٢] القمح المسلوق ، اي يرش عليه الماء رشاً يسيراً لكي تبتلّ القشرة الخارجية . ثم يطحن[٣] او يجرش . وبعد طحنه او جرشه ينشّف

---

(١) المجرش طاحونة صغيرة على اليد . تتألف من حجرين صلبين من الحجارة البركانية السوداء . الحجر الاعلى مثقوب ثقباً قطره ٦–٧ سنتيمترات ليدخل في وتد مركّز في الحجر الاسفل ولكي يوضع فيه القمح المسلوق .

(٢) نمّش القمح بلّه بلاً يسيراً وذلك برش شيء قليل من الماء عليه وفركه لتبتلّ القشرة الخارجية .

(٣) اذا طحن البرغل في المطحنة او الطاحون المائي يعدّل ارتفاع الحجر الاعلى عن الاسفل لكي لا يطحن البرغل طحناً ناعماً .

قليلاً في الشمس ثم ينسّف لكي تطير القشرة الرفيعة . ثم يقطّع . والتقطيع هو غربلته ونخله بغرابيل او مناخــــل ذات ثقوب مختلفة القطر . وعملية التقطيع تسفر عن ٣ أنواع من البرغل : (ا) الخشن للطبخ (ب) الناعم للكبّة (ج) الدقيق او السويق ومنه يعملون حلاوة يسمّونها بسيسة (حلاوة السّويق) وهي حلاوة من دقيق البرغل يمزج بالدبس او السكر والسمن ويصنع اقراصاً او يوضع في صينيّة ويرسل الى الفرن لخبزه ، وبعضهم ينتفع بالسويق عند تقريص العجين فانهم يستعيضون به عن طحين الشعير .

يستعمل البرغل في مآكل عديدة : برغل مفلفل ، برغل بحمص ، برغل بلوبي ، بودفين ، المجدّرة ، المدردرة ، المخلوطة ، الكبة ، التبولة ، كبة حيلة ، وسنأتي على ذكر هذه المآكل عند كلامنا عن المطبخ القروي . وكانوا قديماً اذا اكرموا الضيف طبخوا له البرغل بقورما وقبالته الكشك .

اما الكشك فبرغل يختمر باللبن . يبلّون الكشك[١] في اواخر شهر ايلول . وحجّتهم في ذلك ان الزبدة في اللبن يكون قد زاد مقدارها . وذلك لان البقرة تكون قد اكلت ورق التوت التشروني[٢] ، ويكون الفلاح قد سلق[٣] برغلاً جديداً . يُنقَع البرغل – ومقداره يتوقف على كبر العائلة ، من ١٠ كيلوات برغل الى ٢٠ – (واكثر من هذا في قرى البقاع وقرى سوريا) في اللبن . وبعد يوم ينتفخ حب البرغل ويختمر فيعركونه ، واذا رأوا حاجة لزيادة اللبن زادوه . والكشك الممتاز هو الكشك الذي لبنه كثير . وبعد يوم او يومين يعيدون عركه واضافة اللبن اذا رأوا حاجة الى ذلك . ثم عندما يلحظون ان حبّ البرغل قد ذاب في اللبن واكتمل تخمّره قطعوه الى قطع صغيرة ووضعوه على ميازر (مفردها ميزر[٤]) في الشمس لينشف قليلاً ثم يفركونه فركاً

---

(١) لا يقولون صنع كشكاً بل بلّ كشكاً .

(٢) تعطي التوتة موسمين من الورق: الربيعيّ ويطعم القز ، ثم يعود فيفرخ ويطعم ورقه للبقر ايام التشارين .

(٣) لا يقولون عمل او صنع او طبخ برغلاً بل سلق برغلاً .

(٤) الميزر جلد دبيغ تضع المرأة عليه عجينها .

شديداً . وينتظرون قليلاً ويعيدون الفرك الى ان يجف ويصبح كالطحين لوناً وملمساً . ويوم فرك الكشك يوم مشهور . تدعى الصبايا والشبان لمساعدة الزوجات في هذا العمل . ويرحب الشباب والصبايا بهذه الدعوة فانها تجمعهم حول الميزر وقد تلمس يد يداً ! وبعد ذلك يحسنون تجفيفه في الشمس ويخزنونه في جرار زجاجية او خزفية .



فرك الكشك على السطح

يؤكل الكشك حساء بالقورما والثوم والبصل (والثوم افضل) . وهو طعام لذيذ غني بالمواد المغذّية . يأكلونه صباحاً ومساء وهو ادام حسن يغمّس فيه الخبز الناشف الجافّ . وكثيراً ما يطبخونه ظهراً ويطبخون قباله البرغل وهي اكلة محبّبة لِمَن كانت معدته تتحمّل .

(٣) القورما والزيت :

وفي لغتهم الدهنات (او القورمات) والزيتات ، وهما من المؤن الاساسية لانها قوام الادام .

ان ذبح الماشية في القرى مستحدث . فان آباءنا يذكرون انهم كانوا يذبحون في القرية ايّام الاعياد او اذا اضطر فلاح لبيع عجله او بقرته .

ليس اللحم من مآكل الفلاح الاساسية . اللحم غالي الثمن . ولذا كان الفلاح بعد موسم الشرانق يشتري خروفاً (والاغنياء خروفين او خروفاً وقرقوراً او جدي ماعز) ويعلّفه ليسمن . يطعمون الخروف ورق التوت التشروني ، والنخالة والكرسنّة وقليلا من ورق الدوالي وشيئاً من الحشائش التي تنمو بين الخضار . وحرصاً منهم على ان يكتنز لحمه وشحمه فانهم يعمدون الى الاطعام الاجباري ويسمّونه التلقيم . تأخذ المرأة ورقة توت وتحشوها نخالة مبتلّة او كرسنّة منقوعة بالماء وتدخلها فم الخروف ولا تتركه حتى يبلعها . وتكون في هذه الاثناء قد اعدّت بلكوماً[1] آخر وتظلّ تطعمه الى ان يبشم او الى ان يبدأ « يطح[2] » ، حسب مصطلحهم وهو انين ناجم عن انهاك . (انظر الرسم ص ٨١) .

تقوم المرأة ليلاً قبل الفجر بساعات قليلة وتعيد تلقيمه فلا يأتي شهر تشرين الثاني ، وهو شهر اللحامة ، حتى يكون الخروف قد سمن كثيراً . ويوم اللحامة ، يوم ذبح الخروف وصنع القورما ، يوم مشهود ، يوم يستعدّون له ، وهو يوم ينتظره الاولاد . فانه اليوم الوحيد الذي يشبع فيه الاولاد لحماً . تهيّء المرأة الملح والتوابل والسكاكين والسفود وجرن الكبّة . وهذا يسير بالنسبة الى غسل المسامن فانه نهار عصيب على المرأة . تأخذ المرأة رماداً كثيراً وتضعه في الدست وتضيف ماء وتغلي الرماد ، ومتى فار تضع فيه مسمنة (او اثنتين اذا كان الدست يسع اثنتين) وتغليها قرابة نصف ساعة لكي يزول كل أثر للدهن . تحرّك المسمنة في الدست بعود كبير طويل تضع في رأسه خرقة كبيرة تدخلها في المسمنة . ثم بعد هذا الغلي تغسلها بالماء الحارّ والصابون ثم بالماء

---

(١) البلكوم في عامية لبنان ملء الفم من الطعام او اللقمة الكبيرة يمضغها الانسان .
(٢) طحّ انّ او صوّت من كثرة الاكل او من شدة البَشَم .

البارد ويفركونه فركاً شديداً بورق التين الخشن وبقطعة من الليمون الحامض وبشيء من البهار(١) .



تلقيم الخروف

ويوم اللحامة يوم يدعى فيه الاقربون الى تناول طعام الافطار او الغداء : لحم مشوي (المعلاق) ولحم نيء وكبة نيئة وسلطة ولبن .

---

(١) اذا لم تُغسَل المسامن هذا الغسل الشديد فان القورما تفسد حالاً اذ ان اقلّ اثر للدهن الباقي في المسمنة يفسد طعم القورما الجديدة . يقولون : « الدهنات طبخة السنة » لذلك وجب ان تبقى الطبخة سليمة السنة بكاملها .

يدعى لحام القرية ليذبح الخروف ويُدفَع له اجراً . يقطّع اللحم الاحمر (الهبر) الى قطع صغيرة بقدر حبّ اللوز ويملّح جيداً . ثم ان الدهن والشحم يفرم بالسكين (او الماكينـــة ، وماكينة فرم اللحم مستحدثة) ويوضع في اسفل الدست . ثم يضعون فوقه اللحم الاحمر ويغلى الى ان ينضج اللحم الاحمر نضوجاً حسناً . ثم يضيفون البهار ويتركونه الى ان يبرد قليلاً ثم يضعون القورما في المسامن . يسمّون قطع اللحم الاحمر « حراحيص » ومفردها « حرحوص » والدهن الابيض يسمّى الزلّ .



مسمنة للقورما

تملأ المسامن الى جمامها لكي لا يبقى فراغ للهواء . الهواء يفسد الدهن . وفي اليوم التالي يسدون افواه المسامن بوضع صحون على افواهها ويطيّنون حولها لكي يمنعوا الهواء . وتوضع المسامن على رفّ في غرفة المونة او على ظهر الليوك .

في اليوم التالي يطبخون الغمّة، وفي اليوم الذي يليه يفطرون هريسة . وسنأتي على ذكر هذه المآكل فيما بعد .

وقبل ان ننهي كلامنا عن القورما يحسن بنا ان نقول ان الفلاح اللبناني لا يشتري السمن ولا يطبخ به الا اذا كان على شيء من اليسر . السمن غالي الثمن . قد يشتري كيلوين او ثلاثة يبقيها لطبخ الرز ولقلي البيض للضيف . البيض المقلي بسمن طعام مفتخر .

مونة الزيت والزيتون :

لا تنمو شجرة الزيتون في المناطق اللبنانية العالية . وحيث لا ينتج الفلاح زيتونه وزيته فانه يشتريها في الموسم . يقع موسم جمع الزيتون

وعصر الزيت في الخريف المتأخر وفي اوائل الشتاء . يستهلك اللبناني الزيت والزيتون بمقادير كثيرة . فالزيتون ، في مصطلحهم شيخ السفرة . يريدون بذلك ان يقولوا انه على السفرة في كل وجبة . يؤكل منه بدءاً وختاماً في كل وجبة . واننا نعرف لبنانيين لا يهنأ لهم طعام او شراب ما لم يكن « حص ّ الزيتون » على السفرة . واما الزيت فيؤكل نيئاً مع اللبنة والسلطة والزعتر ، وتطبخ به جميع الخضار والحبوب على انواعها . ويكبس[١] اللبناني لبنته وجبنه وبعض خضاره بالزيت . وكلّ مأكل لبناني يمكن ان يكون بزيت زيتون فانه ارخص من اللحم والسمن والقورما . هذه الثلاثة الاخيرة للاغنياء منهم او للضيف او للمناسبة العظيمة .

لنأخذ الآن لبنانياً ينتج زيتونه وزيته ونرافقه في تحضيرهما وخزنها . هنالك ثلاثة انواع من الزيتون المحفوظ للمونة : المسبّح والمرصوص والجرجير .

يبدأ الفلاح بقطف الزيتون الاخضر للتسبيح (لحفظه بماء الملح وورق الغار والليمون) بعد منتصف شهر ايلول . وشرط حبة الزيتون المعدّة للتسبيح ان تكون سليمة من كل مرض او عيب ، ويجب الاّ تكون حصرماً (يقصدون بذلك الحبّ الصغير المرّ الذي لم يتكامل نموّ قشرته بعد) والا تكون تامة النضج بل « بين بين »[٢] . يؤخذ هذا الزيتون ويغسل بالماء جيّداً ثم يوضع في خواب فخارية ويضاف اليه ماء الملح ، ويعطرون الماء بورق الغار وورق الليمون (ابو صفير) ويتركونه مدة لا تقلّ عن ٤ اشهر أو خمسة اشهر لكي يطيب . وبعضهم يضيف اليه الفليفلة الخضراء الحارة . هذا النوع من الزيتون الاخضر المسبّح لاستهلاك الربيع والصيف .

---

(١) كبس الجبن او الخضار يعني حفظه بالزيت وبماء الملح .

(٢) ولكن قيل لي ان في الشوف يسبّحون ايضاً الزيتون الاسود التامّ النضج . لكن في قريتي الزيتون المسبّح هو الزيتون الاخضر فقط . وقد نبهنا القارىء الى امكانيات وجود اختلافات في امور عديدة بين قرية واخرى ، وهذا طبيعيّ .

ثم هنالك نوع آخر من الزيتون : المرصوص . يؤخذ الزيتون الذي قارب النضج ، او الناضج ، ويرضونه قليلًا ويملحونه جيّداً . ثم يضعونه في خواب ويضيفون اليه قليلًا من الزيت والليمون الحامض ويتركونه اياماً ليطيب . ولا يحتاج طيبه الى اكثر من ايام معدودة .

وهنالك نوع ثالث وهو الجرجير وهذا زيتون تام النضج غنيّ بالزيت . يقطفونه في اواخر الخريف ويغسلونه ، او انه يتساقط من تلقاء نفسه عند نضجه ، ثم يجففونه قليلًا في الشمس ثم يملّح ويوضع في الخوابي . وبعضهم يضيف اليه الزيت والمعطّرات وبعضهم يكتفون بالملح فقط . ولكن اكثر ما يؤكل على حاله الطبيعيّ .

اما صنع الزيت فيتمّ في المعاصر او المطاريف ، وقد جئنا على ذكر عملية عصره[١] . بقي ان نذكر ان بعضهم يستخرجون زيتهم في البيت . هذا اذا كانت حاجتهم اليه ملحة او اذا كانت الحاجة الى كمية منه قليلة . يؤخذ الزيتون ويدق في اجران ويوضع في آنية فيها ماء فاتر او قريب من الحار فيطفو الزيت على وجه الاناء فتزيله المرأة بمغرفة او بيدها . ويفضلون زيت الخضير اي الزيت المستخرج من حبة الزيتون قبل نضجها التامّ . فانه عندهم زيت احسن طعماً واجمل لوناً واغلى ثمناً .

بقي ان نذكر ان كثيرين من اللبنانيين الذين ينتجون الزيت يصنعون مونتهم من الصابون . يستعملون لذلك الزيت الحادّ والزيت العكر ، وبعضهم يجمع زيت القلي في آنية ويستعملونه في صنع الصابون. في كل قرية لبنانية خبير في صنع الصابون لا يبخل على اهل قريته بخبرته وعلمه في صنع الصابون . يشترون القلي (المادة القلوية) من المدن ويسمّونه القطرونة . يضعون ٣ اواق من القطرونة لكل رطل من الزيت (الاوقية = ٢٠٠ غرام والرطل = ١٢ أوقية) يترك هذا المزيج مدة يوم او يومين ثم يغلى المزيج غلياً حسناً الى ان ينضج . وللخبراء

---

(١) راجع ص ٥٦ .

اشارات ودلائل على نضجه يعرفونها . وقبل ان يبرد تماماً يسكبونه على سطح مستو نظيف ويقسمونه الواحاً . ويترك معرضاً للهواء مدة طويلة ليتمّ جفافه ثم يُخزن في اكياس او على رفوف في بيت المونة . ويعتبر هـــذا الصابون الطبيعي البسيط من احسن انواع الصابون رغم الصناعة البدائية التي يصنعونه بها .

(٤) المخللات (المكبوسات) والمعقودات والمجففات والشرابات :

المخلّل او المكبوس خضار تُحفظ اما بالخلّ او بماء الملح ، والمعقود فاكهة تحفظ بغليها بالسكر او الدبس ، والمجفّف خضار او فاكهة تحفظ بتجفيفها في الشمس .

تخلّل المرأة اللبنانية : المقتي (القثاء) والخيار ، واللفت ، والباذنجان والشمندر والارنبيط والفليفلة . وشرط هذه الخضار ان تكون ندية طرية لانها تؤكل كمقبّل للطعام وتقدّم « مازة » لشاربي العرق . وطريقة التخليل بسيطة : غمر الخضار بالخلّ واضافة طبقة رقيقة من الزيت لمنع الهواء .

وتكبس المرأة اللبنانية (اي تحفظ) بماء الملح : ورق العنب والبامية والجبنة المصنوعة من حليب الماعز ، وبعض الخضار . وطريقة الحفظ (= الكبس) بماء الملح بسيطة : يغلى الماء لتعقيمه ثم يضاف اليه الملح الكافي وتوضع هذه المكبوسات في زجاجات او فخّارات ويضاف اليها قليلاً من الزيت الذي يطفو على وجه الاناء فيقيها من الهواء .

وتكبس المرأة اللبنانية بالزيت : الجبنة واللبنة ، والباذنجان المحشي ثوماً وجوزاً ولوزاً (وهو من افخر المقبّلات ومن اكثرها كلفة) وتجفّف المرأة اللبنانية كثيراً من اصناف الخضار والفاكهة . تجفّف البامية واللوبياء والكوسا والبندورة ، وهذان الاخيران ، الكوسا والبندورا ، يقطّعان الى رقاق ويرش الملح على هذه الرقاق . وتجفّف المرأة التين والعنب وسنأتي على ذكرهما عند كلامنا عن زراعة القرية . وتجفف المشمش ويسمى النقوع .

اما المعقودات ففاكهة تحفظ بغليها مع كثير من السكّر . يعقد التين المشرّح ، والفقراء يطبخونه بدبس ، والمشمش والخوخ والتفاح والسفرجل والكباد وقشرة ليمون ابو صفير . ويصنعون من اليقطين حلاوة طيّبة يسمّونها حلاوة جزرية . وبعضهم يعقدون زهر الليمون بالسكر ويعتبرونه حلوى مفتخرة .

اما الشرابات فمتنوّعة تتفنّن المرأة في صنعها . اعمّ هذه الشرابات هو شراب الورد والتوت الشامي[١] والبنفسج والليمون الحامض والبرتقال والعنب والحصرم والرمان . والطفها شراباً شراب الحصرم[٢] . تعصر المرأة مقداراً من الحصرم وتغليه بالسكّر الى ان يتخثّر ويتكثّف . ومبدأ صنع الشراب واحد : غلي عصير المادة ، بعد تصفيته ، بالسكر الى ان يصبح شراباً كثيفاً مختّراً . وعند الاستعمال يضعون قليلا منه في القدح ويضيفون اليه الماء البارد .

(٥) الوقود :

ويشير اليه الفلاح بقوله « الحطبات » . ومونة الحطبات عنده تأتي في الدرجة الثانية . شتاء لبنان ، ولاسيما في المناطق التي تعلو على ٧٠٠ متر ، قارس البرد . ولذلك يهتمّ في الصيف بمونة الحطب كما يهتم بمونة القمح والزيت .

اما الفقراء منهم فيهتمون بجمع وقودهم اثناء الصيف ، ولاسيما في ايام البطالة ، دون ان يتحملوا نفقات كثيرة . فانهم يجمعون حطبهم من الاحراج المشاعية . لا يحق لهم القطع انما يحِلُّ لهم التشحيل وجمع الجربان والشوك وما يبس من الاشجار . ولهم ان يقتلعوا جذور الاشجار المقطوعة . فانهم يقطعون مثلًا اشجار الصنوبر على موازاة سطح الارض

---

(١) ولونه عند نضجه اسود .

(٢) ويكون شراب الحصرم على نوعين: نوع حامض يستعمل في تحميض الاطعمة، ونوع حلو يمزج بالماء ويضاف اليه الثلج ويقدّم شرابا منعشا .

وما يتبقى من الجذع في الارض حلال لمن يقتلعه . وبعض جذور الصنوبر القديم كبيرة وفيها حطب كثير . واقتلاع الجذر عملية صعبة تقتضي الفلاح الفقير يوماً او يومين من العمل المضني . وكذلك يجمع فقراء اللبنانيين وقوداً للصاج والتنور والغسيل من الاراضي الحرجية الوعرة . لهم ان يقتلعوا البلاّن والشوك والشبح . ولهم ان يجمعوا السنيسلة او القنيبلة (وهي ابر الصنوبر اليابسة) . فلنترك الفلاح الفقير يجمع حطبه من هنا وهناك ولنعد الى الفلاح العادي الذي يجمع حطبه من ارضه ، ولنتابعه قليلاً في اختزانه انواع الحطب المختلفة .

ان المصادر الرئيسية للحطب شجرة التوت وشجرة الصنوبر وشجرة الزيتون والسنديان والملول والبطم ، واهمها ، في مناطق المتن ، شجرة الصنوبر . اما الزيتونة – ويسمونها شجرة الارامل – فلا تقطع . شجرة الزيتون تشحّل تشحيلا ولكنّ كثيرين ، ولاسيا في الشوف ، يعتمدون على شجرة الزيتون لمدّهم بالوقود . واما السنديان والملول والبطم فحطب قاس صلب غالي الثمن لانه يحرق فحماً . لذلك سنهمل الكلامَ عن حطب هذه الاشجار ونكتفي بالاشارة الى شجرة التوت والصنوبر .

يبدأ الفلاح في جمع حطبه في فصل تربية دود الحرير ويسمّى القزّ . في ايام القزّ يجمع مربي دود الحرير قضبان التوت المقشّرة . قشر قضبان التوت علف جيّد للبقر ايام الشتاء . يجمع القشر في حزم ويجفف في الشمس ويخزن في التبّان مع الجزّة[1]. اما القضبان فتجمع في حزم وتربط بقشرة خضراء وترفع الى السطح لتجفّ . وقد يتجمّع عند صاحب العودة[2] الكبيرة مقدار كبير من هذه الحزم . وهذه وقود ممتاز للصاج والغسيل والتنّور لان احتراقه جيد وسريع . ثم عند قطع

---

(١) الجزّة ورق التوت الذي يتبقى على اطباق القزّ بعد ان تكون قد اكلت دودة الحرير ما اكلت منه . وهو ممزوج ببعر ديدان القزّ . يجفف هذا الورق ويُعطى علفاً للبقر ايام الشتاء .

(٢) العَوْدة ارض كبيرة مغروسة باشجار التوت او الزيتون .

اغصان التوت لدود الحرير يشحّل الفلاح توته فيقطع العُمُود[1] التي يرتأي قطعها لتحسين نموّ الشجرة وشكلها . ويجمع صاحب العودة كل سنة مقداراً كبيراً من حطب التوت . يقطعها وهي بعد خضراء (قطع الحطب الاخضر ايسر من قطعه يابساً) ويتركها خارجاً في شمس الصيف لتيبس . ونار حطب التوت حسنة يفضلها الفلاح على نار حطب الصنوبر لانها اشدّ صلابة وتترك في الموقد جمراً يدوم برهة بعد احتراقه وليس كحطب الصنوبر السريع الاحتراق .

اما حطب الصنوبر فارخص انواع الحطب واوفرها (في مقاطعتنا المتن .) تقطع شجرة الصنوبر بكاملها وذلك لتفريد[2] الشجر . والصنوبر يشحّل مرّة كل ٣ او ٤ سنوات . فيقطع منه مقدار كبير من العمود . اما الغليظ منها فيباع حطباً والرفيع منها – ويسمى « قنيبلة » – يجمع حزماً كبيرة يسمونها حملات او احمال (لان كل حزمة منها يجب ان تكون حمل رجل او حمار) وتباع وقوداً للاتون او الصاج او التنّور . واكواز الصنوبر تجهّز الفلاح بانواع من الوقود ممتازة وذلك لغناها بالمادة الزفتية الحسنة الاحتراق .

بعد ان تجمع الاكواز في الشتاء تُصعد الى السطوح في اوائل الصيف بعد ان يكون الفلاح قد انتهى من موسم القز . وتنشر هناك اياماً فتتفتح . يجمع الفلاح هذه الاكواز المتفتحة ويدقها بخباط دقاً يسيراً فيتساقط منه الحب ولكن يبقى بعضه عالقاً فلا يسقط الا اذا اخذ الفلاح الاكواز واحداً واحداً وانتزع الحبّ بيده او بمطرقة صغيرة . وما يتبقى من الكوز يسمى الكنفشة . والكنافش وقود ممتاز حسن الاحتراق سريعه . وما يتساقط من الكنفشة (اوراق الكوز) يسمى قراعة[3] .

---

(١) جمع عِمْد وهو الفرع الغليظ من الشجرة .

(٢) فرّد الشجر قطع بعضه ليترك مجالاً للاخرى لتنمو وتكبر .

(٣) اصلاً كلمة سريانية ܩܪܥܐ .

وعندما يكسرون حبّ الصنوبر يجمعون الكسر ويبيعونه للافران او وقوداً للوجاقات فانه وقود حسن سريع الاحتراق .

ومصدر آخر للوقود قضبان الكرم ويسمونها جرزون[1] . وهذه تصلح وقوداً للغسيل وللصاج والتنور .

اما الذين يربون البقر فانهم يصنعون من روثها وقوداً يسمّونه الجلّة . وهو وقود حسن ولكن له رائحة كريهة . يأخذون الروث ويجبلونه ويقطعونه اقراصاً كبيرة رقيقة تلصق على جدار او توضع على سطح ارض مسوّاة ليجفّ جيداً ثم انهم يجمعونه ويختزنونه وقوداً للشتاء .

***

وقبل ان ننهي الكلام عن شهر المونة ، شهر ايلول ، يجب ان نذكر ان هنالك موادّ واطعمة اخرى غير التي جئنا على ذكرها والتي يحرص اللبناني على ان يجهّز بيته بها اثناء الصيف . انما اقتصرنا على ذكر الامور التي يحسبها الفلاح من الضرورات القصوى . ولكنه اذا رأى في جيبه اثناء الصيف شيئاً من الدراهم فانه يشتري العدس والحمّص والفاصوليا والبطاطا الجبلية ويحتفظ بها لايّام الشتاء القاسية . ومتى « تبّن » الفلاح بيته ، كما ذكرنا في اول الفصل ، ارتاح باله ونعم بشيء من نعمة الاطمئنان . وعندما تهب عواصف الشتاء يستطيع ان يجلس على جلد غنم ناعم امام موقده مطمئناً راضياً .

---

(١) الجرزون كلمة آرامية ، والواو والنون علامة التصغير ، من جذر سامي مشترك جزر او جرز ومعناهما قطع وقضب .

الفصل الخامس

تدبير المنزل

المرأة القروية قوام البيت ، ويسمّونها ستّ البيت وربّة البيت . فانها ام الاولاد ومربيتهم والطباخة والخياطة والغزّالة والحبّاكة والغسّالة والمسعفة في الامور الزراعية . ويسمّيها بعض الازواج عن طريق التكرزة البريئة « وشواشة المخدّة[١] ! » وقد أُعدّت المرأة القروية لهذه الحياة فلا تفجأها الحياة الزوجية بمتطلباتها وواجباتها الثقيلة .

كان يوم لم يكن فيه ازمة زواج في القرية ، بل كان زواج الرجل والمرأة من الامور الطبيعية المتوقعة . وكان يوم كان الزواج فيه ارتباطاً اجتماعياً اقتصادياً ملائماً للطرفين . ولم يقتصر التدخل في الزواج على الوالد والوالدة بل كان يتعدّاهما الى وجوه العيلة . فقد كان شيوخ العيلة يفرضون احياناً ارادتهم في مسائل الزواج فيقولون قولهم المأثور : « ها لَهَيْ ، وَهَيْ لها ! »[٢] لاسيا اذا كان الامر يتعلّق بالبيوت الفقيرة . فان الزواج « مصلحة » والزواج « سترة » والزواج امر ضروري ليكمّل الرجل رجوليته وانسانيته ويحتل مركزه في الضيعة . ولذا لم نكن نرى في القرية عوانس ولا رجال عازبين . وكثيرة هي الاقاصيص التي يقصونها عليك في القرية عن اناس زوّجوهم على مبدأ « ها لَهَيْ وَهَيْ لها » واسفر الزواج عن تأسيس بيت وعن اضافة جديدة للعائلة .

---

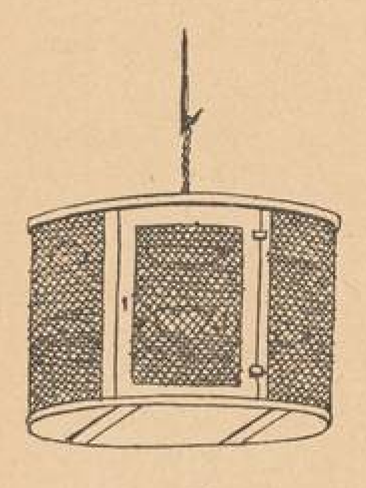
(١) اي الزوجة التي لا تبوح بمطالبها ولا تتكلم عن مشاكلها الا عند وقت النوم ، او تلك التي تزعج زوجها بقالها وقيلها .

(٢) قد لا تقال بهذه الصيغة الجافة ولكني سمعتها من شيخ وقور حكم ان هذه المرأة تصلحُ لهذا الرجل وهذا الرجل يصلحُ لهذه المرأة .

وتدبير المنزل امر يختلف بين بيت وآخر تبعاً للحالة الاقتصادية . ولكن في القرية اللبنانية طبقة من الناس لا تختلف في معايشها وفي تنظيم حياتها العائلية . وما سنذكره ينطبق على هذه الطبقة الفلاحة المتوسطة . ولن نتكلّم عن الاعمال الشاقة التي تقوم بها المرأة في مواسم معينة : تربية الطفل ، شيل القز ، تلقيم الخروف ، الزرّيعة ، شهر المونة ، وغيرها من الاعمال التي تناط بالمرأة ، بل سنقصر كلامنا على « الروتين » اليومي الذي تقوم به المرأة يوماً بعد يوم .

لا تُحسَد القروية اللبنانية المتزوجة على حياتها ، فانها حياة قاسية شديدة ولكنها تتقبلها بروح الصبر والتضحية لانها معدّة لمثل هذه الحياة الصعبة .

يبدأ نهار المرأة قبل الفجر واحياناً قبل الفجر بساعات . احياناً هن لا يعرفن متى ينهضن من النوم . ساعتهنّ النجم الغرّار (الزهرة) ويسمينه الغرار لانه يغشهن احياناً . فانهن يعتقدن ان الفجر ينبلج بعد ساعة واذا به يطول ساعات ! واحياناً ينهضن عند طلوع نجوم اخرى ، او بالنسبة الى مواقعها في جلد السماء (حسب الفصول) : الثريا ، الجبار (ويسمونه الميزان) ودرب التبانة (galaxy) اذا مالت الى الغرب .


قفص

يقوم الفلاح اللبناني مع انبلاج الفجر ويذهب الى عمله قبل شروق الشمس . وقلّ ان يخرج الفلاح اللبناني قبل « كسر الصفرا » وكسر الصفرا ترويقة بسيطة قبل الترويقة الحقيقية التي يكون موعدها عند التاسعة صباحاً سواء اكان الفلاح يعمل في حقله الخاص او عمله الخاص او اجيراً يعمل عند غيره من الناس . وكسر الصفرا رغيف خبز بزيتون او لبن او قطعة جبن مكبوس

او تين مطبوخ . وكثيراً ما يذهب الفلاح ذاته الى معجنه[1] فيأخذ رغيفاً او نصف رغيف ويفتح القفص او الخزانة او النملية (راجع الرسم ص٩١) فيأخذ شيئاً من الادام يسهّل عليه ازدراد الرغيف ويذهب في حال سبيله ، واحياناً اخرى ينتظر الفلاح ان تقوم امرأته فتضع له على الطبق او الطبلية شيئاً من الاكل .

يقوم الاولاد من النوم عند شروق الشمس او بعده . واذا كانوا قد تخطوا السادسة او السابعة من العمر فانهم يهتمون بملابسهم وتدبير شؤونهم . واما اذا كانوا دون الخامسة فانها تهتم بلبسهم وترتيبهم . وبعد ذلك تعدّ لهم الترويقة ، وقد لا تعدّ لهم شيئاً بل تقول لهم « لفّوا عرايس[2] وكلوا ، مش فاضي اعمل لكم سفرة ! » وقد تضع لهم على طبق او طبلية شيئاً من حواضر البيت : لبن ، جبنة ، زيتون ، زيت وزعتر ، او مقلى بيض مقلي بالزيت (او القورما احياناً) او مقلى كشك ايام الشتاء[3] . الترويقة ليست وجبة رئيسية انما هي « كسر صفرا » .

اول شيء تقوم به المرأة اللبنانية بعد ان يكون الاولاد قد ذهبوا الى مدرستهم ، او الى ساحة القرية ليلعبوا ، كنس البيت وترتيبه . بعد الانتهاء من كنس البيت وترتيبه تأخذ جرتها الى عين الضيعة لتملأها ماء للشرب . في بعض البيوت القروية آبار ماء يُجمع ماؤها من مياه الشتاء . وهذه تصلح للغسيل ولامور اخرى كشطف[4] البيت او سقاية الزهور . انما ماء الشرب فمن عين الضيعة . والذهاب الى عين الضيعة مرة في اليوم امر لا يرهق القروية فانها نزهة واستراحة . على العين تسمع الاخبار ،

---

(١) المعجن آنية نحاسية كبيرة تعجن المرأة فيها وتغسل الثياب ويحفظ فيها الخبز المرقوق.

(٢) العروس خبز مرقوق يُطلى بشيء من الادام او الحلوى ويُلف . يأكل الولد العروس وهو ذاهب في حال سبيله او وهو يلعب . وهنالك انواع عديـــدة من العرايس : عروس بدبس ، بلبن ، بتين مطبوخ ، بربّ البندورا ، بزيت وزعتر ، بجبنة مكبوسة او لبنة مكبوسة ، والذّ العرايس تلك التي تُحشى بالقورما .

(٣) سنأتي على ذكر المآكل القروية الشائعة في آخر الفصل .

(٤) شطف البلاط غسله بالماء ومسحه .

اخبار القيل والقـــال ، واخبار الجيران والاقارب . ثم تعود لتحضر « ترويقة الرجّال » وترويقة الرجّال واجب لا تتهاون في ادائه . تطبخ له برغلاً ومعه كشك ، او تقلي له بطاطا او تسلقها وتأخذ له شيئاً من الدبس او التين المطبوخ ، او عجة او قد تطبخ له ارزاً وحمصاً بالقورما وهي أكلة فلاحية مفتخرة . الامر المهم هو ان تأخذ له خبزاً وزيتوناً (وهذه اساسيات) وشيئاً من الادام . وتذهب الى مكان عمله حاملة له الترويقة . وقد ترسلها مع ابنها او ابنتها ، وتنصرف الى تهيئة غدا الاولاد واعمال اخرى يجب ان تقوم بها .

ليس لنا ان نساير القروية في جميع اعمالها الروتينية انما نحب ان نقف قليلاً عند بعض ايام الاسبوع المعيّنة لاعمال بيتية خاصة ، كيوم العجين والغسيل وتنظيف البيت ، وسنذكر نبذة عن المطبخ القروي .

يوم العجين . الخبز قوام الحياة اللبنانية . يعيش اللبناني على الخبز وباقي الاطعمة يعتبرها اداماً يأكل به خبزه . فـان طبخت المرأة فان الطبخ ادام ليؤكل بالخبز لا ليؤكل وحده . الاقتصار على اكل الطبيخ اسراف لا يستطيع القروي تحمله . الطعام الرئيسي الخبز . ولذلك على الزوجة ان تخصص يوماً او جلته للعجين والخبز . فانها تصنع خبزاً يكفي لاسبوع وفي الشتاء تصنع خبزاً يكفي لاسبوعين لان الطقس بارد فلا يصيب الخبز فساد او عفن .

تبدأ عملية الخبز ، ولاسيما اثناء الشتاء ، في الليل السابق ليوم الخبز بتحضير الترباية[١] . وترباية العجين خميرة كبيرة تضاف الى العجين فتعجّل في تخمّره . تبقي المرأة قرصاً من العجين خميرة للعجنة التالية . تُخبّأ هذه الخميرة الصغيرة في كوارة الدقيق[٢] . ولكن هذه الخميرة صغيرة

---

(١) الترباية عجينة صغيرة تضاف اليها الخميرة والقصد منها تحضير خميرة كبيرة تضاف الى العجنة الكبيرة فتعجّل في تخميرها .

(٢) وفي الانجيل اشارة الى هذه العادة : متّى ١٣ : ٣٣ ، لوقا ١٣ : ٢١ .

لا تخمّر العجنة الكبيرة في وقت قصير . وفي الطقس البارد لا يمكن لهذه الخميرة ان تخمّر العجين الا بعد انقضاء وقت طويل . لذلك تعمد المرأة في الليل السابق الى عمل التربابة . تقول : « لازم ربّي للعجين » اي يجب ان احضّر خميرة كبيرة للعجين .

تأخذ الخميرة الصغيرة المخبوءة في الدقيق وتذيبها بالماء الفاتر وتضيف اليها مقداراً من الطحين . وهذا المقدار يتوقف على كبر العجنة وصغرها (من كيلو دقيق – الى كيلوين) ثم انها تضعها في قصعة وتحسن لفها وتتركها لتتخمّر . في الشتاء تضعها قرب الوجاق وتحسن لفها بخرق من الصوف لتحفظ الحرارة فتعجّل في تخمُّرها .

تقوم المرأة يوم العجين بعد نصف الليل وتبدأ بالعجين . تنخل طحينها اولاً وتذيب بالماء الفاتر ملحاً وتضيف اليه الدقيق . وبعـــد ان تجبله وتلوكه (ويقولون « تلوشه ») قليلاً تضيف اليه التربابة وتدعكه دعكاً شديداً . ثم تسقّيه ، اي تضيف اليه قليلاً من الماء وتعيد دعكه ولوكه الى ان ينشف قليلاً ويشتدّ ثم تسقيه مرة اخرى . وكلما احسنت عجنه كان الخبز احسن . ثم تتركه قليلاً ليتخمّر وليرتاح قليلاً ، حسب مصطلحهنّ . ثم تعود اليه لتقرّصه اي لتقطعه الى اقراص صغـيرة لتصنع من هـذه الاقراص فيما بعد ارغفة من الخبز . تضع كتلة العجين الكبيرة على المشطاح[1] او الميزر . والمشطاح حورة اي جلد خروف مدبوغ . والميزر قماش سميك (او طبقتان من القماش مخيَّطتان معاً) مربع او مستطيل معدّ لهذه الغاية . تقطّع العجين الى اقراص او كتل مستديرة وترش عليها الطحين ، عادة طحين شعير او ذرة او سويق البرغل لكي لا يلطخ[2] اي لكي لا يلتصق القرص الواحد بالقرص الآخر . ثم انها تضع هذه الاقراص في المعجن . وبعد ذلك تأخذ قرصاً او قرصين وتذهب الى الفرن لتربط نوبة[3] (او قد ترسل ابنتها) . وربط النوبة على الفرن

---

(١) لفظة سريانية : ܡܫܛܚܐ .
(٢) لَطَخ لَصِق .
(٣) النوبة الدور والقرعة .

يعني حجز وقت معيّن للخبز ، ومَن تأتي من النساء اولاً تخبز اولاً . الخبز في فرن القرية « بالدَّور » اي حسب رَبْط النوبة : الاولى اولاً والثانية ثانياً . . . الخ اما اذاكانت تريد خبز عجينها في التنور او على الصاج فان ربط النوبة ليس امراً ضرورياً .

قبل ان يأتي دورها بقليل تحضر العجين الى الفرن فتعينها النسوة اللواتي يأتي دورهن بعدها . وكثيراً ما تذهب المرأة قبل نوبتها لكي تسعف صاحبة النوبة قبلها في رقّ العجين . في الفرن تتعاون النساء تعاوناً مدهشاً وبطريقة طبيعية . وليس الامر كما هو في عين الضيعة حيث يكثر الشجار واحياناً التماسك بالشعر !

تأخذ المرأة قرص العجين وترقّه على بلاطة الفرن (راجع رسم الفرن ص ٥٢) وتتعهده بالرقّ والتدوير الى ان يصبح مستديراً قطره ٢٥ – ٣٠ سنتيمتراً . فيتناوله الفران منها ويهلّه اي يتعهده بيديه الاثنتين بطريقة يمطّ بها العجين الى اقصى ما يستطيع مطّه ، وعندما يلحظ الفران ان العجين بين يديه لا يقوى على الهلّ بعد (اي عندما يبدأ بالتشقق) يضعه على الرّاحة ويدخله الى الفرن مدة دقيقتين او ثلاث ويخرجه رغيفاً مقمّراً[١] وهذا هو الخبز المرقوق او المهلول[٢] .

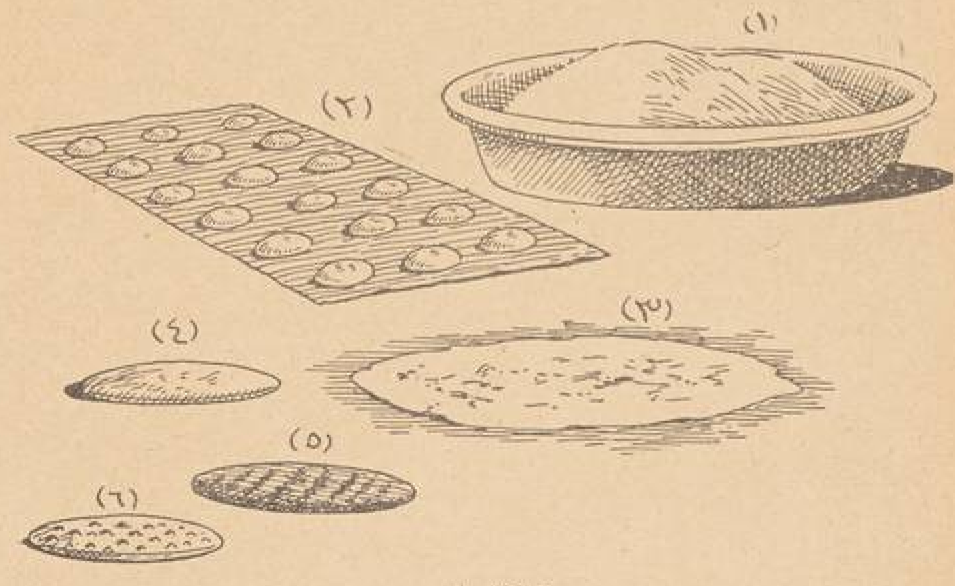
<u>انواع الخبز القروي</u> : اما من جهة خبزه فيكون خبز فرن ، وخبز صاج وخبز تنور . اما من جهة شكله فيكون مرقوقاً او خبزاً مهلولاً وهو الشائع والمفضّل . ذلك لانه يأخذ مكان الملعقة والشوكة . بالخبز يتناول القروي ادامه مهما كان الادام . وعليه يجب ان يكون الخبز رقيقاً طرياً ليّناً يتصرّف به عند تناوله الطبيخ كيفما شاء . فاذا كان

---

(١) الرغيف المقمّر المحمّر قليلاً هنا وهناك وهو غير المحروق او « العجين » اي المخبوز خبزاً ناقصاً .

(٢) تعجّب الاستاذ الشيخ سعيد حماده عندما علِم ان في بعض الافران يخبزون الخبز المرقوق . قال لي ان في الشوف يخبزون الكماج او الطلامي او المشاطيح فقط في الفرن . المهلول او المرقوق عندهم (في الشوف) هو خبز الصاج او التنور .

الطعام سائلاً عمل من الخبز « مغروفاً » اي طوى اللقمة بشكل يستطيع معه « غرف السائل » . ويكون الخبز كماج او طلامي . والكماجة او الطلمة رغيف صغير مستدير سميك ذو طبقتين او قبعتين وهو غير مرغوب



عملية العجين :

١ معجن فيها كتلة عجين — ٢ منطاح او ميزر وعليه اقراص العجين (ويسمونها دِرانة) — ٣ رغيف مرقوق او مهلول — ٤ طلمة او كماجة — ٥ طلمة بزعتر او منقوشة — ٦ طلمة على وجهها حمص

فيه في القرى لانه لا يصلح لتناول الطبيخ به كما قلنا آنفاً . لكنه « فكاهة » للاولاد وتغيير عن المعتاد . فتخبز لهم الام بعض ارغفة طلامي او كماج تؤكل « سخنة » . ولكن اذا كان الطحين غير « حيِّل »[1] (اي غير لزج) لا يقوى على المطّ فان المرأة ترى نفسها مجبرة (كذلك الفران)

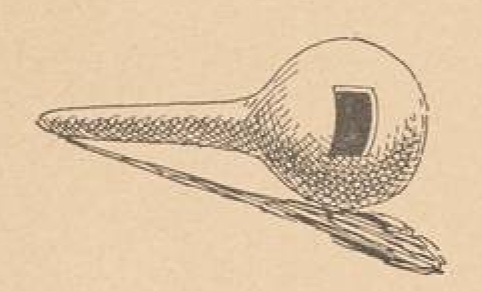
---

(١) قلنا ان الفلاح يستعيض عن الملعقة والشوكة بالخبز الرقيق اللين الطري لكي يتناول به ادامه . ولذلك يفضلون القمح الذي عجينه لزج ، وفي لغتهم « حيِّل » اي يقوى على المطّ . وعندما يتموّنون القمح يجرّبون عجنة صغيرة منه ليتحققوا من حيله والا فانهم لا يشترون من ذلك القمح .

على خبزه كماجاً او طلامي . ويتفننون بخبز الطلمة او الكماجة . فانهن مثلاً يأخذن معهن الى الفرن قليلا من الزيت والزّعتر والسمسم (وبعضهم يضيف الفليفلة الحارة) ويطلين الرغيف العجين بهذا المزيج ثم يخبزنــه وتسمّى طلامي او مناقيش بزعتر . احياناً يطلى الرغيف العجين بسمن وسكّر (الاغنياء) واحياناً يرش على الرغيف العجين حمصاً ويرقّ قليلا وتسمى طلمة بحمص وهي اكلة يحبها الاطفال .

وهنالك نوع آخر من الخبز يسمى مشاطيح[1] ومفردها مشطاح (لفظة سريانية ܡܫܛܚܐ) وهي ارغفة مستطيلة او مستديرة ، وذلك لان العجين ليس من النوع الجيّد فلا يستطيع الفران هلّه . واخيراً تخبز الام لاطفالها ، من قبيل الفاكهة والتغيير قربانة على شاكلة القربانة التي ترسلها الى الكنيسة . والقربانة رغيف خبز مستدير سميك (قرصتين من عجين او ثلاث) واذا كان دورها ان تقدّم للخوري قربانة الاحد فانها تضيف الى عجينها حبّ اليانسون وتصنع قربانة كبيرة لقداس الاحد . ولا تنسى ان ترسم عليها رسوماً : الصليب وطابعاً آخر مزخرفاً .

يوم الغسيل : وهذا يوم عصيب ايضاً ويأتي مرّة كل اسبوع . يبدأ الاستعداد ليوم الغسيل في اليوم الذي يسبقه . فان المرأة تبدأ بتحضير الماء من العين او من بئر الجيران ان لم يكن عندها بئر ماء او بئر ماء جمع[2] وهذا يقتضيها وقتاً



كرنيب : وهو نوع من القرع اليابس تستخدمه النساء لحمل الماء في الخدمة المنزلية .

---

(١) وبعضهم يسمّي هذا النوع من الخبز « مراشيح » ومفردها مرشوحة .

(٢) يقولون « بير » للبئر ذات النبع الطبيعي « وبير مي جمع » بئر يجمع فيه مـــاء السطح شتاء .

وجهداً[١] . ثم انها تحضر صفوتها . والصفوة ماء الرماد المروّق . علّمهن الاختبار ان ماء الرماد المروّق يوفر في استهلاك الصابون ، والصابون غالي الثمن . والصفوة برميل كبير او خواب فخارية يوضع فيها رماد الموقد ويضاف اليه الماء ويترك الى ان يروق . ثم انهن يصفين الماء بالشاش قبل تسخينه .

تقوم المرأة ليلاً وتبدأ بالغسيل . تغسل اولاً البياض ، اي الاقمشة القطنية البيضاء لكي لا تُصبَغ بالاقمشة الملوّنة اذا كان صباغها « يحلّ » اي يذوب في الماء . والغسيل يغسل « زومين » او ثلاثة احياناً . الزوم



امرأة تغسل الثياب عند عين الضيعة .

الاول (اي الغسلة الواحدة) بالماء الساخن والصابون . ثم يعصر ويرمى به الى معجن او لكَن ثان فيه ماء ساخن وصابون . واذا كان هنالك من يسعفها (جارتها او اجيرة ، او ابنتها) فانهن يتقاسمن العمل : الزّوم الاول لهذه والزوم الثاني لتلك . ثم يأتي دور الملوّن (اي الاقمشة

(١) ولذلك تفضل بعض النساء الرحلة الى عين الضيعة وهناك يبنين موقداً ويسخنّ الماء ويغسلنّ هناك .

المصبوغة) . وبعد الغسل ينقل الغسيل الى الحلّة او الدست او الحلقين ويغلى بالماء ويضاف اليه قليل من الصابون وورق الغار . ثم ينقل بعد غليه الى المعاجن للتنييل اي لغسله بماء النيلة . والنيلة تكسب البياض لوناً مشرقاً . ثم ينشر في الشمس ليجف . وغسيل القروية اللبنانية نظيف جداً ورائحته لطيفة . بعد جفافه يُمسّد ثم يُطوى ويوضع في الصندوق او الخزانة ويضعون بين الثياب صرراً فيها نباتات عطرية لتعطير الثياب ، واكثره مما يسمونه سبلاً (sage) . اما الكوي فمستحدث .

وعندما تطوي المرأة غسيلها تضع جانباً كل قطعة تحتاج الى رفء ، وفي مصطلحهم رتي وترقيع . وهذه امور تقوم بها في ساعات الفراغ . والثياب التي تحتاج الى رفء (او رتي) وترقيع وتقطيب كثيرة ! !

يوم التعزيل ، او التشبيق ، او التنفيض[1] : التعزيل والتشبيق والتنفيض الفاظ مترادفة تعني الشيء ذاته : يوم تنظيف البيت . وهو يوم عصيب يأتي مرّة في الاسبوع . ونهار السبت عادة هو يوم التنظيف لكي يكون البيت رتيباً نظيفاً نهار الاحد ، لان الاحد يوم تزاور في القرية .

يكون تنظيف البيت تنظيفاً عاماً شاملاً : كنس ارض البيت ونفض الغبار عن الجدران والسقف واخراج الاثاث لنفضه وتهويته وتشميسه . ولذلك يجب ان يكون الطقس صباحياً مشمساً . لا يعزّل البيت او يشبّق او ينفّض يوم المطر او يوم الريح او يوم الغيم . يجب ان يكون النهار جميلا دافئاً .

تُخرج المرأة اثاثها الى السطيحة او الى الدار او الى السطح لتنفضه وتشمّسه قليلا . وفي هذه الاثناء تكون قد كنست ارض الغرف وعسّفت جدران الغرف وسقوفها بالمعساف[2] ، وهو غصن نخيل او قصبة

---

(١) مصادر عزّل وشبّق ونفّض عزّل البيت اخرج كل ما فيه من اثاث الى الشمس لتشميسه وتهويته ونفض الغبار عنه .

(٢) يكون المعساف من سعف النخيل .

تربط بها خرقاً لتزيل نسيج العنكبوت او السناج المتدلي من السقف او الغبار العالق على الجدران . ثم انها تشطف ارض الغرف اذا كانت « حجرية » والحجرية طبقة من الكلس والرمل والحصى تمزج ويطين بها ارض البيت ، او اذا كانت مبلطة بالحجارة . ولكن ارض اكثر البيوت القديمة ترابية دلغانية كما ذكرنا في كلامنا عن العلّية . هذا السطح الترابي الدلغاني يُمَرّح بماء الدلغان ويُدلك بالمدلكة ويترك مدة ساعة او ساعتين لينشف ثم يعاد الاثاث .

يستطيع الواحد ان يقول بان المرأة اللبنانيـة القروية امرأة تحب النظافة والترتيب . البيت اللبناني العادي نظيف رتيب . ولكن لا تخلو القرية من اناس فقراء يجمعون الى فقرهم القذارة وسوء التدبير .

المطبخ القروي :

وما دمنا نتكلم عن عمل المرأة في البيت ينبغي لنا ان نذكر شيئاً عن المطبخ[١] اللبناني . ليس للفلاح القروي مطبخ ، وليس في هندسة البيت القروي مكان للمطبخ . فان المرأة اللبنانية تطبخ شتاء على الموقد او الوجاق الذي يتدفأون عليه في العلية ، وربيعاً وصيفاً وخريفاً تطبخ على موقد الصاج ، اذا كان عندها صاج ، او على موقد تبنيه تحت القنطرة او امام المدّ او العلية او في الجلّ تحت التوتة . وتغسل صحونها – وحسب مصطلحهن تجلي الصحون – وآنية طبخها خارج البيت او داخله في لَكَن او طشت بعد ان تكون قد فركت الآنية المشومرة (اي التي علاها الشومار وهو السناج) برماد .

وليس في الطبخ اللبناني القروي الاصيل كثير من الفن او الصنعة . ان ما يسمّى خطأ مآكل لبنانية هو في الواقع مآكل شرقية (وعلى

---

(١) نستعمل كلمة مطبخ هنا بمعنى فن الطبخ وتحضير الطعام وليذكر القارىء الكريم ان تعميمنا في هذه النبذة ينطبق على العامة لا الخاصة .

وجه التدقيق فارسية – تركية) تعلمها اللبناني من ساكني المدن الساحلية او من طبّاخي الامراء الاقطاعيين . اكل اللبناني القروي بسيط بدائي . ولو لم تكن مادة الطعام من خضار وفاكهة وقمح وزيت وحبوب وقورما



مطبخنا في ظل شجرة

غنية بالنشا والمادة الزلالية وبالڤيتامينات الطبيعية ، ولولا جودة المناخ ، ولولا الحياة القروية التي تبقي اللبناني خارج العلية اكثر نهاره ، نقول ، لولا هذه الامور جملة لكانت صحة اللبناني تسوء كثيراً . وكذلك ما

يسمى بعلم التغذية ، وما يسمّى بالوجبة الموزونة[١] فامور لا يعرفها اللبناني ولا تخطر له ببال .

فن الطبخ :

يتألف طعام اللبناني من :

(أ) المطبوخ بالزيت او القورما والمحشي
(ب) المسلوق والمتبّل
(ج) المخلل والمكبوس والمعقود .

(١) الطبخ بالزيت او القورما :

لم نذكر الطبخ باللحم لان اللحم مادة غالية الثمن وغير ميسورة في القرى ، وليس لان اللبناني لا يحب اللحم . وفن الطبخ بالزيت او القورما واحد في المبدأ . يبدأ الطبخ اما بسلق المادة المطبوخة اولاً ثم اضافة القليّة اليها ، او بتهيئة القلية اولاً ثم اضافة المادة المطبوخة اليها . والقليّة بصل مهروم او مفروم (وفي بعض المآكل ثوم) يحمّر بالزيت او القورما (واحياناً قليلة بالسمن .) ولنأخذ مثلاً طبخة يخنة ، ولنقل انها يخنة لوبي خضراء بزيت ، وهي اكلة مستحبة . تأخذ المرأة زيتاً وتهرم (أو تفرم) بصلها وتحمّر البصل بالزيت ، ومنهم من يضيف الى هذه الاكلة ثوماً . ثم تضيف اللوبي بعد ازالة طرفي القرن وقطعه الى اثنين . ثم تضيف شيئاً من الملح وتحمّس اللوبي قليلاً الى ان تذبل . ثم تضيف البندورا وتترك قدرها على النار الى ان تنضج . وهذه لوبي « مقلاّية بدمّها » اي مطبوخة بدون ماء .

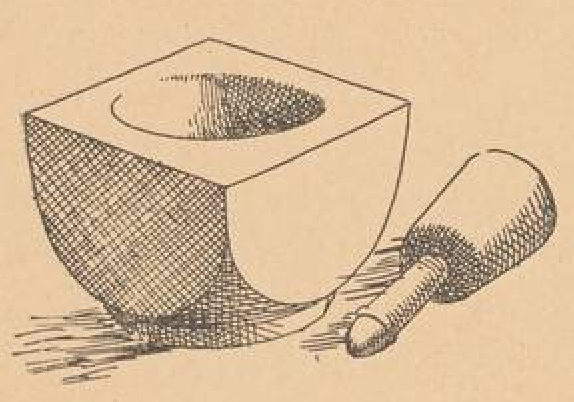
ولنأخذ مثلاً آخر : اكلة المجدّرة المشهورة . يُسلق العدس اولاً

(١) اي المحتوية على ضروريات التغذية من نشا وزلال وفيتامينات وخلافه بنسب معينة .

واذا نضج اضافوا اليه ارزاً او برغلاً . واذا نضج البرغل اضافوا القلية . والقلية بصل مهروم محمّر بالزيت . وبعد اضافة القلية تُغلى المجدّرة غلياً يسيراً بضع دقائق .

والطبخ الذي تضاف اليه القلية بعد سلقه يسمى « المتزّل » او « المتزّلة » وهناك مآكل كثيرة تسمّى « المتزّلة » .

اما المحشي فخضار تُحشى بالارز او البرغل . وهنالك نوعان من المحشي : القاطع اي المطبوخ بالزيت ، ومحشي باللحم او القورما . ولنأخذ مثالاً على المحشي القاطع ورق السلق . تأخذ المرأة ارزاً وتضيف اليه الزيت وقليلاً من البصل المفروم وبعض وريقات من البقدونس وتضع في ورقة السلق شيئاً من هذا المزيج وتلفه لفافات وتنضدها في قدر . وبعد ذلك تضيف ماء الى ان يغمر الماء لفافات المحشي وتغليها غلياً يسيراً . وعند مقاربتها النضج تضيف شيئاً من عصير الليمون . واما الكوسى فيزال لبّه ويحشى مكانه ارزاً مع القورما او مع اللحم المفروم اذا تيسّر .



جرن الكبة والمدقة

هذا هو الشائع العام . ولكن هنالك مآكل تحضّر بشكل آخر يختلف عن الشكل الذي وصفناه ، كصنع الكبّة مثلاً . ولا يسعنا الدخول في تفاصيل فنّ الطبخ فان هنالك كتباً تبحث هذا الفن . ولاننا وضعنا امامنا تدوين ما هو اصيل وما هو في طريق الزوال فقد اكتفينا بالاشارة الى مبدأ فن الطبخ اللبناني واقتصرنا على الشائع العام بين القرويين .

(ب) المسلوق والمتبل :

يأكل اللبناني كثيراً من المآكل المسلوقة والمسلوقة المتبلة والمشوية المتبلة . واكثر ما يسلقه ويتبله الخضار مثل البطاطا واللوبي . «والتتبيلة» ثوم وزيت وعصير الليمون او الخل ، واذا تعذّر هذا وذاك فشيء من حامض الحصرم ايام الحصرم . تحضّر المرأة القروية تتبيلتها على هذا النمط . تأخذ حصّ ثوم (او حصين) وتدقه مع الملح ثم تضيف عصير الليمون او الخل ثم الزيت . هذا المزيج يضاف الى المتبّل كالفاصوليا المسلوقة او اللوبي الخضراء المسلوقة . وهذا المزيج نفسه (ثوم ، ليمون ، زيت) هو ما تتكئ به المرأة كل انواع السلطة . وهنالك مآكل تتبّل بالطحينة وهي زيت السمسم . يدق الثوم مع الملح ويضاف زيت السمسم ثم عصير الليمون ويخفق خفقاً يسيراً ثم يضاف اليه المتبل ويخفق خفقاً شديداً كما يصنع في الاكلة الشهيرة المستحبة « بابا غنّوج » ثم توضع في صحون ويسكب على وجهها الزيت .

(ج) المخلل والمكبوس والمعقود :

وقد اشرنا الى هذه المآكل التي تحضّرها المرأة اللبنانية اثناء الصيف . ويطلقون على هذه المآكل لفظة « نواشف » مقابلة لها بالمطبوخ ، او « حواضر البيت » لانها من الامور التي يجب ان تكون حاضرة على المائدة وميسورة عندما يتعذّر الطبخ . وللقارىء ان يعود الى الفصل السابق (ص ٨٥) ليطلع على طريقة تحضيرها .

مواد الطعام الرئيسية :

(١) الخبز : الخبز مادة الطعام الاولية . يستطيع اللبناني القروي ان يعيش على الخبز وحده . ولكنه يعلم جيداً انه ليس بالخبز وحده يحي الانسان ! ولكن . . . .

يقول اللبناني « متى انوجدوا الخبزات بيرتاح البال » . والواقع ان اللبناني لا يشعر باطمئنان الى مستقبل الايام في الشتاء الا اذا كان قد ملأ كوايره بالقمح . ويحرص على ان يشتري ولو نصف مونته في شهر آب او ايلول ، واحياناً اذا شعر انه لم يشتر مونته كاملة فانه يبقي ما اشتراه لايام الشتاء العصيبة ويشتري طحيناً بكسبه الاسبوعي .

اما الطبخ الذي اتينا على ذكره فهو في نظر الفلاح اللبناني ادام ويسميه في لغته دامة . والدامة ليست لملء المعدة ، انما الدامة شيء يسهّل ابتلاع الخبز ويكسبه طعماً ونكهة . ويشتقون من كلمة دامة (= ادام) فعلا ، ادَّم اي اقتصد واعتدل في استهلاكه . والصورة مأخوذة عن طريقة اكل الفلاح . فانه يأخذ بالخبز شيئاً قليلا من الطبيخ لينكّه الخبز وليستسيغ بلعه . وقد يكون ادام الفقراء منهم « حبة زيتون » او بصلة او ورق كرّات او حشائش ذات حموضة او شيئاً فيه حلاوة . المهم ان يكون هنالك شيء يؤكل به الخبز ، الخبز الذي هو الطعام الرئيسي . وقد جئنا على ذكر مونة القمح وعمل الخبز فلا نرى ضرورة للاعادة[١] .

(٢) البرغل : ويأتي البرغل في الدرجة الثانية في قائمة الاستهلاك . الرز للضيف وللمريض ولبعض المآكل التي يطبخها يوم الاحد او يوم العيد او في مناسبات اخرى . واذا طبخوا البرغل وحده فانهم لا يطبخونه بالزيت بل بالقورما . ويدخل البرغل عنصراً في مآكل اخرى كالمجدَّرة وانواعها والكبة وبعض المحاشي . وقد جئنا على ذكر صنع البرغل ص ٧٦ فليراجع .

(٣) القطاني : وتأتي القطاني في الدرجة الثالثة في قائمة الاستهلاك واكثرها استهلاكاً العدس . وكثيرون من الفلاحين الذين عندهم اراض سليخية ينتجون عدسهم وحمصهم وفولهم ، ومن لا ينتجها فانه يحرص على

---

(١) راجع الفصل الرابع ص ٧٣–٧٦ ، والفصل الخامس ص ٩٣–٩٧

شرائها في موسمها كما ذكرنا ذلك عند كلامنا عن شهر المونة (الفصل الرابع) .
اما بزر اللوبي والفاصوليا فان اكثرهم ينتجونه في ارضهم الزراعية التي تسقى (تسقى من عين الضيعة او بئر خاصة او نبعة ينبشها الفلاح في ارضه .) يأكلون ما يأكلون من اللوبي والفاصوليا الخضراء ويجمعون الحبّ الذي يتكامل نموه على النبتة ويجففونه جيداً ويختزنونه للشتاء . وفي بعض المناطق (مثل حمانا وجوارها حيث كانت[1] تكثر زراعة اللوبي والفاصوليا) يطبخون بزر اللوبي والفاصوليا كل يوم من ايام الشتاء ، بزيت وبقورما او سلقاً ثم يتبّلونها بالزيت والثوم والحامض .

(٤) البطاطا : تستهلك العائلة اللبنانية العادية مقداراً كبيراً من البطاطا . يأكلونه مسلوقاً ومشوياً ومقلياً بالزيت ومطبوخاً بالزيت او القورما . ويدخل عنصراً في مآكل اخرى .

كثيرون من الفلاحين ينتجون استهلاكهم من البطاطا . غير ان فلاحي المناطق المنخفضة (تحت ٧٠٠ متر) لا يعتمدون انتاجهم مونة للشتاء بل ينتجون ما يسدّ حاجتهم في الصيف وفي الخريف ويشترون مونة الشتاء من البطاطا المنتجة في اعالي لبنان (كفرسلوان وترشيش وجوار الجوز) لان البطاطا الجبلية لها قشرة قاسية تحفظ راس البطاطا من الفساد والعفن . وقد علمهم الاختبار ان البطاطا الجبلية من المناطق العالية تصلح للمونة وسواها يفسد في وقت قصير . لذلك ترى منتجي البطاطا من المناطق العالية يهبطون باحمالهم الى المناطق المنخفضة ويقايضون بها زيتاً وزيتوناً لان الزيتون لا ينمو في المناطق العالية .

(٥) الزيت والزيتون : وهما من المواد الغذائية الاساسية في البيت اللبناني . يسمّون الزيتون شيخ السفرة فان صحن الزيتون (المسبّح والجرجير والمرصوص) على سفرة الطعام دوماً . وقد لا يهنأ لهم طعام اذا لم يتخلّل وجبة الطعام « حص زيتون » .

---

(١) نقول « كانت » لان اكثر الاراضي اليوم تزرع تفاحاً ولا يزرع الفلاح خضاراً بين اغراس التفاح . ولذلك قلّ انتاج بزر اللوبي والفاصوليا في لبنان بطريقة محسوسة .

اما الزيت فيأكلونه في مختلف انواع السلطة والمتبّل وبه يطبخون الخضار والقطاني ويأكلونه مع اللبنة وبعضهم يغمس لقمته بالزيت ويأكلها. واننا نعرف اناساً يشربون قدحاً صغيراً من الزيت كمقوٍّ او كدواء. ولذا يحرص اللبناني على ان يتموّن من هاتين المادتين مقادير كبيرة. واهتمامه « بالزيتات والزيتونات » لا يقلّ عن اهتمامه « بالدهنات والقمحات ».

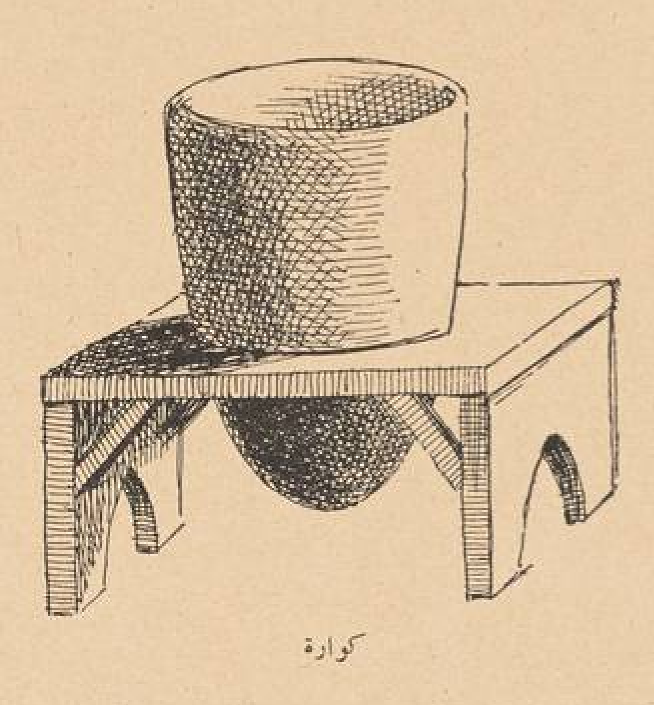
(٦) الخضار : ويستهلكها في موسمها. لم يرَ اللبناني (قبل ١٩٢٥) خضاراً وفاكهة في غير فصولها الطبيعية. لكل فاكهة او نوع من الخضار فصل، فاذا انقضى فصله فان اللبناني يُحرمه الى ان ينتجه في العام المقبل. ولكن بتحسن احوال الزراعة وتقدّم المواصلات اصبح اللبنانيون يأكلون الخضار في الشتاء كما يأكلونها في الصيف. واللبناني يأكل مقداراً كبيراً من الخضار والفاكهة. يأكل الخضار نيئة ومسلوقة ومطبوخة بالزيت او القورما. ولا يأكل فاكهة مطبوخة على الاطلاق (الا اذا طبخ منها المربّى للشتاء) واذا كان احدهم يطبخ تفاحاً او اجّاصاً او خوخاً فانه يقلّد الغربيين. وحرام ان تؤكل فاكهة لبنان مطبوخة!

اكثر الفلاحين الذين عندهم ماء (نبعة او بئر او حقّ في ريّ ارضهم من عين الضيعة) ينتجون خضارهم: البندورا واللوبياء والفاصوليا والباذنجان والبصل والفليفلة والبامية والبازلاء والفول. ويجفف او يقدّد بعض هذه الخضار في الصيف مونة للشتاء (راجع ص ٨٥).

اشهر المآكل اللبنانية:

الكبّة، الكشك، البرغل المفلفل — ويطبخ بالقورما ويضاف اليه احياناً ورق الملفوف — المجدّرة، المخلوطة، المدردرة، الرشته « كلمة فارسية ومعناها خيوط » وتكون رشته بحليب ورشته بعدس، اليبرق (كلمة تركية ومعناها ورق الشجر) ويكون من ورق العنب او السلق او

الملفوف ، الغمة ، الهريسة ، المهلبية ، المعذّبة ، حارق اصبعه ، برغل بودفين ، فطاير بسلق او بسبانخ او بالكشك او بلبنة ، المغلي ، مختلف انواع اليخنة وقبالتها الارز ، بابا غنوج ، حمص بطحينة ، تبّولة . ولن



كوارة

نسهب في طريقة طبخها لانها امور لا تزال شائعة حية في كثير من بيوت القرويين . وفضلاً عن هذا فان هنالك كتباً مستحدثة تصف طريقة صنعها يستطيع المرء ان يعود اليها اذا شاء مزيداً من المعرفة في هذه الشؤون .

الفصل السادس

زراعة القرية

تقوم الحياة الاقتصادية اللبنانية القروية على الزراعة . الزراعة مصدر كسب لاكثرية القرى اللبنانية الساحقة . هنالك قلة قليلة تكسب عيشها بالتجارة او بالقيام بخدمات اقتصادية اخرى، انما يصح القول بان اللبناني الأصيل فلاح .

للزراعة اللبنانية القديمة طابع خاص واسلوب خاص ينسجم مع طبيعة الارض الجبلية وسطحها والتربة وفصول السنة . وموضوع الزراعة واسع متشعب الاطراف . وقد رأينا ان نقصر كلامنا على النواحي الاساسية ولاسيا تلك التي هي عرضة للتغيّر ، او تلك التي في طريقها للزوال . فاننا قد بدأنا نرى اساليب زراعية حديثة تحلّ محل اساليب قديمة ، ومواسم زراعية تحلّ محل مواسم زراعية اخرى . فان زراعة التوت مثلا وتربية الحرير ، رغم حرص الجمهورية اللبنانية الحاضرة على تشجيع الفلاحين لاعادته موسماً زراعياً ، في طريقهما الى الزوال . ولكن كان يوم كانت فيه عودة التوت اثمن ملك ، وكان فيه الدخل من موسم الحرير اكبر دخل . الدين ووفاء الدين وشراء الارض والحاجات وتأدية الضرائب الحكومية والبركة الكنسية كان عند قبض ثمن موسم الحرير . كل هذا قد زال واصبح انتاج التفاح على اسس تجارية اقتصادية يحلّ محل زراعة التوت وتربية دود الحرير . وادخال الآلة في الزراعة امر مستحدث . ولذلك ، واتّباعاً لخطتنا في تسجيل ما هو في طريقه الى الزوال ، سنقصر كلامنا في هذا الفصل على الامور التالية :

(١) انواع الارض :

وكلامنا عن القرية اللبنانية الجبلية التي تمثل اكثر القرى اللبنانية . هنالك قرى على الساحل وقرى اخرى في سهل البقاع (ولم يكن البقاع قديماً من لبنان) لا ينطبق عليها وصفنا .

نقسّم ارض القرية الى خمسة أنواع او اصناف من الارض : (أ) الجذار ، ويقال الجدار (ب) الكروم (ج) السليخ (ويلفظونها بالصاد : صليخ) (د) القلع او القلعة (ه) المشاع او الحرج .

(أ) الجذار : اما الجذار فهو الارض القريبة المحيطة بالقرية . وهي اخصب ارض واثمنها . وترجيحنا ان اللفظة آرامية : ܓܕܪܐ ومعناها حائط وجدار وسور . ولكن ليس هنالك ما يمنع ان تكون قد سميت بالجذار لكثرة الجذور فيها . غير اننا نرجح انها سميت بالجذار من اللفظة الآرامية لانها اول ارض نقبها الفلاح ودرّجها ، اي بنى لها جدراناً متدرجة لحفظ التربة من الانجراف (اي الجلول او الجلالي جمع جلّ وسيأتي ذكره) .

كان اكثر الجذار مغروساً باشجار التوت لان التربة حسنة وعميقة تنمو فيها شجرة التوت نمواً حسناً . وكان موسم الحرير اول موسم في كثير من القرى اللبنانية . ويعرف الفلاح اللبناني ان مقدار السماد في



جلالي او شوارات عند سفح تلة

هذه الارض التي بين البيوت والمحيطة بالقرية كبير . ولذلك كان يغرس فيها التبغ لاستهلاكه الخاص او للانتفاع بثمنه . ونحن نذكر

ان آباءنا وجدودنا لم يشتروا تبغاً من دكان بل كان كل فلاح يفتّش عن «حاكورة»[١] خصبة غنية بسماد الماعز والبقر والحمير فيزرعها تبغاً. عندما يصفرّ الورق، او يقارب الاصفرار يقتطعه من النبتة، ويشكه في خيط ويجففه في الظلّ ومساء يصعده الى السطح ليبلله الندى، وصباحاً يدخله الى الداخل. وهو تبغ جيد حسن الرائحة قويّ يتطاير منه الشرر! يفرمونه في البيت بالسكين ويلفونه لفافات ويدخنونه.

وقد علّم الاختبار الفلاح اللبناني ان هذه الارض الثقيلة[٢] لا تصلح للعنب ولا للتين. العنب والتين يفضلان الارض الخفيفة البعلية[٣]. كل عنب وكل تين مصدره الجذار عنب حامض وتين فاسد.

(ب) الكروم: اما الكروم فانها تنمو نمواً حسناً وتعطي ثمراً جيداً لذيذاً اذا غرست في الارض الخفيفة. يعنون بالارض الخفيفة الارض التي تقلّ فيها المواد العضوية والسماد ورطوبتها قليلة. واحسن العنب ينتج في الارض التي يسمونها حوّارة. الكرمة القريبة من القرية او من مجاري المياه تحتاج الى عناية خاصة لتعطي ثمراً جيداً. اما دالية البرّية فلا تحتاج الى اكثر من تقليم وفلاحة بسيطة مرة او مرتين في السنة.

لكروم القرية ناحية روحية جميلة. الذي يهجر القرية يحنّ دوماً الى كرومها. فان الغدوة الى الكروم والنزهة مساء صوب الكروم، والترويقة في الكروم، وحمل سلة ملآنة عنباً وتيناً يقطفها المرء ويعود بها الى بيته، هذه واخرى تجعل من الكروم بقعة مباركة لها جمالها ولها ذكرياتها. وكثيراً ما يدعو الرجل او المرأة اصحابه او صاحباتها ويذهبون الى الكروم قصد التنزّه.

---

(١) الحاكورة قطعة ارض صغيرة مسوّرة.

(٢) مقابلة لها بالارض الخفيفة. الثقيلة هي الخصبة الغنية بالمادة العضوية وتكون طبقتها سميكة (متران او اكثر من التراب الناعم.) اما الخفيفة فطبقة ضحلة وليست غنية بالمواد العضوية.

(٣) البعلية التي لا تسقى صيفاً. والخضار والفاكهة البعلية هي التي لا يسقونها صيفاً.

اما موسم العنب من جهة اقتصادية فعلى كثير من الاهمية . العنب فاكهة الصيف الرئيسية . ومن العنب يصنع الفلاح دبسه وخله وعرقه للشتاء .

(ج) السليخ : اما السليخ (الصليخ) فهو الاراضي الممهدة (والمستسهلة حسب مصطلحهم) الغير المشجرة التي يعدّونها لزرع الحبوب : القمح والشعير والكرسنة، وتصلح ان تكون مراعي . وهي اراض بعيدة عن القرية لم تتناولها معاول الفلاحين بالنقب كما سيأتي وصفه . فهي ارض بور موات. ولكن قد يكون هنالك سليخ حسن التربة عميقها ولكنها ليست منقوبة . ولا يعني قولنا هذا ان الفلاح اللبناني اهمل او يهمل هذه الارض ، بل الامر على نقيض هذا فانه يعدّها لزرع الحبوب الشتوية .

قبل ان يبذر الفلاح سليخه بعد سقوط المطر يكون قد قشقش[1] الارض في اواخر الصيف . والقشقشة في مصطلحهم جمع الشوك والعشب والهشيم والعليق وحرقه . وقد لا يحرق الشوك بل يدرسه في البيدر لان تبن الشوك علف للماشية يخلط مع بعض الحبّ . وحرق الارض يكسبها خصوبة ويسهّل امر فلاحتها . وهذه الارض السليخ اذا نقبت تصبح صالحة لغرس الاشجار المثمرة .

ومن عاداتهم ان الذي يملك سليخاً لا يستطيع نقبه واستغلاله يعطيه لفلاح يتعهده بالنقب فالغرس . الفلاح يقدم تعبه ويستغل الارض المغروسة سنوات يتفقون عليها ثم تعاد الارض الى صاحبها الاصيل . ولهم في تقرير التعويض عرف وشروط ليست ثابتة بل تتوقف على جودة الارض وحسن معاملة المالك وامانة الفلاح .

(د) القلع : اما الصنف الرابع من الارض القروية هو القلع[2] . والقلع في مصطلحهم يطلق على الارض الوعرة الصعبة التي يعلو وجهها

---

(١) قشقش الارض جمع قشّها وشوكها وعليقها وهشيمها اليابس واحرقه .

(٢) وقد سُمّي القلع ربما لان منه تقتلع الحجارة . في الفصحى القلعة الحجارة الضخمة المتقلعة . او ربما لان منه تقتلع الاشجار للحطب والفحم. وقد تكون الكلمة آرامية او فينيقية.

الصخر والاشجار البرّية والتي نفقات نقبها لا توازي قيمة غلّتها، ولذلك تهمل. غير انّ اشجار الصنوبر والسنديان والبطم تنمو فيها نمواً حسناً. والى جانب هذا فانها تصلح للمراعي. وهي ارض مملوكة. واحياناً يعتني صاحب الارض بقلعه او قلعته فينفق شيئاً من المال في غرس اشجار الزيتون والخرّوب في البقع الحسنة، وفي تطعيم البرّي وتشحيله لكي يحسن نموّه. ولهذه الارض احياناً دخل من ثمن الحطب والفحم. فانهم كل مدة ١٥ – ٢٠ سنة يضمّنونها لفحّام او لحطّاب يقتلع الاشجار ويبيعها حطباً او فحماً. واحياناً، اذا كان صاحب القلع او القلعة غنياً، فانه ينقب الارض ويخلق منها عَوْدة او كرم زيتون او نقبة كرم رغم ان تكاليف النقب تكون احياناً باهظة.

(ه) المشاع: اما المشاع او الحرش فقد تكلمنا عنه سابقاً عند كلامنا عن القرية اللبنانية (راجع ص ٣٤ – ٣٧).

(٢) نقب[١] الارض وفلاحتها.

يستعملون لفظة نَقْب لنوع خاص من عَزق الارض. يكون النقب في الدرجة الاولى للارض السليخ او القلع التي لا تزال على حالتها الطبيعية. وقد يجدّد الفلاح نقب ارضه مرّة ثانية اذا لحظ ان غلتها اخذت بالنقصان. والنقب يكون على عمق يتراوح بين ٦٠ – ٧٥ سنتم (احياناً متر). وشرط النقب ان تُنقّى الارض من الصخور والحجارة الكبير والحشائش والجذور الضارّة. وتربة الارض المنقوبة تربة بكر ينمو فيها الخضار نمواً حسنا. ويحرص الفلاح اللبناني على ان ينقب قطعة من ارضه كل سنة او سنتين ليزرعها خضاراً «بعلية» اي دون سقي في الصيف. وقد

---

(١) ارجح، بناء على ان الكثرة الساحقة من مفردات الزراعة والفلاحة ومصطلحاتها سريانية، ان اللفظة هذه سريانية ايضاً رغم ان الجذر موجود في العربية. لان المعنى السرياني اقرب الى معنى النقب كما يستعمله الفلاح اللبناني.

يزرعها خياراً وقثاء وبطيخاً فتعطي غلة حسنة . والارض المنقوبة تسمّى « نقبة » فيقولون نقبة كرم او نقبة توت او تين .

لنأخذ فلاحاً ارضه السليخ متحدّرة . اذا كانت سهلة ممهّدة فان نقبها لا يحتاج الى كبير عناء ولا تحتاج الى بناء شوارات (مدارج على سفح التل لحفظ التربة) . يبدأ نقب ارضه من الجهة السفلى . يبني اولاً جداراً – اي شواراً – بالحجارة الغشيمة[١] . واذا كان هذا الجدار الذي يبنيه عريضاً عالياً لتسوير قطعة الارض فانهم يسمونه سِنسالاً او سنسلة . ثم ان العملة الذين ينقبون الارض على عمق ذراع (٦٠ – ٧٠ سنتم) ينقّون التربة من كل شيء غريب : صخور وحجارة كبيرة وجذور نباتات بريّة ويقتلعون كل شجرة وشجيرة بريّة تهيئة لغرسها بالاشجار المثمرة او باغراس التوت . وعلى بعد مترين او ثلاثة (يتوقف ذلك على معدّل انحدار الارض) يُبْنَى جدار آخر لجلّ[٢] ثان ، وهكذا دواليك الى ان يأتي الى آخر ارضه . اما اذا كانت ارضه منبسطة (مستهلة) فانه لا يحتاج الى بناء جدران كثيرة . يسمّي الفلاح الجزء القريب من الشوار الدبّار[٣] والقسم الملاصق لجدار الجلّ الثاني لزقة . (راجع رسم ص ١١١) .

يغرس الفلاح في كل جل صفاً واحداً من الاشجار ويسمّى دبّاراً ايضاً ، فيقولون « جلّ بدبّار واحد او جل بدبّارين » اي عريض يتسع لصفين من الاغراس . يغرس صفّ الاشجار على بعد نصف متر من الشوار (راجع الرسم ص ١١١) اما المسافة بين شجرة واخرى فتتوقف على نوع الشجر .

---

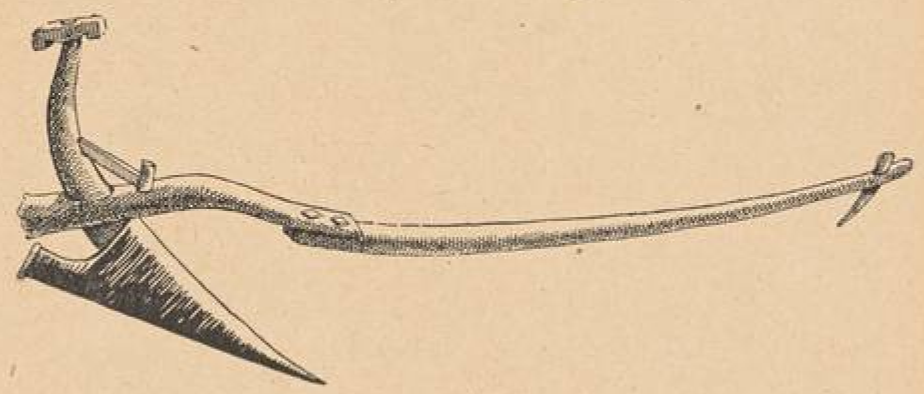
(١) الحجر الغشيم الذي لم يتعهّده نحات الصخر بالتشذيب والنحت . والشوار لفظة سريانية يستعملونها بمعنيين : جلّ ، وحائط الجلّ .

(٢) الجلّ وجمعه جلالي او جلول ، هو المدرج على السفح . واذا كان عرض الجلّ كبيراً اطلقوا عليه اسم دَوّارة .

(٣) تطلق كلمة دبّار على صف الاشجار ، ولان صف الاشجار يكون عادة على بعد نصف متر (او ذراع) من الشوار فانهم يسمون هذا الجزء من الجل دبّار ايضاً مقابلة له بالزقة .

كانت ارض الجذار تغرس بأغراس التوت ، لان موسم الحرير كان احسن موسم رابح . اما الان فانهم يقتلعون التوت ليغرسوا مكانه تفاحاً وكرزاً ودراقن رغم رغبة الحكومة في تشجيع زراعة التوت وفي احياء هذا الموسم . والسبب في ذلك اقتصادي بحت : اسعار الحرير لا تتناسب مع نفقات انتاجه .

يفلح الفلاح ارضه مرتين على اقل تعديل . اما الاغنياء منهم فثلاث مرات واحياناً قليلة اربع . فانه قد تعلم بالاختبار ان كثرة الفلاحة



رسم برك : في رأسه خشبة يُعلّق بها النير واسمها قطريب ، وخشبة المقبض يسمونها الصمد .

تسفر عن نتاج اكثر وافضل . يلاحظ الفلاح ان شجرة الحقل المفلوح تختلف نضارة وانتاجاً عن شجرة الحقل البور . تفلح الارض اولاً بعد المطرة الاولى في اواخر تشرين الثاني او كانون الاول ويسمونها اما « شقاق » او « كونة » ، من شقّ الارض او كونها (فلحها في كانون) . ولا تكون الاثلام في هذه الفلاحة متراصة متلاصقة بل يشق بضعة اثلام في الجلّ الواحد . ولشقاق الارض ، او فلاحتها الاولى ، منفعتان رئيستان : اولا لقتل الاعشاب والحشائش التي تكون قد افرخت بعد المطرة الاولى ، فان هذه الفلاحة تقلّل من العشب . والمنفعة الثانية ان الارض اذا شُقّت وثلّمت فان ماء الشتاء يُختزن في الارض فلا ينسحّ ويسيل هدراً الى السواقي .

اما الفلاحة الثانية ففي اوائل الربيع عندما «يطيب اليد» وطيبة اليد في مصطلحهم عندما تأخذ التربة بالجفاف . يجب الا تكون موحلة لزجة ولا جافة يابسة شديدة . والفلاح يعرف متى يجب ان يبدأ بفلاحتها، اي متى يطيب اليد . وبعد ايام يعيد فلاحتها ويسميها تثنية . وبعضهم يفلح ارضه ثالثة . ويعلم الفلاح بالاختبار ان الفلاحة تبقي الارض رطبة، او على لغتهم، تحتفظ بالثّري[١] . فانهم يلاحظون ان الاغراس المفلوحة مرتين وثلاث احسن نموّاً ونضارة من الاغراس في الارض البور[٢] .



فلاح يذرّي دريسه على البيدر

امّا ادوات الفلاحة التي يستعملها الفلاح اللبناني العادي فلا تختلف عن الادوات التي كانوا يستعملونها منذ آلاف السنين والتي لها وصف في كتب التوراة . فهناك السكة والبرك والنير والصّمد والمسّاس والقطريب، واكثرها الفاظ آرامية[٣] .

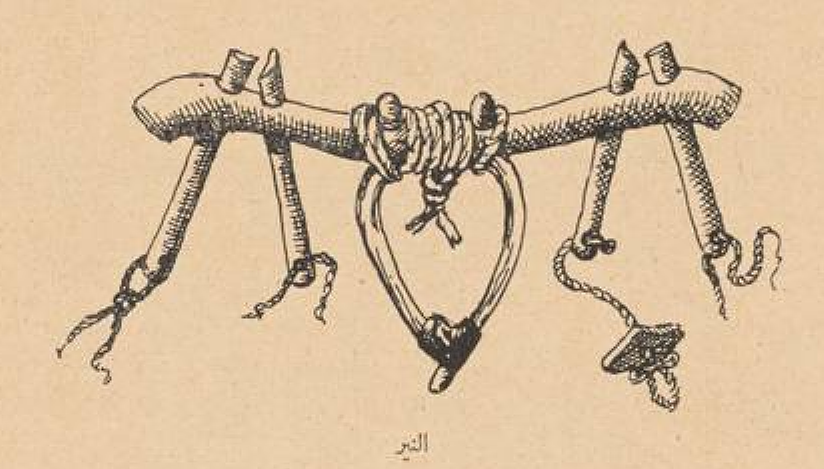
(١) الثري الرطوبة في التربة .

(٢) فلاحة الارض مرّة بعد اخرى تكسر مسامّ الارض فتمنع التبخّر السريع .

(٣) ܣܟܬܐ sekketa السكّة ، ܢܝܪܐ nira النير ، ܡܣܣܐ massâsa المسّاس ، ܩܛܪܝܒܐ qatriba القطريب ، ܨܡܕܐ simda (انظر الرسم ص ١١٦ ، ١١٨) .

(٣) البيدر :

واللفظة آرامية ܒܝܬ ܕܪܝܐ bet draya اي مكان التذرية . والبيدر مكان لدراسة الحبوب . ينتقي الفلاح قطعة ارض يسهل وصول الماشية اليها ، ويجب ان تكون قطعة ارض مستوية ممهدة معرضة لمهابّ النسيم فلا تكون في منخفض ولا في مكان يُصَدّ عنه النسيم . ولذا تجد ان البيدر يقع على هضبة من الارض معرضة للشمس والهواء وبالقرب منه شجرة (سنديان ، بطم او تينة عظيمة او جوزة) تظلّل العملة وقت الراحة .



النير

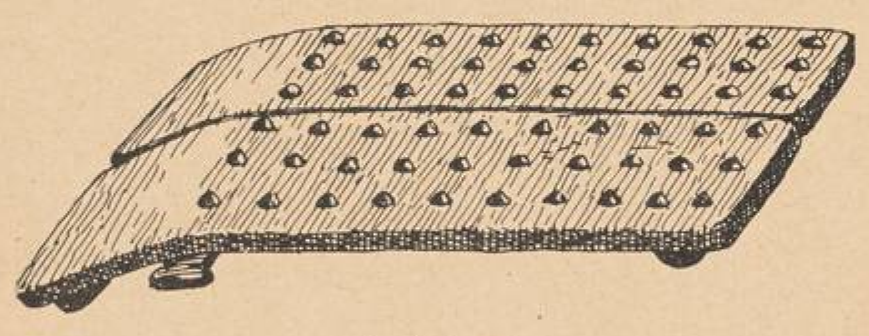
لا يحتاج بناء البيدر الى كبير عناء او الى نفقات . البيدر ارض مستديرة ممهدة تحيط بها دائرة من حجارة غشيمة . ارض البيدر قاسية جافة شديدة تُحدَل قبل فصل الدراسة . ويُفَضّل ان ينمو فيها التيْل (وبعضهم يسمّونه تيُول) الذي يمسك وجه الارض مسكاً شديداً . وبالقرب من البيدر سهلة تُعرَّم فيها اكداس الحبوب . والبيدر ، رغم انه خاصّ فان كثيرين يشتركون في دراسة حبوبهم لقاء اجر زهيد او احياناً بدون مقابل[١] .

---

(١) في القرى الجبلية التي اعرفها لا يتقاضى صاحب البيدر اجراً انما يُعطى صاحب البيدر المجال لدراسة حبوبه اولاً فاذا فرغ درس غيره .

يحصد الحاصد الحبوب ويضعها شميلات[١] شميلات وراءه . فيأتي آخر ويجمعها اغماراً وحزماً[٢] ثم حملات . تُنقل الحملات على ظهر الدواب (او الناس) الى البيدر وتُترك هناك زمناً قصيراً الى ان يتمّ جفافها .

آلة الدراسة المورج (النورج) وهو كناية عن لوحين او ثلاثة الواح من خشب الصنوبر العتيق الملقّش . يقطعون جذع الصنوبرة الى قطع طولها قرابة مترين وينشرونها الى الواح سميكة ٧ - ٨ سنتيمترات وعرضها قطر الشجرة : ٤٠ - ٥٠ سنتيمتراً . ثم انهم يحفرون في اسفل الالواح نقراً يدخلون فيها قطعاً من حجر الصوان او الحجر البركاني الخشن . ورأيت بعضهم يضعون قطعاً من حديد ذات وجهٍ خشن او مسنّن لكي يقطع القش الى قطع صغيرة (= تبن) .



نورج (مقلوب)

يسمون مقدار القمح الذي يدرسونه دفعة واحدة «طرحة» او «فلشة» . وكبر الطرحة وصغرها يتوقف على حجم البيدر . ولكن المعدّل ٤ أو ٥ أحمال من القش . ثم انهم يربطون النورج الى زوج ثيران ويجلس صبيّ او فتاة صغيرة (وهو عمل محبّب عند اطفال القرية) وتأخذ الثيران بالدوران على القش الى ان ينعم اي الى ان يصير تبناً . ويضعون

---

(١) جمع شميلة : الضمة او الحزمة وهي القدر الذي يستطيع الحاصد اخذه بيده .
(٢) لا يختلف الحاصد اللبناني عن الحاصد الموصوف في سفر راعوث .

على افواه البقر كمامات ويسمونها بلامة لكي لا تأكل السنابل . وعلى السائق ان ينتبه الى افراز البقر فيتلقى الافراز برفش معدّ امامه . اما البول فلا يهتمون به .

تنعم الطرحة بعد يومين من الدراسة . ثم انهم يجمعون الدريس عرمة في وسط البيدر وينتظرون هبوب نسيم النهار (عادة من العاشرة صباحاً الى بعد الظهر عندما يسكن الهواء . هـــذا في ايام الصيف العادية) فيذرّونه بالمذراة . ويستحسن الا يُذَرّى اذا كان الهواء شديداً لانه يطيّر التبن خارج البيدر . والمذراة شوكة خشبية كبيرة يأخذ الفلاح بها مقداراً من التبن ويرميه في الهواء فتطير العُصافات الدقيقة الى مسافات بعيدة . يسمون هذه العصافات الدقيقة « عور » وهو للرمي اذ لا تستسيغه الحيوانات. واما التبن (القش الغليظ) فيسقط في ارض البيدر . واما الحب فيقع عند رجلي المذرّي (راجع الرسم ص ١١٧)



البلامة

تنقية الحبّ عملية مضنية . ورغم حرص الفلاح ان يكون حبّه نقياً خالياً من الاجرام فان الحبّ المنقول من البيدر الى البيت يحتاج الى عمليات تنظيف وتنقية اخرى جئنا على ذكرها في فصل سابق عندما تكلمنا عن تصويل القمح[١] .

---

(١) ص ٧٤ .

(٤) عودة التوت وتربية دود القز :

وموسم الحرير آخذ بالزوال ، وتربية دود الحرير وحلّ الشرانق في المعامل (ويسمونها الكراخين ، جمع كرخانة) وما الى هذه من اعمال اخرى اصبحت من الامور التاريخية التي يتعلمها ابناؤنا في المدرسة .

كان موسم الحرير في اكثر المناطق اللبنانيـة الموسم الاوّل ، وكان الدخل دخلاً يعتمده الفلاح في استدانته وعند شرائه ما يحتاج اليه البيت ، وعند تجديده « الرزقات » او اضافة جلّ او جلّين يشتريها اذا اقبل موسم الحرير وكانت اسعاره حسنة . عند قبض ثمن الشرانق يُوَفّى الدين ، وتُشتَرى الثيابُ الجديدة ويجدَّد فرش العلية .

العودة قطعة ارض « على بعضها » كما يقولون في القرية . تكون احياناً مفلح ٥ — ١٠ ايام والا لا تسمى عودة . وقليلون جداً هم الفلاحون الذين يملكون هذه المساحة من الارض ، لان ملكيات الارض في القرى ، باستثناء الذين كانوا من الاقطاعيين او ورثتهم ، صغـيرة المساحات ، وتصغر المساحات على ممرّ الاجيال . كان الرجل اللبناني (ولا يزال) يقسّم ميراثه قبل وفاته على بنيه الذكور بالتساوي فيقول « هذا الجلّ لك والذي تحته لاخيك والذي تحته لاخيك الثالث.... » وفي الجيل التالي يقول الوالد : « نصف هذا الجلّ لك والنصف الآخر لاخيك ! » وهكذا الى ان تصبح الملكية احياناً عِمْداً[١] في تونة ، او عِمْداً في شجرة جوز او رطل زيتون من شجرة زيتون مشتركة بين جماعة ! ولا يزال في لبنان للآن ، رغم حرص الحكومة على القضاء على هذه الملكيات الصغيرة المزعجة والتي تسبِّب مشاكل حقوقية عويصة ، ملكيات يضحك منها الغريب ! اما العودة ، القطعـة من الارض التي « على بعضها » فتُعَدُّ من احسن الملكيات . ويفخر الفلاح اذا استطاع

---

(١) العِمْد الغصن الثخين الغليظ او فرع من الفروع الرئيسية للشجرة .

ان يقتني عودة اما شراء او انشاء ، اي ينقبها هو بيده (مع مساعدة عمال) ويغرسها بيده .

ينقب الفلاح ارضه على نحو ما جئنا على ذكره عند كلامنا عن نقب الارض[١] . وبعد عامين يطعّم اغراس التوت (ويسميها النصبات) بالنوع الجوّي . والفرق بين البرّي والجوّي في حجم الورقة وفي شكلها ، وفي انتاج الورق ، فان الجوّي يعطي انتاجاً اكبر وافضل .

وبعد نقب الارض يبني مراحاً ، والمراح غرفة (او غرفتان واحياناً ثلاثة) كبيرة مستطيلة لغرضين : اولاً ليربي فيها دود الحرير في الربيع واوائل الصيف ، وثانياً لايجارها للمعّازين ايام الشتاء .

اكثر ماعز لبنان يعيش في المناطق الجبلية الباردة . فاذا اتى فصل الثلوج هجر المعّازون موطن الثلج وهبطوا الى المناطق المنخفضة حيث تكثر الاحراج المشاعية (على علو ٧٠٠ — ٥٠٠ متر) فيقضون فصل الثلج هناك ، ثم يعودون في اوائل الربيع عندما يبدأ الفلاح اللبناني بتهيئة المراح والادوات لتربية دود الحرير . وايجار المراح شتاء هو ما تخلفه الماعز من روث ثمين ويسمونه النكّوب . وبعضهم يكرم وفادة المعاز فلا يأخذون منه ايجاراً بل يدفعون له احياناً اكراميات : حطباً وزيتاً وتيناً مطبوخا او شيئاً من الدبس . لان النكوب غالي الثمن ويعدّه الفلاح اللبناني احسن سماد للارض على الاطلاق[٢] . وغلة المراح المتوسط الحجم تقدّر بين ٢٠٠ — ٣٠٠ كيس .

اذا كانت العودة بعيدة عن القرية (واكثر العواد بعيدة عن بيوت القرية) فان الفلاح يقوم بهجرة ربيعية الى المراح ويبقى هناك مع عائلته الى ما بعد قطاف الشرانق .

---

(١) ص ١١٤

(٢) يقال ان ثمن كيس (١٠٠ كيلو) النكوب الآن ٥ — ٦ ليرات لبنانية . يسمدون به بساتين التفاح والبرتقال والطلب عليه شديد . اما قديماً فكان رخيص الثمن .

تربية دود الحرير او القز :

كانوا قديماً يحصلون على بيض دود الحرير (ويسمونه بزراً) بترك كمية من شرانق الموسم لتفرّش ، اي ليخرج منها الفراش ، وفراش القز يتزاوج بعد خروجه من الشرنقة مباشرة . يموت الذكر بعد عملية اللقاح وتبقى الانثى اياماً لتبيض ثم تموت . يُجمَع البزر من على الشرشف الابيض الذي كانوا يضعون عليه الفراشات ويوضع في اكياس من الشاش الابيض .

ولكن في المدة الاخيرة صاروا يشترونه من الخارج او من اماكن تعنى بالتبزير عناية علمية . لان الموسم كان في القديم يمحل بسبب امراض وراثية لم يعلم الفلاح من امرها شيئاً .

يؤخذ البزر الى المناطق العالية الباردة لكي لا ينقف . يحفظونه في كنيسة او دير بارد في المناطق التي تعلو ١٣٠٠ متر او اكثر عن سطح البحر وتبقى هناك الى اوائل الربيع .

عندما يورق التوت يهيئون في كل قرية او حارة منحلا . والمنحل غرفة دافئة يشعلون فيها النار (ويكثر الدخان فيها ، ولذلك يسمى المنحل مدخنا احياناً) ويحكمون سدّ النوافذ والثقوب . ويعلقون اكياس الشاش المحتوية بزر القز في المنحل . وبعد ايام قليلة يبدأ التفقيس . فيضعون كيس الشاش على طبق ويضعون ورقة او ورقتين من التوت البرّي (ورق التوت البري اطرى من الجوّي) فوق البزر فتصعد الديدان الصغيرة السوداء على الورقة لترعى . وعندما يتجمّع على الورقات عدد كبير من هذه الديدان الصغيرة يأخذونها ويضعونها على اطباق ويرشون عليها ورق التوت النحيف الطري . ويسمون هذا « شَبْلة » ويتابعون هذه العملية الى ان يفقّس البزر كله ، فتأخذ كل امرأة ديدانها الى بيتها .

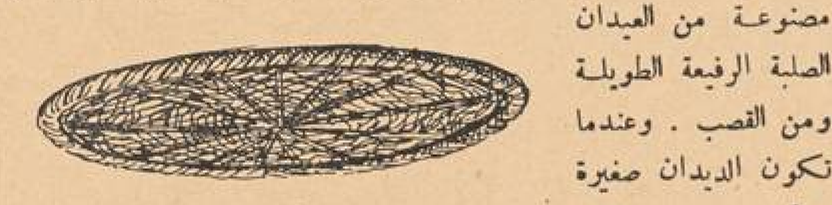
واقامة المنحل عمل خيري مشترك تقوم به العائلة الغنية بالحطب ، فيدعون الجيران لتفقيس بزرهم عندهم .

اما مقدار البزر الذي يفقّسه الفلاح فيتوقف على مقدار التوت الذي يملكه . ان علبة البزر المستوردة الآن من ايطاليا او فرنسا او كورسيكا تحتوي على ٧ — ٩ دراهم (حسب وزنها القديم) اي ٢٥ — ٣٠ غراماً من البيض . هذا المقدار من البيض — ويشيرون اليه بقولهم « علبة بزر » — يحتاج من ١٠ — ١٢ حملاً من الورق . وحمل الورق المصطلح عليه زنته ٣٠ رطلاً (الرطل كيلوان ونصف) ويصعب تقدير عدد اشجار التوت التي تنتج هذه الكمية من الورق لان ذلك يتوقف على عمر الشجرة وحسن نموّها . وفي كل قرية لبنانية مخمّن ممتاز يُرجَع اليه عند بيع التوت وشرائه . فانه يتمشّى بين اشجار التوت ويقدّرها بالحمل . وبيع وشراء التوت يتمّ على اساس الحمل من الورق . كان ثمن الحمل قبل سنة ١٩١٤ عالياً جداً ، من ١٠—١٥ ليرة ذهبية عثمانية . واذا اعتبرنا القيمة الشرائية لهذه القيمة في ذلك العهد نجد ان التوت كان من اغلى الملكيات .

وليس لنا هنا ان نأتي على ذكر الناحية البيولوجية لدود القزّ فانها قصة معروفة يُرجَع اليها في كتب الحيوان ، ولكننا نريد ان نذكر شيئاً عن الادوات وعن طريقة الاعتناء بها كما كان شائعاً في لبنان .

ادوات القزّ :

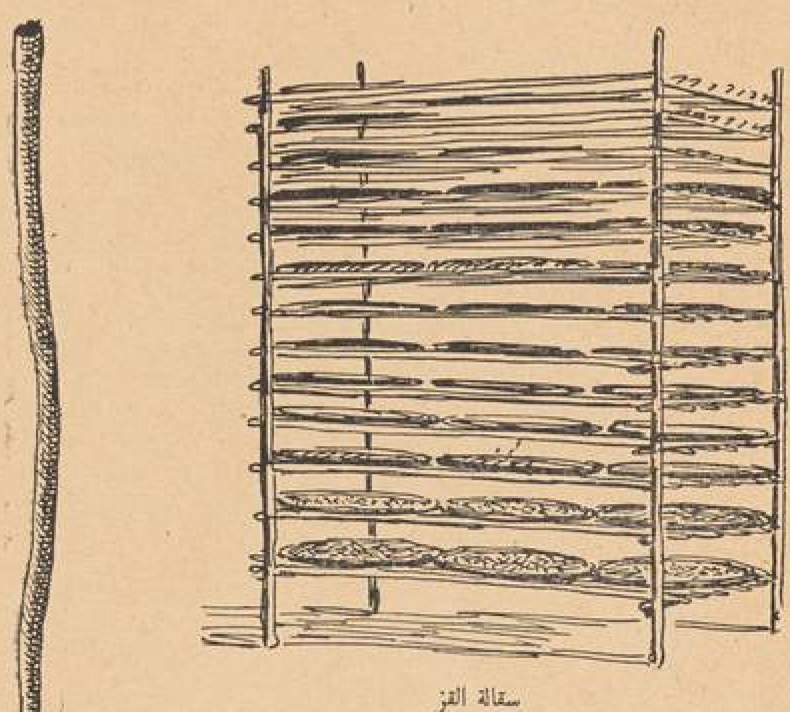
يوضع دود القز على اطباق (قطر الواحد منها ٧٥ — ٨٠ سنتيمتراً) مصنوعة من العيدان الصلبة الرفيعة الطويلة ومن القصب . وعندما تكون الديدان صغيرة جداً توضع على بضعة اطباق مطلية بروث البقر لكي لا تسقط الديدان من خلال الثقوب .



طبق

وتوضع الاطباق على السقالة (scala انظر الرسم ص١٢٥) وهي جهاز مؤلف

من صفين من السواميك (مفردها ساموك ܣܡܘܟܐ) متقابلين . ان طول السواميك هو طول جدران المراح من الارض الى السقف ، وعرض المسافة بين الصفين من السواميك ٦٠ – ٧٠ سنتيمتراً .



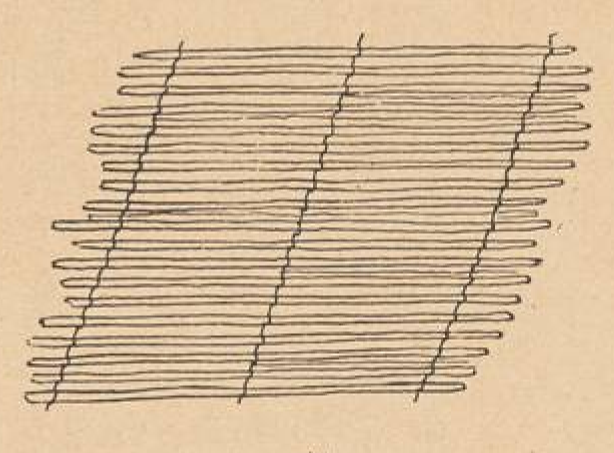
سقالة القز

ساموك

بعد تركيز السواميك جيداً تُربط بها صفوف متوازية من القصب الغليظ . وطول الارتفاع بين صف من القصب وآخر ٣٠ – ٣٥ سنتيمتراً . يُربط القصب بالسواميك بقشر قضبان التوت المحفوظ لهذه الغاية من الموسم السابق . يكون القشر جافاً يابساً يبلونه في الماء فيصبح صالحاً للربط به .

واحياناً يضعون الدود ، لاسيا في اطوار حياته الاخيرة عندما يكون قد كبر وتكامل نموّه ، على بواطير (مفردها باطور) وهي صفوف من القصب الرفيع او الغزّار تُربط بخيطان المصّيص على مسافة ٢٠–٢٥ سنتيمتراً (انظر الرسم ص ١٢٦) .

تدليل القز : مدة حياة الدودة من تفقيسها الى شرنقتها ٥٠ يوما . وهي ايام عصيبة على المرأة اللبنانية التي تقع اعباء تربيتها عليها في الدرجة الاولى . تصوم دودة القز مرة كل ثمانية ايام فتنزع عنها جلدها القديم . وعدد هذه الصومات اربع . وبعد الصومة الرابعة بسبعة او ثمانية ايام تبدأ الدودة بصنع شرنقتها .



باطور

تفرّق (وفي مصطلحهم تدلّل) المرأة الدود مرّة بعد كل فطرة . ومعنى هذا انها توزّع ديدان طبق على طبقين او اكثر . وذلك لسببين : اولاً لانها تكون قد كبرت فيسهل اطعامها ، وثانياً لازالة الورق الذابل العفن والبعر المتجمّع على الطبق . ويسمون فضلات الورق والبعر الجزّة . عندما تصل الدودة في اطوار حياتها الى الفطرة الرابعة يحتاج مربي دود القز الى ١٠٠ طبق لكل علبة من البزر ، او ما يزيد عن المئة قليلاً تبعاً لنجاح الموسم او عدمه ، ذلك لان الديدان قد تموت صغيرة بسبب مرض او وبأ يبيدها احياناً ابادة تامة .

ترش المرأة ورق التوت (الغير المهروم) على الطبق او الباطور . فتصعد عليه الديدان فتأخذ المرأة نصف الديدان العالقة على ورق التوت وتضعها على طبق جديد والنصف الآخر على طبق آخر . ثم انهم يصعدون الجزّة الى السطح لكي تجف جيداً قبل خزنها في التبّان علفاً للبقر .

الاطعام : وفي مصطلحهم « طعمة القز » . عندما تكون الديدان صغيرة يكون ورق التوت بعد طرياً ندياً . يأخذون الورق شميلات (تصغير شملة) ويهرمونه هرماً رفيعاً ويرشونه على الاطبـاق . تُطعم الديدان الصغيرة من ٥ – ٧ مرات كل ٢٤ ساعة . وكلما كبرت الديدان (بعد الصومة الثالثة) سهل اطعامها وقل عدد المرات . فانهم لا يهرمون الورق بل يضعونه على الاطباق ورقة ورقة او انصاف اوراق . ولكن في الفترة الاخـيرة يرمون الورق كيفما كان . تُقطع قضبان التوت وتنقل الى المراح حيث تُمرشخ ، والمرشخة[1] نزع الورق عن القضبان . تؤخذ القضبان وتقشر لان قشرتها علف للبقر ايام الشتاء . وقشرة القضيب تنسلخ بيسر . وتقشير القضبان من الاعمال التي تناط بالاولاد الصغار والبنات . يُجمع القشر الى حزم وتربط كل حزمة بقشرة وتصعد الى السطح لتجف قبل خزنها في التبّان . اما القضبان المقشّرة فتحزم ايضاً في اغمار وتُربط بقشرة وتُصعد الى السطح لتجف ويسمونها « زوان » والزوان وقود حسن للصاج والتنور ولغلي ماء الغسيل . ومن العودة يتجمع عند الفلاح عشرات وعشرات من حزم قضبان التوت .

التشبيح : اي تجهيز الديدان بالشبح : والشبح كلمة عامة تطلق على عدة انواع من الشجيرات ذات الرائحة الجميلة : سميسمة (heather) وهو الطرفاء او الخلنج ، وغبيري ، ووزّال ، وريحان ، واغصان الصنوبر ، والدفلي . توضع هذه الاغصان حول الاطباق والبواطير لتحوك الدودة عليها شرنقتها . ومنظر الشبح سنة الاقبال مبهج فرح يضحك له قلب المرأة طرباً ، فانها ستحظى بشيء من الثياب الجديدة لها ولاولادها . والفلاح يستبشر فانه سيفي دينه وربما اشترى بورة ينقبها ويغرسها توتاً او كرماً .

القطاف : وهو عيد مبهج فرح ، لاسيما سنة الاقبال . تنتج علبة الدود (وزنتها ٢٥ – ٣٠ غراماً من بيض القز) من ٢٠ أقة الى ٣٠

---

(١) الفعل مرشخ يعني نزع الورق عن الغصن .

الى ٤٠ أقة من الشرانق[١] . وكانت اسعار الشرانق حسنة . فانني اذكر سنة باع فيها والدي شرانقه على معدل ٥٣ غرشاً (الليرة العثمانية ١٠٠ غرش) للاقة . وهو دخل حسن نسبة لقيمة الدراهم الشرائية في ذلك العهد .

قطف الشرانق عيد ، عيد قروي يتعاون فيه الجيران على العمل . تجتمع نساء الحيّ وصباياها في بيت القاطف فيُنْزِل الرجال الشبح عن السقالة ويضعونه امام النساء فتأخذ المرأة الشرنقة وتزيل عنها الغشاوة الخارجية . اما البويصة[٢] فتوضع على حدة لان الشاري لا يشتري الشرانق اذا احسّ ان بين الشرانق بويصة . للبويصة سعر ادنى من سعر الشرانق التامة الحياكة .

ينتهي قطاف الشرانق بوليمة للمساعدات والمساعدين ويكون الطعام كبّة ولوبياء (وتكون بعد جديدة !) بلحم وقبالتها الارز ، والكوسى المحشي ، ويقدّم صاحب الموسم حلاوة جوزانية وحلاوة الشرانق وطبقاً من المشمش . ويغتنمها فرصة فيصعد اصحاب المعلّل والسمسية والبندقية من بيروت ويأخذون اطباقهم وعليها المعلّل الزاهي الالوان والسمسية الشهية التي لم يرها اولاد القرية سابقاً . فيذهبون خلسة ويسرقون شيئاً من الشرانق يقايضون بها : هذه اللذاذات بكمشة من الشرانق . ثم يأتي عصرَ ذلك اليوم سماسرة الشراء فيشترون الشرانق وينقلها المكارون الى معمل الحرير .

---

(١) الاقة نصف رطل والرطل كيلوان ونصف او اكثر قليلاً .

(٢) الشرنقة الرفيعة التي لم تتم الدودة حياكتها امّا لضعف او لمرض . واظن ان الكلمة هي Byssus .

معمل الحرير[1] :

وفي مصطلحهم الكرخانة . يتألف المعمل من :

(ا) حاصل
(ب) مَخْنَق
(ج) بابور
(د) سُفرة
(ﻫ) دولاب الحلالة

(ا) الحاصل :

امّا الحاصل فكناية عن بناء مستطيل فيه سقالة كبيرة لخزن الشرانق فيه قبل تخنيقها وبعده . وفي زاوية من هذا البناء مخزن لخزن الحرير المحلول .

(ب) المخنق :

اما المخنق فغرفة محكمة السدّ ذات رفوف توضع عليها الشرانق ثم يسلّط عليها البخار الحار الآتي بمواسير من البابور . تُبقى الشرانق في المخنق قرابة ساعة لكي يموت الزيز (الجيز)[2] . وتخنيق الشرانق ضروري والا فان الشرانق تفرّش اي يخرج منها الزيز ، بعد ثقبها ، فراشة . واذا ثُقِبت الشرنقة فانها لا تعود تصلح للحلّ لان الخيطان تكون قد تقطّعت[3] . تُنقَل الشرانق المخنّقة الى سقالة الحاصل لتنشف قبل حلّها .

---

(١) هذا الوصف ينطبق على المعمل الذي اعرفه في قريتنا وهو لا يختلف مبدأً عن اي معمل آخر . انما قد يكون هنالك معامل عصرية متقنة افضل من المعمل الذي نصفه هنا .

(٢) الزيز (وجمعها زيزان) او الجيز (وجمعها الجيزان) هو الدودة في قلب الشرنقة قبل ان يتحوّل الى فراشة .

(٣) الشرنقة كناية عن خيط واحد طويل .

(ج) البابور (المغلاة) :

وهو خلقين اسطواني عظيم لغلي الماء ولتجهيز المخنق بالبخار . طول البابور في المصنع الذي نصفه ٣ أمتار وقطره ٢ متر . يوضع هذا الخلقين الكبير فوق موقد معدّ لهذه الغاية . وبالقرب من الموقد غرفة للوقود . يعمل ٣ عمّال في البابور : واحد لتقديم الوقود واثنان يتناوبان العمل المضني . في اعلى البابور مواسير تنقل البخار الحارّ الى المعمل والى المخنق .

(د) السفرة :

اما السفرة فكناية عن مصطبة طويلة مبنية من الحجارة ارتفاعها عن الارض ٨٠ سنتيمتراً وعرضها ٧٠ سنتيمتراً . هذه المصطبة قاعدة لاجران عديدة (يتوقف عددها على حجم المعمل وطول الغرفة) يسمونها خلاقين الحلالة (انظر الرسم ص ١٣١) . وخلقين الحلالة كناية عن اناء مقعّر مركز بالطين على هذه المصطبة ومصنوع اما من الفخار او من النحاس . وهذا الخلقين مجهّز بماسورتين واحدة للماء البارد والاخرى للبخار الحار الآتي من البابور . في هذا الخلقين تُسلق الشرانق بالماء المسلّط عليه البخار الحار . ومعنى سلق الشرانق نقعها بالماء الحار لكي تذوب المادة الصمغية فيسهل حلّ الشرنقة كما سيأتي وصفه فيما بعد . وقد تكون غرفة المعمل كبيرة مستطيلة وعريضة لكي تسع سفرتين . والمعمل الذي نصفه[1] يحتوي على سفرتين في كل سفرة منهما ٣٠ خلقيناً ، اي ، كما يقولون « معمل بستين دولاب » .

(هـ) دولاب الحلالة :

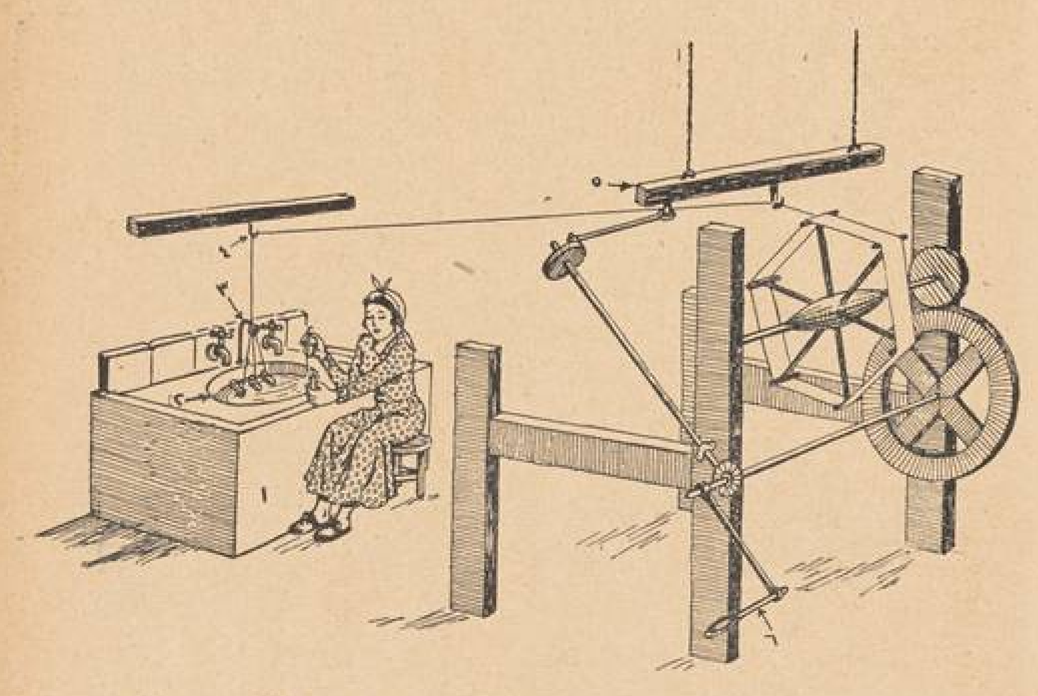
وهو كناية عن جهاز للدواليب التي تلتفّ عليها خيوط الشرانق . وهذا الجهاز يكون وراء السفرة وفيه من الدواليب عدد يوازي عدد

(١) هدّم هذا المعمل في راس المتن منذ سنوات قليلة واصبح المكان حديقة تفّاح .

الحلاقين . وراء كل خلقين دولاب . يدار الدولاب باليد ، ويتناوب العمل اثنان او ثلاثة من العمال الاقوياء .

عملية حل الشرانق :

تضع الحلّالة (= العاملة في حل الشرانق) في الخلقين من ٧٠ – ١٠٠ شرنقة وتسلط على الماء بخاراً حاراً لتسلق الشرانق . في الماء الحار تذوب



رسم تقريبي لعملية حل الشرانق : ١ سفرة – ٢ خلقين السلق – ٣ عمّالة – ٤ سنارة – ٥ الفرس – ٦ المقبض الذي يديره عامل لدوران الدواليب .

المادة الصمغية التي تفرزها الدودة عندما تحوك شرنقتها لكي يلتصق الخيط بسطح الشرنقة . ثم تأخذ الحلالة فرشاة تحرّك بها الشرانق المسلوقة حركة دورانية الى ان تتجمّع على الفرشاة الطبقة الاولى من الشرنقة – وتسمى المشاقة – وتظل تحرّك الشرانق وتجمع خيوطها الاولى

الى ان تصل الى الخيط الاساسي . فتأخذ شرنقتين او ثلاث او اربع[١] وتجمع خيوطها معاً وتدخلها خيطاً واحداً في العمّالة – وهي دائرة صغيرة من المعدن او الزجاج على علو بضع سنتيمترات من الحلقين . ثم انها تصل هذا الخيط المـــارّ في العمّالة بسنّارة ثم بالدولاب . والسنّارة مركّزة على خشبة تسمى « الفرس » وحركة الفرس افقية ذهاباً واياباً لكي يتوزّع الخيط على الدولاب على مسافة عرضها ٥ – ٧ سنتيمترات (راجع الرسم ص ١٣١) .

ان عمل الحلالة الرئيسي تعهّدُ هـذا الخيط . يجب الا ينقطع ، واذا انقطع اوقفت دولابها ووصلته . واذا قاربت الشرنقة من الانتهاء اخذت خيط شرنقة جديدة ووصلته بالعمالة فالسنارة فالدولاب ، لان خيوط الشرنقة الاولى ليست من النوع الممتاز . وعليها ان ترمي ببقايا الشرانق المحلولة في اناء بالقرب منها . تؤخذ هذه البقايا وينزع ما تبقى فيها من الخيوط وتضاف الى المشاقة . اما البقية فتُسمَّد بها الارض .

يراقب عمل الحلالات رجل يدعى « المناظر » وهو خبير بعملية الحلّ وتوظيب الحرير . واجبه الاول الا يكون في خيط الحرير «شلط» وهو تعقيد او ثخانة غير مرغوب فيها . واذا لحظ ان في الحرير المحلول شيئاً من « الشلط »[٢] أنّب العاملة اولاً واذا تكرّر العمل حسَم من اجرها شيئاً .

(٥) الكرمة والتينة :

العنب وما يستخرج منه من المواسم الرئيسية التي يعتمد عليها قسم كبير من فلاحي القرى . وصناعة الخمر قديمة في لبنان . فقـد ورد

---

(١) يتوقف عدد الشرانق التي تحلّ معاً على ثخانة الخيط المطلوب . وهذا يتوقف عـلى طلب مصانع النسيج ، فمنها ما تطلب خيطاً رفيعاً ومنها ما تطلب خيطاً ثخيناً او وسطاً .

(٢) الشّلط الخيط الثخين الذي قد يكون قد علِق به خيط غير مقصود ، او شيء من القذى ، او قد يكون فيه عقد يجب الا تكون فيه .

ذكر خمور لبنان في التوراة . وجاء في بعض النقوش القديمة انه كان جزية يقدمه لبنان لفاتحيه . وجودة الخمر اللبناني المعتّق في الاديرة مشهورة .

وليس لنا ان نلمّ بالناحية العلمية المتعلقة بالكرمة ومشتقاتها ، فان هذه المعلومات ميسورة في الكتب العلمية التي تبحث الموضوع . انما يهمنا وصف هذا النتاج القروي كما كان في مستهل القرن العشرين .

الكرمة كالزيتونة نبتة مقدّسة عند الفلاح اللبناني . فمنها فاكهته الصيفية المفضّلة ، ومنها دبسه وزبيبه ، ومنها خمره وعرقه وخلّه . يأكل ورقها عندما يكون طرياً ندياً اخضر (مع التبّولة) ومطبوخاً (يبرق بزيت وبدهن) . وبعضهم يكبس الورق الاخضر الندي بماء الملح لكي يؤكل شتاء . وماشيته تأكل ورق الدالية . وقضبان الكرمة (جرزون) وعقاليها[1] وقود لصاجه وتنّوره .

تعلّم الفلاح اللبناني بالاختبار ان ينتقي انواع العنب التي تلائم منطقته . فان المؤلف يعرف ان ابناء قريته[2] لا يزرعون سوى نوع واحد أثبت الاختبار انه النوع الوحيد الذي يعطي غلّة رابحة ، وهو النوع المعروف بالمرواح (ذي الرائحة الطيبة) فانه يعطي ثمراً كثيراً وقطره كثير . واذا ترك لينضج نضجاً تاماً فانّ معدل المادة السكرية فيه عالية وخمره ودبسه ممتاز . وقد حاول بعضهم ان يزرع المقساس (البحمدوني) في هذه المنطقة فلم تكن النتائج مرضية اذ كان العنب يصاب بامراض عديدة . وتعلم الفلاح بالاختبار ايضاً ان الارض التي يسميها « خفيفة » او الارض الشمسية التي تبعد عن جوار القرية (= الجذار) افضل من الارض « الثقيلة » الغنية بالسماد . ولذلك تجد كروم القرية اللبنانية اكثرها في المناطق البعيدة عن البيوت كما ذكرنا في بدء هذا الفصل . واحسن التربة للكرمة هي الحوّارة ، الارض البيضاء الرمادية التي يكثر فيها عنصر الاليمنيوم .

---

(١) ومفردها عقلاية ، الجذوع والفروع الغليظة من الدالية .
(٢) راس المتن .

يزرع الفلاح كرمته قضباناً ايام شباط . يزرعها عند حافة الشوار لكي لا تدوسها ارجل البقر في الفلاحة ولكي تتدلّى العريشة من على الشوار فلا يحترق عنقود الحصرم او العنب ، لانه اذا لامس التربة الحارة ايام تموز وآب فانه يجف ويذبل . وبعضهم يرفع الدالية على مسموك[١] او على شلّة[٢] .



مسموك لرفع الدالية

عريشة على شلّة

يجمّ[٣] الفلاح النبتة الجديدة السنة التالية على عمق بضعة سنتيمترات من وجه الارض ويقبّبها[٤] فتفرخ ويربّي غصناً واحداً يكون الجذع

---

(١) وجمعها مساميك ، كلمة سريانية من جذر يفيد دعم ورفع .

(٢) الشلّة عمد من شجرة الصنوبر (او من غير الصنوبر) كبير يغرزه الفلاح على الشوار يرفع عريشته عليه .

(٣) جمّ النبتة قطعها .

(٤) قبّب بنى حجارة صغيرة على شكل قبة ليقي النبتة من الاذى .

الرئيسي للعريشة فيما بعد ويسمونه عقلاية . وفي السنة الثالثة تكبر ويصبح لها فروع يزبرها مرتين اولاً في اواخر ايلول عندما يقلل من عدد الاغصان الضعيفة ويقتطع منها تلك التي لا يعتقد انها تحمل ثمراً ، ويسمون هذا تفريكاً او تقليماً تشرونياً . وثانياً الشحالة النهائية في اوائل الربيع عندما يزبر الاغصان على طول معيّن تبعاً لحسن نموّ الدالية او ضعفها . والمشحّل الماهر يعرف الغصن الذي يعطي ثمراً في السنة القادمة .

يفلح الفلاح كرومه مرتين ، واذا كان عنده بقر او اذا كان غنياً ، ثلاث مرات : كوننة في اوائل الشتاء ، وشقاقاً وتثنية[1] . وفي اوائل الربيع يبرّك كرمه او يدرّخه . والتبريك او التدريخ كناية عن حفر خندق وطمر غصن من الدالية الى بعد معيّن فتنشأ عنه كرمة جديدة . والتبريك طريقة لزرع دالية محل دالية اخرى ضعفت او ماتت .

يبدأ الفلاح بالاستفادة من كرمته عندما يكبر حبّ الحصرم . فانه يقتطف منه مقداراً لصنع « شراب الحصرم » وهو شراب لطيف منعش له نكهة طيبة[2] .

القطاف : نُضج العنب يتوقف على علو المنطقة . في المناطق المتوسطة العلو ، ويسمونها « وسوط »[3] ينضج العنب ويصبح صالحاً للزبيب والدبس في اواخر آب . اما في المناطق العالية فانهم يقطفونه في اوائل شهر تشرين الاول ، واحياناً في النصف الاول منه او في اواخره .

النبيذ : بعد ان يجمع الفلاح عنبه يعرّبه : العنقود الممتاز بنضجه وسلامته وصفاء لونه يضعه على حدة . هذا العنب للزبيب او للنبيذ ، والباقي للعرق او للدبس .

---

(١) راجع ص ١١٦–١١٧ .
(٢) راجع ص ٨٦ .
(٣) من ٥٠٠ – ٧٠٠ متر .

والنبيذ القروي على نوعين حلو ومرّ . يؤخذ العنقود ويغسل بالماء ويوضع على اطباق في الشمس الى ان يجف قليلا . ثم بعد يومين او ثلاثة تؤخذ العناقيد الذابلة وتُعصر مع العملوش[١] والعملوش يكسب النبيذ طعمه المرّ . ثم يوضع العصير في خواب وكل يوم بعد يوم يُربّص[٢] . وبعد شهر من هذه المعالجة يؤخذ العصير وتنزع منه العماليش ويترك مدة ليروق العصير ، ثم يوضع في زجاجات (او خوابٍ) ويحكم سدّها . هذا النوع من النبيذ يسمى نبيذ فقش ، ولونه اصفر ذهبي وطعمه مائل الى المرورة قليلاً .

وهنالك نوع آخر حلو الطعم خمريّ اللون (لانهم يضيفون اليه عنباً اسود) يُصنع بطريقة تختلف عن الاولى التي وصفناها . وذلك بغلي العصارة (بدون العماليش) الى ان تزول الرغوة والى ان يتختّر قليلاً . وعندما يبرد يضعونه في خوابٍ ليتخمّر . واليك اسماء الآنية التي يضعون فيها النبيذ بدءا بالكبرى : الخابية ، الدكّوشة ، الزلعة ، البونيّة ، المحلوب .

العرق[٣] : كثيرون من الفلاحين يصنعون العرق اما للتجارة او لاستهلاكهم الخاصّ . يُعصَر العنب في براميل وخواب . وبعد ثلاثة ايام يفور فيربّصونه ويعيدون تربيصه مدة من الزمن الى ان يروق العصير (بعد شهر من الزمن) . ثم يؤخذ العصير بجهاشه[٤] ويوضع في الكركي (آلة التقطير انظر الرسم ص ١٣٧) ويقطّر ، والناتج عن عملية التقطير يسمونه سبيرتو . ثم يُخلط السبيرتو بحب اليانسون على معدّل ٢٠٠ غرام للالف غرام من السبيرتو . ثم يقطّر ثانية بالكركي .

---

(١) العملوش ما يتبقى من العنقود بعد نزع حب العنب عنه .

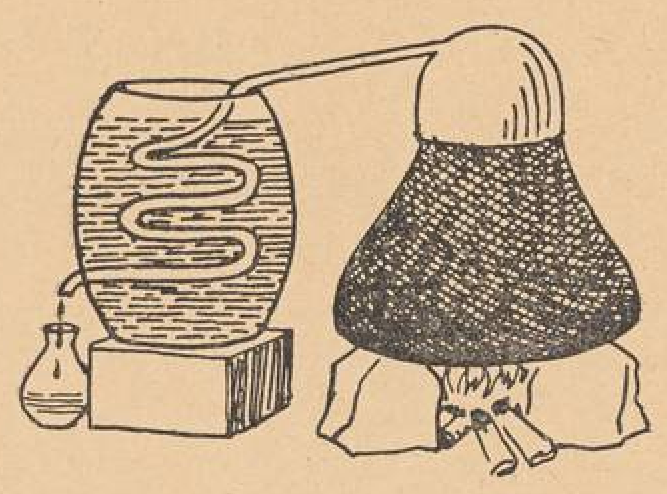
(٢) ربّص الشيء غمسه واغرقه في الماء او في السائل . ويكون التربيص لكل شيء يطفو على وجه الماء او اي سائل آخر .

(٣) وكلامنا عن صنع العرق لا يتناول الطرق الحديثة المتبعة في المعامل . وهذا ايضاً يصدق على ما قلناه عن صنع النبيذ .

(٤) العماليش والبزر والرواسب كلها معاً يسمونها جاش او جاشة .

والناتج عن التقطير هو العرق المعروف . وكيلو السبيرتو يعطي نصف كيلو من العرق الممتاز .

امّا ما يسمونه المثلث فهو العرق المصنوع من السبيرتو المقطّر مرتين بعد الاولى حسب الطريقة ذاتها ، اي مزج السبيرتو باليانسون وتقطيره .



كركي لتقطير العرق

واذ وجد تاجر العرق ان السعر منخفض فانه يبقي السبيرتو الى ان يتحسّن السعر فيخلطه مع حب اليانسون ويقطره عرقاً في اي فصل من فصول السنة .

صنع الزبيب :

وفي مصطلحهم « سطيع العنب » . عندما يحلو العنب جيداً (وهذا يتوقف على علو المنطقة) يقطفونه ويسطحونه اما في الكروم او على سطح البيت . اذا كان السطيح في الحقل مهّدوا بقعة من الارض وازالوا منها العشب والشوك والحصى ويسمونها المسطاح . ثم انهم يعدون « الصفوة » . والصفوة ماء يغلى بالرماد . يأخذون مقداراً كبيراً من

الرماد ويضعونه في الدست الكبير ويغلونه قدر ساعة من الزمن ثم يتركونه الى ان يروق . ثم يُصفّى الماء بقطعة من الشاش ويضاف اليه الزيت فيحصل عندهم سائل حليبي اللون مائل الى الصفرة . في هذا السائل يغطسون العناقيد وينشرونها على المساطيح (ومفردها مسطاح) لتجف . يُرشّ الزبيب بماء الصفوة بضع مرات قبل جفافه ، مرتين في اليومين الاولين ومرّة في اليومين التاليين ثم يُترك في الشمس الى ان يصبح زبيباً . يرشّون الزبيب بضمة من اغصان الطيّون واسم النبتة العلمي Inula viscosa والمدة كلها تتراوح بين ٧ و ١٠ أيام . غير ان ذلك يتوقف على العدّان . اذا كان العدان « عدّان زبيب »[١] فان العملية لا تحتاج الى اكثر من اسبوع واحد .

يؤخذ الزبيب ويُنزع منه العملوش . اما الحبة الصافية النقية الشقراء فتوضع على حدة للاكل والنقل ايام الشتاء . يقدمونه نقلاً مع القضامة ، والاغنياء يقدمونه مع حب الصنوبر او الجوز واللوز . والذي لا يُنقى للاكل يؤخذ للمعصرة ليصنع منه الدبس ايام الشتاء بعد ان يكون صاحب المعصرة قد فرغ من موسم الزيت ودبس الخروب . وقد جئنا على ذكر صنع دبس العنب ودبس الزبيب عند كلامنا عن المعصرة فليراجع[٢] .

صنع الخل :

تعتقد بعض النساء القرويات خطأ ان نفايات العنب المتهرىء والحامض منه والمسوّس والمخبّص[٣] وما يتبقى من العنب في اسفل السلّة تصلح للخلّ . ولذلك عندما ينضج العنب يهيئن خابية الخلّ او الزير . في هذه الخابية (او في هذا الزير) يضعون نفايات العنب ويتركون ما

---

(١) عدّان الزبيب في لغتهم الطقس الحارّ الجافّ . في منتصف شهر ايلول وفي اواخره تهب على لبنان رياح حارة جافة ، احياناً يعقبها المطر الاوّل فيقولون « ايلول طرفه بالماء مبلول » .

(٢) ص ٥٣ – ٥٦ .

(٣) عنب مخبّص وتين مخبّص متشقق مرضوض يسيل من داخله عصيره .

يتجمّع فيها الى ان يتخمّر (واحياناً يفسد فلا يتخمّر لخلوه من المادة السكرية الضرورية للتخمّر). واحياناً يضيفون مقداراً من العصير المعدّ للدبس، واحياناً يضيفون الى الخابية الماء الحلو الذي فيه يسلقون التين (راجع سلق التين ص ١٤٠) واذا كان التين من النوع الاسود اعطى الخلّ لوناً خمرياً جميلاً.

تأخذ المرأة العصير المختمّر وتصفيه من الجماش وتضعه في زجاجات او في خواب وتحكم سدّها. وبعد مدة يتحوّل هذا العصير الى خلّ. وكما قلنا آنفاً كثيرات من النساء لا ينجحن في صنع الخلّ بل يفسد العصير ولا يعود يصلح لشيء. ولكن النساء العاقلات المختبرات يعرفن ان الخلّ من العنب الجيّد لا من نفايات العنب.

التِّينَة:

والتين فاكهة محببة وطعام اساسي ايام الشتاء عند الفلاح اللبناني. وهي شجرة، اذا تعهدها الفلاح، تعود عليه بغلّة حسنة. والتين انواع نذكر منها الشائع المعروف الذي يزرع بكثرة والذي لغلته قيمة اقتصادية، وهي (ا) التين الابيض او البيّاضي او السكّري وهو اغلاها واحسنها فاكهة واكثرها سكّراً (ب) الاسود او العبيدي (ج) الخضيري وقشرته خضراء وقلبه احمر ويؤكل في الصيف اذ ان المجفّف منه غير صالح للطبخ او الاكل بسبب شيء من الحموضة فيه (د) البقراطي.

يجفف التين عندما يحسن نضجه. وفي لغتهم عندما «يذبل على امه» فان مادته السكرية تكون قد استوفت شروطها. يُطبّع او يُشرّح ويوضع على اطباق القز وعلى البواطير. وتطبيع التين يتمّ بالضغط عليه قليلاً او، حسب مصطلحهم ببعجه قليلاً وتركه ليجف. والتشريح هو شق التينة وتعريض داخلها ليجفّ. والندى في الليل يفسد التين ولذلك يحرصون على تغطيته ليلاً. والتين المشرّح يُطبخ بالسكر او الدبس

ويضاف اليه قليل من حامض الليمون لكي لا يسكّر ، واحياناً السمسم وحب اليانسون وقليل من المسك . والاغنياء منهم يضيفون اليه الجوز . والتين المطبوخ زوّادة الفلاح ويسمونه ابو عصبين . والاولاد يضعونه في رغيف من الخبز المرقوق ويسمونه « عروس » ويأكلونه بين الوجبة والاخرى .

اما التين الذي لا يطبخ فانه يسلق في آخر الصيف لكي تموت الديدان والحشرات والسوس فيه ، فانه لا يستقيم اذا لم يسلقوه بل انه يدوّد . وطريقة السلق هي صبّ الماء الغالي عليه صباً (لا يغلى التين في الدست) مرّة او مرتين ، ثم يُرفع الى السطح لكي يجف ثانية . ثم انهم يختزنونه في كواير او جرار خزفية كبيرة . وهو حلو الاولاد ايّام الشتاء .

(٦) الخلفة[1] او شجرة الصنوبر :

وهي في بعض المناطق اللبنانية ، ولاسيا في المتن الاعلى ، ذات فائدة اقتصادية كبيرة . واغنى فلاحي هذه المنطقة هم الذين يملكون احراش الصنوبر ويسمونه الحرف[2] . فهي الى جانب كون جوزها غالي الثمن تمدّ الفلاح بحطبه وباخشاب لسقف بيته ، وبالواح خشبية لمنجوره ولاثاثه ومقاعده ، وبمساميك لكرمته وعواميد لسقالة القزّ . والفلاح يدعوها شجرة الارامل[3] فانها لا تحتاج الى تعهّد زراعي يستلزم النفقات الكبيرة . فانها تنمو في الوعر فلا تُفلح ارضها ولا تُسمّد ولا يتعهدها بالتشحيل كل سنة . ورغم هذا فان نتاجها حسن غالي الثمن ، وكذلك ثمن الاشجار فانه غالٍ . يبيعون اشجار الصنوبر « بالفاعل » والفاعل في مصطلحهم

---

(١) تطلق الخلفة على شجرة الصنوبر . وقد تكون التسمية عربية اي انها احسن ما يخلّفه الرجل ارثاً لاولاده لان للخلفة قيمة اقتصادية كبيرة ، وقد تكون التسمية سريانية اي ما يُتقايض به (؟)

(٢) الحرف لا مفرد له من جنسه بل يطلق على احراج الصنوبر .

(٣) اكثر ما يطلق هذا المصطلح « شجرة الارامل » على شجرة الزيتون ولكن منافع الصنوبرة الاقتصادية تضعها في هذه المرتبة .

عدد الاشجار التي يفرطها الفرّاط[١] في نهار واحد . وهذا العدد يتوقف على حجم الاشجار . فقد يكون عدد اشجار الفاعل عشرة – اذا كانت قديمة كبيرة – وقد يكون ٣٠ شجرة . وثمن فاعل الحرف الآن – اذا لم تكن ارضه قرب طريق عام تصلح للبناء – في الوعر ، او القلع حسب مصطلحهم ، يتراوح بين ٢٠٠٠ – ٣٠٠٠ ليرة لبنانية .



احراج الصنوبر في لبنان

فَرَاط الصنوبر : والفراط (مصدر فرط واللفظ سرياني ܦܪܛ) جمع روس الصنوبر او اكوازه . ويقع زمن الفراط بعد عيد الميلاد . وكلما تأخر زمن فراطه كان ذلك افضل . ويُسمى الرجل الذي يفرط الروس فرّاطاً . يتسلق الفراط الاشجار بواسطة فاروط ، وهو عصا رفيعة طويلة (اربعة او خمسة امتار) تنتهي بعقفة . ويشبه الفاروط معقيلة التين (انظر الرسم ص ١٤٢ .) يعلّق الفرّاط فاروطه بمسمار[٢] في

---

(١) فرط الثمر جمعه وقطفه .

(٢) المسمار في شجرة الصنوبر بقية عمد مقصوص يتركونه لهذا الغرض . انظر رسم شجرة الصنوبر ص ١٤٢ .

جذع الصنوبرة ويصعد الى اعاليها متنقلاً من غصن الى آخر ضارباً اكواز الصنوبر بفاروطه ، واذا كانت الشجرة بحاجة الى تشحيل شحلها[١] .

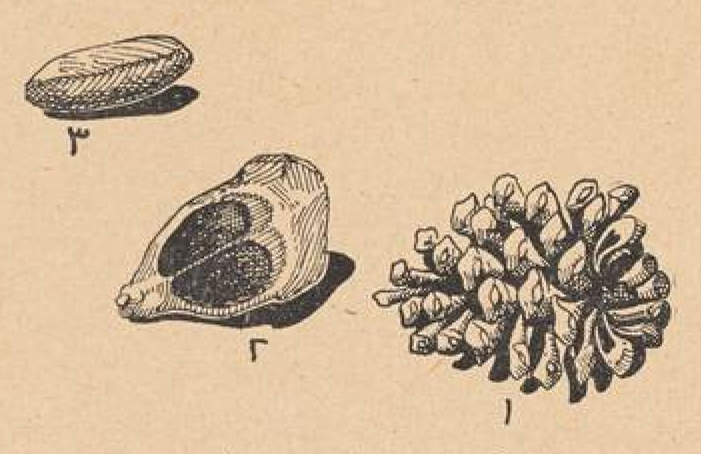


فاروط — شجرة صنوبر (خلفة) و كوز (راس) صنوبر

تُجمع اكواز الصنوبر وتنقل على ظهور البغال باكياس ، وتوضع في المشحرة او في المدّ . والمشحرة هذه ليست المشحرة التي يحرقون فيها الفحم الحطبي بل كناية عن بيدر صغير في الدار يسوَّر حوله باخشاب او جربان يضع فيه الفلاح اكواز الصنوبر الى اوائل الصيف . عندما

(١) ليس تشحيل اشجار الصنوبر ضرورياً كل سنة . منهم من يشحل اشجاره كل سنتين او ثلاث واحياناً كل اربع سنوات مرة .

يفرغ الفلاح من مهمة تربية دود الحرير يُصعد اكواز الصنوبر الى السطح وينشرها الواحد قرب الآخر لكي يسيل الزفت فيتفتّح الكوز ويتساقط منه معظم الحبّ دون عناء . ولكن حرصاً على الا يبقى حبوب في الكوز فانه يجمعها عرمة ، ويسمونها جرناً ، ويدقها بهراوة غليظة ثقيلة ، ثم يأخذها واحداً واحداً وينزع منها الحبّ . ما تبقى من الكوز يسمى الكِنفشة وهو وقود حسن ، وله ثمن اغلى من ثمن الحطب .



١ كنفشة — ٢ قراعة — ٣ قلب الصنوبر

والخطوة التالية ان ينقّي الحبّ مما يتساقط من اوراق الكوز ، وتسمى قراعة (لفظة سريانية ܩܪܥܐ) والقراعة وقود حسن . يؤخذ حبُّ الصنوبر ويصوّل لكي يطفو الحبُّ الفارغ على وجه الماء . ثم يباع حباً جوزاً او ما يسمونه قلباً . وهنالك تجار يكسرونه باليد (والآن يستعملون ماكينات لتكسيره) . تمسك المرأة مدلكة خشنة الوجه وتضع حبَّ الصنوبر على بلاطة وتكسره . وهنالك نساء تنقي اللبّ ويسمونه الابيض . وغلاف القلب يسمى كسراً ، والكسر وقود حسن للتنور وللفرن وللوجاق ايام الشتاء . يباع كيلو الصنوبر الابيض (اي المكسور) المنقى بخمس ليرات لبنانية[١] .

---

(١) هكذا كان سعره في السوق عندما كتب هذا الفصل .

يُستهلك الصنوبر في المآكل (المحاشي) وفي الحلويات (البقلاوة) ويؤكل مع الزبيب والتين المجفف ومع التين المطبوخ . واذا ارادت اللبنانية ان تكرم الضيف رشّت قلب الصنوبر على صحن من العسل وقدّمته له .

واكثر استهلاك الصنوبر محلّي : في لبنـان وسوريا وتصديره الى الخارج قليل جداً .

(٧) شجرة الزيتون :

وهي شجرة مقدّسة وزيتها مقدّس . ويكثر ذكرها في اسفار التوراة : « . . . . . ويكون بهاؤه كالزيتونة وله رائحة كلبنان[١] » « . . . . . . زيتاً من صوان الصخر[٢] » ولها ذكر في القرآن الكريم . وتعيش في الوعر وفي قلب الصخر . ويسمونها « شجرة الارامل » لكرمها وقلة اكلافها . وشجرة الزيتون تعمّر طويلاً (مئات السنين) وتعيش في المناطق اللبنانية الدافئة والمتوسطة الدفء .

وهي شجرة بريّة ، اي انها تحتاج الى تطعيم ، والا اذا زُرعت بزرة فانها لا تعطي ثمراً ، وان اعطت فثمراً صغيراً رديئاً .

واشهر انواع الزيتون الجوّي : الصوري والبلدي والشتوي . وهنالك نوع آخر يُسمّى البشناني وهو غير معروف في بلدتنا . اما الصوري فاحسن الانواع : ثمره كبير الحجم صغير النواة سميك القشرة ويصلح للأكل . واما الشتوي فلونه اسود وحبّه اصغر حجماً من الصوري ونواته كبيرة وقشرته رقيقة . ويُسمّى شتوياً لانه ينضج متأخراً في فصل الشتاء . واذا سقط المطر باكراً نضج الثمر واعطى مقداراً من

---

(١) سفر هوشع ١٤ : ١٦

(٢) تثنية ٣٢ : ١٣

الزيت حسناً واما اذا جاء الخريف جافاً فان غلّة الشتوي لا تكون حسنة . والبلدي هجين بين الشتوي والصوري وحبه صغير .

نموّ شجرة الزيتون بطيء جداً . لا تعطي الزيتونة ثمراً يُعدُّ غلّة ذات قيمة اقتصادية قبل ثماني او عشر سنوات في الاراضي الطيّبة . ولذلك يعمد الفلاح الذي ينقب ارضه ليزرعها زيتوناً الى زراعة اشجار مثمرة بين غرسة الزيتون واخرى . فانه يستفيد منها الى ان تبدأ الزيتونة باعطاء غلّة لها قيمتها .

في اواخر شهر ايلول يبدأ منتج الزيتون بجمع الغلّة . اولاً الزيتون الاخضر[١] للتسبيح ويسمونه زيتون مسبّح . يجب ان تكون الحبة خالية من كل مرض او عيب . يُغسل هذا الزيتون بالماء البارد ثم يُحفظ بماء الملح ، ويضاف الى الماء ما يعطّر الماء : ورق ليمون ابو صفير وقليل من ورق الغار وقرن او اكثر من الفليفلة الخضراء الحارة . ويترك اشهراً في خوابٍ او مراطبين كبيرة ليطيب[٢] . يبقون هذا النوع من الزيتون الى ان تكون مونة الزيتون الاسود قد نفدت من البيت .

اما الحبة التي اضرّ بها السوس او التي فيها عيب ما فانهم يبقونها للرصّ . والزيتون المرصوص يكون اخضر ويكون نصف ناضج او اكثر . يأخذون حبّات الزيتون ويضعونها على بلاطة وترضّ بمدلكة رضاً يسيراً لكي تتشقّق الجلدة قليلاً . ثم انهم يضيفون اليه الملح والزيت وقطع الليمون الحامض (والفليفلة الحارة احياناً) ويتركونه الى ان يطيب . ولا يحتاج الى اكثر من بضعة ايّام ليطيب .

وفي شهر كانون الاول يكون الزيتون قد نضج على امه وتكامل زيته . فيُجمع وتُنقى منه الحبة الصالحة التامة النمو والخالية من العيب

---

(١) احسن الزيتون للتسبيح الزيتون الذي قارب النضج والذي تكون قشرته بعد خضراء مائلة الى الصفرة قليلاً .

(٢) طاب الزيتون صلح للاكل اي زالت مرارته .

وتُغسل بالماء . ثم انهم يضيفون اليه الملح والزيت (دون ان يرضّ) وقليلاً من الليمون الحامض (وبعضهم لا يضيفونه) ويُحفظ في جرار وخوابٍ . والباقي من الزيتون يؤخذ الى معاصر الزيت .

والزيتون مؤنة اساسية يهتم بها الفلاح كثيراً . واذا لم يكن منتجاً فانه يشتري مقادير كبيرة منه في الموسم ويخزنه للشتاء . يسمون الزيتون « شيخ السفرة » فهو على المائدة صباحاً وظهراً ومساء . واذا تعصرن احدهم فان عصرونيته[1] تكون رغيف خبز وزيتون وشيئاً من الخضار الذي في داره (ورق بصل ، كرات ، نعنع ، بقدونس) .

يزرع شجر الزيتون على طريقتين : اما اغصاناً من شجرة حسنة النوع تغرس في الارض رؤوسها في الارض واعقابها على وجه الارض ، او اغصاناً برية تنمو على جذع شجرة برية . تقطع هذه الاغصان مع جزء من الجذع وتغرس في ايام الشتاء ويسمونها قرمية . والطريقة الثانية تتطلب تطعيماً في السنة الثانية او الثالثة . ويعتقد الفلاح ان شجرة تُغرس على هذا الشكل وتُطعّم فيما بعد تكون افضل من الشجرة التي تنمو من غصن مزروع على الطريقة الاولى التي ذكرناها .

(٨) التطعيم :

يقسّم الفلاح اللبناني اشجاره المثمرة وذات المنفعة الاقتصادية (كالتوت) الى نوعين : برّي وجوّي . والبرّي هو النوع الرديء اي النوع الذي ينمو على طبيعته من بزرته . علّمه الاختبار ان الكرمة التي تنمو من بزرة العنب لا تعطي ثمراً جيداً حسناً شهياً بل تعطي عنباً صغير الحبّ لا قيمة له . ولذا يزرع كرمه قضباناً من انواع جيّدة او انه يطعّمها . وكذلك يعلم بالاختبار ان شجرة الزيتون التي

---

(١) العصرونية ، وجبة طعام خفيفة تؤكل بين الغداء والعشاء اي عند العصر كفنجان الشاي عند الانكليز ، ويشتقون منها فعلاً : تعَصْرَنَ .

تنمو من البزرة تكون برّية حبّها صغير وقشرته رقيقة مرّة وزيته قليل . فيطعّم اشجاره بمطاعيم من جنس حسن . وكذلك التوت فان نصوبه تكون من النوع البرّي وعليه ان يطعم شجر التوت في سنته الثانية او الثالثة .

والتطعيم على نوعين : قمحة ومزلوف . امـا القمحة فهي رقعة من غصن تحتوي على برعمة . تشقّ قشرة الغصن البري قدر سنتيمترين او ثلاثة ويفتح لرقعة المطعوم مكاناً بين القشرة والصلب من العود وتُنزَّل الرقعة في الشق ثم تُعاد قشرة الغصن البري الى مكانها وتربط ربطاً محكماً . وفي الربيع التـالي ، اذا «لحمت» الرقعة تفتّح البرعمة الجديـدة وتصبح جذع الشجرة المطلوبة . اما المزلوف فغصن من شجرة جوّية يُنزَّل بين قشرة الغصن البرّي وجزئه الصلب . يُـبْرَى المزلوف كما يُـبْرَى الغزّار قلماً للكتابة ويقرم الجذع البري



التطعيم :
١ مطعوم رقعة او قمحة — ٢ مطعوم مزلوف

ويفتح بين قشرة البري والصلب من العود ويُنزَّل المطعوم ويُربط ربطاً محكماً . وبعضهم يطلونه بتراب او بروث البقر . واذا لحم المزلوف اورق في الربيع التالي . يطعم بالمزلوف الزيتون والكرم وبعض اشجار الفاكهة . اما التوت فيطعّم بالقمحة . اما زمن التطعيم فيختلف باختلاف الشجر . فان التوت مثلاً يطعم في ابان الصيف . وبعض الاشجار تطعم في الصيف وبعضها في اوائل الربيع .

(٩) التعفير :

مصدر عفّر ويعني التقاط السنابل التي تسقط وراء الحصادين فيتركونها للارامل والفقراء . ويطلقونها على غير سنابل القمح والشعير فيقولون عفّر الزيتون والكرم والتين وحقول الخضار اي جمع ما يتركه الفلاح قصداً كان ذلك ام سهواً .

وعادة التعفير سامية مشتركة قديمة لها صداها في التوراة وفي التشريع الموسوي . فان الذين منا يقرأون قصة راعوث الموآبية[١] يرون فيها قصة كانت تحدث كل سنة في ربوعنا اللبنانية[٢] . كان الفقراء يذهبون الى البقاع او الى حوران فيشتغل منهم في الحصاد من يشتغل ويعفّر منهم من لا يستطيع العمل من الاولاد والبنات والنساء .

قلنا ان الحصّاد يحاول احياناً الاّ يلتقط السنابل التي تنقصف من اعلى ساقها . وقد يكون عدم التقاطها احياناً سهواً او كسلاً ، انما لا يلتقطونها احياناً شعوراً انّ « الله طعم خلّ الفقير ياكل » . وكذلك عند جمع الزيتون فان « الحوّاشين » او « المحوّشين » اي الذين يجمعونه ، يتركون سهواً او قصداً حبة زيتون هنا وحبةً هناك في الاطراف الصعبة المنال فيأتي الفقراء ويجمعونها .

وليس للناطور ان يمنع المعفّرين من التعفير . ولا يعترض صاحب الملك اذا رأى فقراء في ملكه بعد ان يكون قد جمع غلاله ، لا بل ، كما قيل لي ، يرون في غض النظر عمل احسان يجازون عليه . وان المرء ليعجب من كمية المعفّر من الغلال . فان بعض الفقراء يجمعون مؤونة الشتاء . وكثيرون من الملاكين الاغنياء الكرماء يشفقون عليهم فيعطونهم شيئاً عندما تكون الغلة بعد على البيدر .

---

(١) التوراة : سفر راعوث .

(٢) لا يزال هنالك فقراء يذهبون الى المناطق الزراعية للتعفير ولكن العادة آخذة بالزوال

ومن العادات المستحبة عند اولاد القرية زيارة الكرم الذي جُمِع نتاجه للتفتيش عن عنقود مختبىء بين الورق لم يره الجامع ، او زيارة الصحرا[١] للتفتيش عن القثاء والخيار والبطيخ الذي اهمله الجامع .

(١٠) الناطور والمنطرة :

واملاك القرية تحتاج الى حارس يقيها شرّ السارق . المواسم الزراعية عرضة للسرقة . والارض المغروسة او المشجرة تحتاج الى حراسة ، فان المعّاز قد يطلق قطيعه فتأكل الماعز كل اخضر فيها . ولذلك تحرص القرية على استخدام حارس يسمونه الناطور[٢] والمنطقة التي يحرسها تسمى المنطرة .

تعيين الناطور او انتخابه امر يشغل بال جميع اهل القرية فان مهمة الناطور مهمة خطيرة وشاقة ومحفوفة بمشاكل قروية عديدة : من اي عائلة ننتخبه ؟ هل يكون حزبياً متحيّزاً او مستقلاً حيادياً ؟ اذا كان فقيراً معدماً فالافضل الاّ ننتخبه فانه قد يسرق ! هل هو طاعن في السنّ فينام عند الغياب ولا يستطيع التجوال عند الظهيرة ؟ ايكون شديداً عنيفاً لا يهاب احداً ؟ و . . . . و . . . . . ولذا كان الناطور وانتخابه من مشاكل القرية التي يضرب بها المثل .

ويكون احياناً للقرية ناطوران او اكثر : واحد للصيف ويسمونه الناطور الصيفي وواحد للشتاء ويسمونه الناطور الشتوي . امّا الصيفي فيحرس الكروم والفاكهة والخضار وعند نهاية شهر تشرين الاوّل تنتهي مهمته فيلملم عرزاله[٣] الذي شاده على احسن رابية مطلة فيتنادى اولاد

---

(١) الصحرا الارض المزروعة قثاء او خياراً او بطيخاً .

(٢) من فعل نطر وهو سرياني الاصل معناه حرس وحفظ وراقب ويقابله في العربية نظر

(٣) خيمة مرتفعة على اعمدة يقيّل فيها الناطور نهاراً ويبيت فيها .

القرية : دَشَرت[١] المنطرة ! دشرت المنطرة ! وهو يوم عيد للاولاد لان الذي اخافهم طيلة الصيف قد خلّى لهم الكروم والصحاري للتعفير !

ولكن الناطور ليس قاسياً عبوساً كما يتوهمه اطفال القرية ! قد يكون الناطور قاسياً عليهم لانهم من صنف الثعالب التي تفسد الكروم !



عرزال الناطور وخيمته

ولكنه الى جانب هذا كريم يحتفظ بعادات قديمة جميلة : لا يمنع غريباً عن عنقود ولا ينهر امرأة اشتهت اجاصة رأتها على شجرة ! ولكنه يمنع من يملأ جيبه !

امّا الناطور الشتوي فمهمته حراسة الاملاك البعيدة عن القرية والتي

---

(١) دَشَر الشيء تُرك وأُهمل ، والولد ذهب وخرج على القانون والعُرف .

غلتها تُجمَع شتاء كالصنوبر مثلاً . عليه ان يحافظ على الاملاك من ان تغزوها قطعان الماعز او ماشية القرية ، عليه ان يمنع المحتطب من قطع الاشجار ، وعليه ان يحرس كروم الزيتون التي ينضج ثمرهـــا في الخريف المتأخر .

عند انتهاء مهمة الناطور يتأبّط دفتراً عتيقاً يتوارثه النواطير فيه قائمة باصحاب الاملاك والضريبة المفروضة عليهم . وقد يُكرَم الناطور فيدفع له اجرة عن طيبة خاطر مع اكرامية وقد تقع مشادة بينه وبين من سُرِق له شيء وهنا يتدخّل المختار او رئيس البلدية وينتهي الامر عند هذا الحدّ .



الفصل السابع

عرس القرية

تختلف عادات الزواج بين طائفة واخرى ، وبين قرية واخرى ، ولا نبالغ اذا قلنا بين عائلة واخرى . هنالك الفارق الاقتصادي والاجتماعي بين عائلة واخرى . وهنالك الذوق الفردي والميل للمغايرة والتفرّد . وعليه فان وصفنا التالي لعادات الزواج اللبنانية لا ينطبق على كل طائفة ولا يصدق على كل قرية . انما يستطيع الانسان ان يقول ان المشترَك المتعارَف في العرس القروي وفي ما يرافقه من عادات وطقوس اكثر بكثير من الفوارق المحلية الفردية ، حتى اننا نكون في مأمن اذا قلنا ان هنالك عرساً قروياً لبنانياً مسيحياً وعرساً آخر درزياً[١] .

والتزاوج بين عائلة واخرى قضية يُنظَر فيها طويلاً ، ولاسيما بين الاوساط الدرزية والنصرانية والاسلامية المحافظة . فان العائلات اللبنانية التي تدّعي شرف الحسب والنسب او التي تنعم بمقام دينيّ لا تزوّج ولا تتزوّج الا من « المجاويز » . والمجاويز هم العائلات التي لا يرون غضاضة في اعطائهم بناتهم بالزواج او تزويج ابنائهم من بناتهم . وكثيرة هي القصص اللبنانية عن شيخ فقير معدَم ابى ان يزوّج ابنته من غنيّ لانه ليس من « مجاويزهم » . غير ان الحال تغيّرت الآن واصبح للمال لا للحسب الاعتبار الاوّل في كثير من قضايا الزواج . ولكني لا اعجب

---

(١) ليذكر القارىء ان وصفنا الحياة القروية اللبنانية لا يتناول الحياة الاسلامية والعادات الاسلامية في المدينة بل قصرنا كلامنا على القرية المسيحية الدرزية اي على اكثرية سكان لبنان القديم كما عرفناه .

اذا قيل لي ان في قرية لبنانية درزية نائية رجلا ابى ان يزوّج ابنته من رجل عائد من المهجر وفي جيبه دفتر تشكات يغري اذا لم يكن هذا العريس من مجاويز العائلة التي يطلب الزواج منها .

لم يكن في القرية اللبنانية احجام عن زواج او مشكلة زواج . كل شاب يتزوّج ، وكل فتاة تتزوج . واذا حدث خلاف هذا فلامور قاهرة خارجة عن سلطة الانسان . وقل ان ترى ، حتى في يومنا هذا ، عازباً متقدّما في السن او عازبة . وذلك لاعتبارهم الزواج امراً طبيعياً لازماً جسدياً واقتصادياً واجتماعياً . فان الرجل لا يصبح رجلا اذا لم يتزوّج واذا لم يبنِ بيتاً . ورغم انهم يراعون شعور الفتاة العانس فانهم في اعماق قلوبهم يشعرون انها مسؤولة عن عدم زواجها – هذا اذا لم تكن فيها عاهة او اذا لم تكن مريضة .

والزواج في القرية امر يهمّ العائلة ، العائلة الكبيرة التي ينتمي اليها العروسان . اي ان الزواج ليس امراً فردياً له علاقة بشخصين او بيتين بل يتعدّاهما الى العشيرة والعائلة . وكان يوم كان الزواج فيه يتمّ على مبدأ « هي لها وها لهي »[1] لاسيما اذ كان الامر يتناول الافراد الفقراء في العائلة . فان وجهاء العائلة كانوا يفرضون ارادتهم ، وكانوا يهيئون السبل المادية لتنفيذ رغباتهم في امر عقد الزواج بين « هيّ وها » .

والزواج في القرية عيد وبهجة تشترك فيه القرية بكاملها . والزواج في القرية (الخطبة او العرس) مناسبة للتصافي والمصالحة بين افراد العائلة الواحدة او بين عائلتين او اكثر . اذ انهم يحرصون قبل الخطبة او عقد الزواج على ان تكون العائلة على رأي واحد ، وعلى الاّ يكون

---

(١) اخبرت مرات ومرات عن زواج موفّق تمّ على هذا المبدأ . يعنون بالمصطلح ان هذه الفتاة يجب ان تتزوج هذا لانها تصلح له وان هذا الشاب يجب ان يتزوّج تلك لانه يصلح لها ، ولان في زواجها خيراً لهما ونفعاً للعائلة . والمصطلح في قالبه الجافّ يعبّر عن ديكتاتورية شيوخ العائلة وسلطتهم الاجتماعية ضمن العائلة . وقد اشرنا الى هذا الامر ص ٩٠ .

عداء بين شخص وآخر . فان الزواج عيـــد وبهجة وتزاور وولائم وسهرات ، وقيام العداء ووجود البغضاء بين الاقارب ينغص عـــلى العروسين واهلها لذّة العرس .

وتظهر اهمية الزواج في نظر القروي في التمنّي وفي الدعـاء للصبي ان يتزوّج وهو بعـــد طفل واحياناً قبل ان يولد كما يظهر في اساليب كلامهم في مناسبات معيّنة . بعد الاكل يقول الضيف او الضيوف من جملة ما يقولون[1] : « ان شاء الله مناكل بالفرح » . او « بعرس المحروس (او المحروسين) ان شاء الله » . واذا لم يكن عند المضيف اولاد قالوا : « نشوف لكن عريس » ويقولون بعد شرب القهوة : « دايمة ، بالفرح ان شاء الله ! فرحة المحروسين » . واذا قدّم القهوة او الشراب ولد قالوا له : « فرحتك ، بعرسك ان شاء الله ، او نشوفك عريس » . وفي كل مناسبة اخرى حيث يقدّم فيها الضيف شكره او يعبّر عن شعوره يذكر شيئاً فيه تمنٍّ او دعاء بالزواج للذكور ، ويقولونها نادراً للبنات اذا كانوا من الاصدقاء او الاقارب الخلّص . ولكن عادة لا تذكر هذه التمنيات ولا تقال هذه الادعية للفتاة .

حطّ العين :

يقولون عن الشاب اذا اظهر ميلاً للزواج من فتاة وبدرت منه بوادر فاضحة – كأن يلاقيها على درب العين او درب الكرم او كأن يتعمد قضاء السهرة على السطيحة التي يصدف ان تكون الفتاة المعنية هناك او اذا بدت امور اخرى تنمّ عن حبه لها – « حطّ عينه على فلانة او بنت فلان ، او حاطط عينه ، او بخاطرو من فلانة » . ويقولون احياناً : « عم بِلْفي على بنت فلان » او ان البنت الفلانية « عم تْلَفّي فلان » اذا كان قد بدأ يتردّد على منزل ذويها . ولا يُعدم شباب القرية وسيلة

(١) لهذه المناسبات اقوال كثيرة ولكننا نذكر هنا ما له علاقة بالزواج والعرس لنري القارىء عظم الاهمية التي يعلقونها على زواج الفتى .

لرؤية الفتيات والتحدث اليهن حتى ومصادقتهن . والتعميم الجارف ان الزواج في القرية يتمّ بين اهل العروسين دون الرجوع الى العروسين تعميم غير صحيح . لانه قد يصدق على بعض الناس ولكنه لا يصدق على جميع الناس[١] . فان الفرص للتعارف والتحابب ميسورة في القرى ، « وحطّة العين » قضية فردية تتعلق بالشاب وحده دون اهله . وفي القرى اخبار وقصص عن حوادث غرام عنيفة جارفــة ، وفي القرى زواج نتيجة حب وغرام .

اذا احبّ الشاب فتاة وقرّر ان يتزوّجها فانه يعلن اولاً عن عزمه لوالديه . احترام الوالدين شريعة وفرض مقدّس ، والخروج عن ارادة الوالدين مدعاة لتوقّع السوء والشرّ : « الله ما بوفّقو للانسان الّلي ما بيحترم امّو وبيّو » فاذا أنس عندهما ارتياحاً لانتقائه فتاتـه ترك بقية الترتيبات لهما ولوجوه العائلة . لان من اقبح الاخطاء الاجتماعية التي لا تغتفر في القرية ان يقدم العريس ووالداه على امر « تتميم » الزواج قبل التداول في الامر بين وجوه العائلة . ويسمون هــذا « المَشْوَرَة » . وكثيراً ما تتمّ المَشْوَرة في علّية وجيه العائلة ، لاسيا اذا كان العريس او العروس من فقراء العائلة .

اوّل شيء يقوله ابو الفتاة للخاطبين « طوّلوا بالكن علينا يا مشايخ تنشاور عمومتها وخوالها وقرايبنا » . واول شيء يقوله الوالد والوالدة لابنهم الذي « حطّ عينه » : « طوّل بالك يا ابني تنشوف شو بقول عمّك وخالك – طوّل بالك تنشاور قرايبنا تنشوف شو بقولوا[٢] » .

---

(١) اما الاستاذ يوسف يزبك فيخالفني الرأي وينكر الزواج الذي يتمّ عن طريق الغرام، فقد كتب اليّ يقول : «...كان الزواج يتمّ بين الاهل اولاً، وهذا هو المبدأ العام. وثِق ان ما مِن زواج تمّ قبل القرن العشرين الا على هذا المبدأ والنادر النادر زواج الغرام.

(٢) ليذكر القارىء الكريم اننا نتكلم عن القرية كما كانت القرية عند نهاية القرن التاسع عشر وعند مستهل القرن العشرين كما اشرنا الى ذلك في المقدمة . نقول هذا لمن يستطيع ان يشير الى عادات وطقوس تخالف وصفنا العرس القروي .

الخطبة :

والخطبة خطوة ضرورية في القرية اذا اراد الخاطب ان يزور فتاته . اذ لا يحق له معاشرتها قبل اعلان الخطبة الرسمية ، وذلك دفعاً للقيل والقال . والخطبة رابطة وقيد ! يسبق الخطبة الرسمية ما يسمونه «المساورة» او جسّ النبض . يرسل ذوو العريس اولاً وفداً من قبلهم يسمونه فرّاشة فكأنهم يريدون بالتسمية تمهيد الطريق . ولا يكون الفرّاشة من الاقربين الاقربين خوف « الكسفة[١] » بل من الاصدقاء . فاذا لاقى العريس عندهم قبولاً (وقلّ ان يرفض طلبه لانه لا يرسل فرّاشة ما لم يكن قد انس من قِبَل الفتاة ومن قِبَل اهلها قبولاً ، انما يحرص القروي على حفظ العادات والطقوس[٢]) بعث المرّة الثانية وفداً رسمياً يتألف من والديه واخواته واخوته الكبار ووجوه عائلته « ليحكوا بالبنت » او ليخطبوها . وقد يرافقهم كاهن القرية ، وقد تتمّ الخطبة بدون كاهن او مراسيم دينية . واما عند الموارنة فقد كانت الخطبة خطبتين معاً : اجتماعية ودينية . واكثر الكهنة الذين سألتهم عن الامر قالوا انه يجب ان تكون الخطبة دينية . وقد يرافقهم العريس احياناً وقد لا يرافقهم[٣]. يذهب الوفد ومعه هدية الخطبة : محبس من ذهب وبعض الهدايا من الملابس او المآكل .

يعرف اهل الفتاة مسبّقاً ان اهل العريس قادمون فيستعدون للترحيب

---

(١) كسفه ردّه خائباً ، لم يجبه الى طلبه وبشيء من الخشونة .

(٢) كان آباؤنا يروون لنا ان من العادات الساذجة المتبعة قديماً ان يذهب الشاب ليقضي سهرة عند الفتاة . وكانوا يجتمعون حول الموقد . وامام الموقد «مَطْلَم» لحفظ الرماد فكانت الفتاة تأخذ سراً وخفية عوداً فتجمع الرماد في المطلم ناحيتها والشاب يسترق اللحظ . وجمع الرماد ناحيتها علامة بالقبول ، واذا اخذت تجمع الرماد وتدفعه ناحيته فانها علامة على الرفض فلا يقدم على امر المشاورة او جسّ النبض .

(٣) تغيّرت الحال الان . قلّ ان تتم خطبة لا يكون العروسان فيها حاضرين ، ولكن قيل لي ان في الماضي البعيد لم يكن الخاطب يرافق ذويه ، وانما يأتي الى بيت الخطيبة بعد ان يكون الخاطبون قد اتموا مهمتهم . فيسهر في بيت خطيبته ولكنه لا يكلمها .

بهم واكرامهم . وكذلك يستعد الوفد الخاطب للامر فيطلبون الى مقدّمهم (اكبرهم سناً ، واذا كان غير لسن تنازل عن المهمة للذي يأتي بعده) ان يتكلم بلسانهم بعد ان يستقرّ بهم الجلوس وبعد المراسيم الاولى من تحيات وترحيبات . ويصعب التعميم فيما يقوله الوفد الخاطب اذ ان الامر يتوقف على طلاقة لسان المتكلم وعلى الظروف الاجتماعية القروية الخاصة . ولكن على سبيل المثال نذكر ما قاله احد شيوخ عائلتنا عندما ذهبوا ليخطبوا فتاة من عائلة غريبة لشاب من عائلتهم (وكنت انا حاضراً) . قال بعد ان استقرّ بهم المقام موجّهاً كلامه الى ابي الفتاة : « يا شيخ بو اسعد نحنا قاصدين التشرُّف بطلب ايد بنتكم لابنّا فلان . وهذا شرف كبير النا وفخر إنّا نجدّد علاقاتنا القِربانية[1] بينا وبينكم . ما بعرف اذا كان حضرات المشايخ بيعرفوا إنّا مش بعاد كتير عن بعضنا . في قربانية نسوانية وفي قِربانية زواج بَينّا (وهنا اخذ يسرد حوادث تاريخية مؤكّداً ان العلاقات كانت بين العائلتين ودية) ومنأمل من حضراتكم ان لا تخيّبوا املنا او تردّوا طلبنا . بَنّا نجدد القِربانية وهذا العريس هو ابنكن والبنت هي بنتنـا ، وتنينهن بفرد معَزّة »[2] .

فيردُّ عليه ابو الفتاة (او اذا لم يكن لَسِناً ، فرجل ينوب عنه من اقاربه الشيوخ) بعبارة او عبارتين مردّدا قول الاوّل من ان هذه الخطبة هي شرف له ومبعث سرور ان تربط الخطبة بين العائلتين وتجدّد روابط الصداقة . ولكن يحسن ان نشاور البنت حتى نأخذ رأيها لان الزواج « عيشة عمر » (وفي الواقع ان مشاورة الفتاة ، في الاكثر ، كانت ذريعة لردّ طلب الخاطب ، او كانت نوعاً من اظهار عدم التلهُّف والقبول بسرعة فان في ذلك شيئاً من الحطّة . نادراً ما كانت البنت قديماً تستشار) . وكذلك يجب ان نشاور قرايبنا . ثم ينهي كلامه بقوله « بنتنا

(١) قرابة نسب .
(٢) محبّة واكرام واعزاز .

بنتكن وابنكن ابنا » وهذه علامة قبول من جهة الطرفين . ثم انهم يقدمون القهوة ويتبعونها بالنقل . وكانوا يسمون النقل قديماً « النعمانية » . وكان النقل زبيبا وحب الصنوبر واحياناً عسلاً بشهده . واما في المدة الاخيرة فانهم اخذوا بتقديم الحلوى الافرنجية المصنوعة في المدن .

التقميش او التقميج :

اذا تمّت الخطبة فان اول شيء يقومون به التقميش او التقميج للعروس . يعنون بذلك النزول الى بيروت او مدن الساحل لشراء الاقمشة والاثاث . وكثيراً ما يهبط اهل العروسَين مصطحبينهما ويقضون يوما او يومين في المدينة يشترون الاقمشة والاثاث . واذا كان زمن العرس قد حُدّد لوقت قريب فانهم يشترون بعض الحلوى لتقدّم للضيوف (= النقل)[١] .

كتابة العقد عند الدروز :

وهي بمثابة العرس عند النصارى . لا تختلف مقدّمات الخطبة عند الدروز عن الخطبة عند النصارى . انما يجدر القول بان مجال التعارف بين الفتى المسيحي وفتاته افسح وارحب مما هو في معظم الاوساط الدرزية المحافظة . وقديماً كان الخاطب لا يرى خطيبته بل كان يأخذ بقول (وبذوق) امه واخوته واقاربه من الاناث[٢] . وهكذا كان الامر عند النصارى في المدن ايام كانت المرأة تحجّب . وفي قرية المؤلف اناس سعيدون في زواجهم ولكنهم لم يروا عرائسهم قبل كتابة العقد .

بعد المسارورة التي تكلمنا عنها (او جسّ النبض) يرسل العريس من

---

(١) في المدة الاخيرة اخذ الناس يقدمون الحلوى البيروتية : البقلاوة المشبّك وراحة الحلقوم والملبّس والملحات . اما قديماً فان النقل كان ابسط من هذا .

(٢) تغيّرت الحال . فان الشبان الدروز يرون الآن فتياتهم قبل الخطبة .

قبله من يكتب كتاب السّداق[1] . يقولون : « كتبوا سداق فلانة » اي كتبوا عقد زواجها . والسّداق هو المال الذي يعطيه العريس لاهل العروس فينفقه اهل العروس (او معظمه) في تجهيز الفتاة . وقد كان السداق قديماً ولاسيما عند طبقة المتديّنين المحافظين على روح دينهم الذي يأمر بالزهد والتقشُّف الشديد ، مبلغاً يسيراً معيناً . اما اليوم فان مبلغ السداق موضع فخر ومباهاة ولاسيما عند الجهّال منهم الموسرين حديثاً ، فانه يبلغ عشرات الالوف من الليرات .

وكذلك يُتّفق قبل كتابة السداق على مؤجّل او مؤخّر من المال يفرضه العريس على نفسه فرضاً في العقد حال الطلاق او الفراق بالوفاة . واذا ماتت الزوجة فلاهلها الحق بملاحقة الزوج بدفع المؤخّر . واذا توفي الزوج ورغبت الزوجة في العودة الى بيت والديها على الورّاث ان يدفعوا لها المؤجّل من تركة الزوج .

بعد ان يجتمع المعازيم من الطرفين (ومن وجوه القرية احياناً من الدروز والنصارى) يتقدّم شيخ عاقل ، او شيخ الخلوة[2] فيرتل سورة الفاتحة : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . باسم الله الرحمن . . . . . . الى آخر الفاتحة . ثم يتلو سورة الاخلاص ٣ مرات : قل هو الله احد . . . . وبعد هذا يتلى على الجمهور صورة العقد ويوقّع عليه بعض الشهود من الحاضرين (عادة يحسبونها شرفاً فيقدّمون العقد للوجهاء لكي يوقّعوا عليه) واليك صورة عقد زواج[3] :

---

(١) لا يصح اعتبار السداق ثمناً للزوجة كما يفسره بعض الفرنجة فيترجمون اللفظة الى marriage price . انهم ينظرون الى هذه الدريهات القليلة كرمز احترام وتقدير للفتاة ولذويها. ومن زهّاد الدروز واتقيائهم مَن يُنكر على المحدثين بدعة التباهي بمبلغ السداق الذي يصل احياناً الى الآلاف من الليرات ولاسيما بين الاغنياء العائدين من المهجر .

(٢) يستنيب اليوم قاضي المذهب من يقوم مقامه في كتابة العقد . اما سابقاً فقد كان شيخ الخلوة او شيخ عاقل عالم يقوم بهذه الوظيفة .

(٣) اصدر مكتب مشيخة العقل اخيراً كتيباً صغيراً (اعيد طبعه ١٩٥٠) عنوانه طقوس الموحدين وذلك للقضاء على الفوضى التي كانت سائدة قبل ذلك . والنص هذا منسوخ عن الكراس المومى اليه .

الزوج فلان ابن فلان . . . من مواليد . . . رقم تذكرة الهوية[١] .
الزوجة . . .
صفة الزوجة . . . بنت بكر او عائدة من الزوج . . .
وكيل الزوج . . .
وكيل الزوجة . . .
المهر المعجّل . . .
الحقّ المؤجّل . . .

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على نبيه الكريم . اما بعد الاطلاع على الاذن بالعقد الصادر عن . . . تاريخ . . . رقم . . . فهـذا صِداق الخاطب والخطيبة المبيّن اسم كل منهما اعلاه اللذين اصبحا بحكم هذا الصداق زوجين شرعيين متمتعين بحقوق الزوجية المعتبرة شرعاً والمرعية ديناً وقانوناً . وقد اتفقا (او اتفق وكيلاهما الثابتة وكالتهما عنهما) على صحة هذا العقد واعتباره ووقع كل من الزوجين (او الوكيلين) بكل قبول وايجاب وشهد شهود الوكالة علناً والحمد لله بدءاً وختاماً حرّ ر...

امضاءات الزوجين او الوكيلين والشهود ...

وبعد كتابة العقد تتلى الخطبة ، يرتّلها شيخ واليك نص الخطبة : الحمد لله الخبير بما صنع ، اللطيف بما ابدع ، حمداً كثيراً على احسانه . واشكره على نعمه وآلائه وامتنانه . واشهد ان لا اله الاّ هو وحده لا شريك له تألهاً وتسبيحاً وتعظيماً لعلو شأنه ، واشهد ان نبيّنا الهادي عبده ورسوله الهادي لطاعته ورضوانه صلى الله عليه وعلى آله وانصاره واعوانه ما هب النسيم واورق الشجر باغصانه . اما بعد فان سنة الزواج من سنن الاسلام وشريعة من شرائع الكرام ، وقد قال تبارك وتعالى ان الطيبين للطيبات والطيبات للطيبين قبولاً بقبول . فسبحان من جعل بالزواج البعيـد قريباً والغريب صهراً وابن عمّ ونسيباً . واعلموا ايها السادة ان اجتماعنا في هذا المحلّ المبارك لامر قدره الله

---

(١) وهذه امور مستحدثة فرضتها مشيخة العقل حرصاً على النظام والتدقيق .

وقضاه وحكم به وامضاه . فهو هذا الكتاب المبارك وان شاء الله ساعة مباركة ، وان شاء الله بيتهنّوا »(١) .

وقديماً كان العريس لا يحضر حفلة عقد الزواج بل يوكل عنه وكيلاً. اما الآن فله ان يحضر حفلة العقد. ويلاحظ ان العرس الدرزي يتميّز بكثير من الرصانة والوقار ويختلف عن العرس النصراني الصاخب الذي سيأتي ذكره . وهذه الرصانة وهذا الوقار ناتجان عن الرصانة الدرزية والوقار الدرزي . فان الغناء والرقص والشرب والزلاغيط والتراويد وضروب التعجيز التي سنأتي على ذكرها من الامور التي لا ينظر اليها الدرزي الوقور بعين الرضى . فانها لا تتلاءم مع قوانين الزهد والتقشف الذي يفرضه الدين .

العرس :

كانت تقام ليلة العرس حفلتان : الواحدة للرجال في بيت العريس ، وتسمى سهرة العرس ، والاخرى للنساء في بيت العروس وتسمى الجلوة. في هذه السهرة تجلو النساء العروس اي يجمّلنها ويلبسنها احسن الثياب ويصمدنها(٢) ويغنين لها . اما الرجال فيحيون الليلة سهراً عند العريس . ويتخلل الحفلة شراب وغناء ورقص . وقديماً كانوا يحنّون(٣) العريس ويتحنّون معه . عند منتصف الليل تحضِر أم العريس قصعة ملأى بالحناء فيتحنّى العريس اولاً ثم تدار على الشباب . وترسل امّ العريس قصعة اخرى الى بيت العروس .

اما جلوة العروس فحفلة تنتظرها الصبايا والنساء . تحمّم الفتاة وتجمّل اي يدلك وجهها بدلوك البيض(٤) . وفي بعض القرى يُغسل الوجه بماء

---

(١) املاها عليّ شيخ يقوم بعقد الزواج .

(٢) صمدة العروس اجلاسها على دكة مرتفعة او على كرسيّ او على مقعد .

(٣) حنّى الرجل يده صبغها بالحناء .

(٤) مسحوق ابيض لدلك الوجه ليكسبه بياضاً. لان البيضاء في نظرهم اجمل من السمراء. يصنع هذا المسحوق من قشر البيض المسحوق والمجبول بماء الزهر والورد وخلافها من العطور.

الورد . وتُكحل العين ويُصفّف الشعر وتُلبس احسن ثياب العرس ويغطى وجهها بمنديل (او طرحة[١] العرس) وتُجلس على منصة او على عدد من الفرش والمساند لكي يراها الجميع . تقعد الفتاة صامتة مطرقة الراس ويحسن بها ان تبكي او ان تظهر الحزن والاسى اكراماً لاهلها لكي لا يقال انها فرحة مغتبطة بمغادرة بيت الوالدين . تُعطى منديلاً ، وعليها ان تمسح به الدمع مرّة بعد اخرى . ويرافق هذه الحفلة زغردة وغناء ورقص من قبل النساء والصبايا ، ويدوم الفرح الى ساعة متأخرة من الليل . وقبل ان تغادر النساء دار العروس يقدّم لهن النقل . وكان النقل قديماً على كثير من البساطة : شراب فاكهة او شراب زهر (ايام الصيف) وزبيباً وقضامة وجوزاً ولوزاً وملبّساً على قضامة او ملبساً على كزبرة وراحة الحلقوم .

وفي اليوم التالي (وفي الغالب يكون اليوم التالي الاحد لانه يوم بطالة) تستعد النساء صديقات العروس لبرزة[٢] العروس ويذهب اصدقاء العريس ليحلقوا للعريس ، وكلا الامرين طقس يعتبر جزءاً من العرس . في الصباح يحلق للعريس حلاّق القرية فيقول له الاصدقاء « نعيماً يا عريس ! » واحياناً يضربونه ضرباً يسيراً على قفا الرقبة ويقولون : « نعيماً يا عريس ! تتهنّا يا عريس ! » ويعودون الى البيت وينتظرون قليلاً الى ان يحضر جهاز العروس او طلعتها . وجهاز العروس او طلعتها ثيابها والاثاث الذي يشتريه لها اهلها . وقديماً كان خزانة وفراشاً وبعض الآنية النحاسية الضرورية . ينقل الجهاز اهل العروس فتستقبلهم امّ العريس بالزغردة ورش ماء الزهر وتقدّم لهم شراباً ونقلاً .

وتكون حفلة الاكليل عادة بعد القدّاس (واحياناً قليلة بعد الظهر) . ومنهم من يفضّل ان تكون حفلة العرس في اوائل الليل لتذهب العروس

---

(١) الطرحة منديل كبير او شملة لتغطية الرأس وتكون من الحرير .

(٢) البَرزة لبس احسن ثياب . يقولون انبرز اي لبس احسن ما عنده واصلح حاله ليظهر انيقاً .

الى الكنيسة ولتعود منها على ضوء الشموع والمشاعل ، وهذا يكسب بهجة ورونقاً . يذهب العريس مع بعض اصدقائه الى دار الكنيسة وينتظرون العروس ، ويطلبون الى الشبان الاقوياء من اهل العريس ان يتخلفوا كي يذهبوا مع الذين يذهبون الى اخذ العروس الى الكنيسة . لان اهل العروس يرفضون تسليمها الى اهل العريس ما لم يبرهن نواب العريس في حفلة التعجيز انهم اهل للعروس . وهي عادة شائعة الى يومنا هذا . يطلب اهل العروس الى العريس ذاته[1] ان يقوم باعمال جسدية تبرهن على رجولته وقوة جسمه . في دار العروس ، او في ساحة القرية يضعون « قَيْمَة » وهي اما جرن للكبة ثقيل او مخل لقلع الحجارة ثقيل . يضعون للجرن عوداً مقبضاً ، وعليه ان يرفع الجرن بيد واحدة او بيدين ، حسب الاتفاق ، ويزنّده ، اي يرفعه الى فوق رأسه وذراعه ممدودة. وكذلك يفعل بالمخل . وعند كتابة هذا الفصل اخبرت عن مشكلة كادت تحدث شغباً في عرس بين اهل العريس واهل العروس . اما العريس فمن قرية لبنانية جبلية (حمانا) والعروس من احدى قرى سهل البقاع . ذهب اهل العريس لجلب العروس فابى عليهم اهل العروس تسليمها ما لم يقم نواب العريس باعمال التعجيز . وقد كان في ساحة القرية جرن ثقيل ومخل

جرن الكبة : قيمة

---

(١) اما في يومنا هذا فان العريس يستنيب شباناً اقوياء واحياناً يأبى الا ان يذهب هو نفسه للقيام باعمال التعجيز اذا كان متيقناً من قوة جسده ولكن خوفاً من الفضيحة فانه يبعث من هو اقوى منه جسماً وساعداً .

ثقيل . ويظهر ان اهل العريس نسوا ان هذه العادة لا تزال حية شائعة في بعض انحاء لبنان فلم يتدبروا امرهم ، ولم يصطحبوا شاباً قوياً ، بل صدف انهم كانوا جميعاً من شبان اليوم : لا يتحملون رفع الاثقال . وكاد اهل العروس ان يرفضوا تسليمها لولا انهم وجدوا سائقاً ادّعوا انه منهم ، فرفع الاثقال ، وعندها سلموهم العروس .

يذهب اهل العريس الى بيت العروس ليخرجوها من بيت ابيها وليصطحبوها الى الكنيسة . ويجب ان يكون ابو العريس على رأس العرسية ، فان كان العريس يتيم الاب رَأس الوفد عمّه والا فاخوه البكر وهنا يتصدّى احد الشبان الاقرباء من عشيرة العروس ويبدي معارضة في اخراج العروس من بيت ابيها وبالتالي اخراجها من عداد العائلة . فتحصل مشادّة[١] بين الشبان الموفدين من قبل العريس وبين الشبان اقرباء العروس واخيراً يعجّزهم اهل العروس فيطلبون اليهم رفع الاثقال ليبرهنوا انهم اهل لهذه العروس . وبعد ان يبرهن شبان العريس عن جدارتهم يركبون العروس على بغل (واحياناً قليلة على فرس اذا كان هنالك رجل في القرية عنده فرس) بعد ان يضعوا فوق جلال البغل فراشاً مغطّى بشرشف زاهي اللون . ويسيرون بالترويد والزغردة الى دار الكنيسة حيث يستقبلها العريس . وفي كل زقاق يسير الموكب فيه يرش عليهم ماء الزهر او الورد او ينثر عليهم حبّ الارز .

بعد حفلة الاكليل الدينية تعود العروس الى بيت زوجها ولكن عن طريق اخرى . يتشاءمون من الرجوع الى البيت الجديد على الطريق التي اتوا عليها الى الكنيسة . وعندما يصل الموكب الى امام بيتها الجديد تستقبلهم امّ العريس بماء الزهر او الورد وتنثر عليهم الارز والملبس ثم تناول العروس خميرة لتلصقها على العتبة . الخميرة خير ، والخميرة دليل

(١) لم يعد لهذه العادة من اثر في كثير من الاعراس . ولكن قيل لي ان شيئاً من بقايا هذه المشادة التي كانت تقع قديماً لا يزال شائعاً في العرس القروي ولكن على شيء من النكتة والدعابة .

على الكثرة . تتناول الخميرة وهي بعد على ظهر البغل وترمي بها الى الجدار فتلصق وتزغرد النساء حبوراً ان الزواج سيدوم وسيثمر . واذا كانت من بنات اليسار أعطيت ملبساً واحياناً نقوداً صغيرة تنثرها على الحاضرين فيتلقفها الصغار . ومن عاداتهم انه عندما تدخل العروس بيتها الجديد تتقدّم امُّ العريس (حماتها) وفي يدها مبخرة او مجمرة فيها بخور فتبخّر كنّتها الجديدة ، والكنة بدورها تضع في المجمرة قطعة نقود : ليرة ذهبية او نصف ليرة هدية لحماتها وعربوناً على محبتها واحترامها لها ودليلاً على انها ستعاملها معاملة طيّبة . وقيل لي انهم كانوا الى عهد قريب يُدخلون العروس الى بيتها الجديد « بالمقلوب » اي تدخل البيت ووجهها نحو الخارج وظهرها الى الداخل لتكون « دخلة بلا ظهرة » . والذي يُنزلها عن ظهر الفرس عمّها اي ابو العريس فانه يقدّم لها ركبته كي تنزل الى الارض . واذا كان ابو العريس ميتاً قام بالعمل كبير العائلة .

عندما يرافقون العروس الى بيتها الجديد يحيط بها اصدقاء العريس . ويكون هنالك شاب الى جانب الفرس وآخر الى الجانب الآخر ويداهما على ظهر الفرس حراسة للعروس . ويقود الفرس كبير العائلة من اهل العريس . وكانت العادة قديماً ان يخلعوا على العروس وهي ذاهبة الى بيتها الجديد برمي فسطان او طرحة او شال او هدية اخرى علـــى ظهر الفرس .

ومرافقة العروس الى بيت العريس تكون مرفوقة بالحداء والترويد والعراضة[1] . ومن اهازيجهم المشهورة :

جبنا العروس وجبنـا ويا ام العروس لاقينا
جبنا العروس بهزجـة شوفتنا بالبلد فرجــة

وقيل لي انهم قديماً كانوا يطلبون الى العريس الا يكون داخل البيت

---

(١) العراضة اطلاق الرصاص فرحاً وابتهاجاً .

عندما تدخل العروس لئلا يُكْبَس[١] . كان يصعد الى السطح ويشاهد دخولها من فوق السطح .

وكانوا قديماً يطلبون الى احد الحضور ان يدور على العرسية وبيده صينية يتقبل النقوط للعروسين . ومن عوايدهم القديمة انهم كانوا يطلبون



جبنا العروس وجينا . . . .

الى العروس قبل ان تنزل عن الفرس ان تسأل عن فلان وفلان اذا كان حاضراً . يريدون بذلك ان يسألوا عن رجل حاقد او غاضب او عن رجل يعادي اهل العريس . فاذا قيل لهذا الحاقد او الغاضب

(١) سيأتي ذكر الكبسة في الفصل التالي .

ان العروس تسأل عنه ولا تنزل عن الفرس قبل ان يحضر العرس فان من واجب اللياقة ان يكارم العروس فيحضر الى العرس وتتم الصلحة هكذا . اي ان العرس فرصة للمصالحة والتراضي في القرية .

ولم يكن قديماً بالامر المستهجن او المعيب ان تستعير العروس الفقيرة ثوب العرس . ولم يكن بالامر المستهجن او المعيب ان تجري حفلات العرس عند فقرائهم في احسن علية في العائلة . وان المؤلف ليذكر اعراساً كثيرة احتفل بها في علية واحدة لانها كانت علية وسيعة ارضها مغطاة بسجّادة كبيرة حمراء . ولم يكن بالامر المستهجن او المعيب ان تكون وليمة العرس بعد الاكليل وليمة اشترك في تحضير ما آكلها افراد العائلة : هذا يقدم ضلعاً محشياً وذاك ديكاً وآخر قدراً من اليخنة . . . . . الخ .

ومن عاداتهم المستحبة تنقيط العريس ، وذلك لعونه على تحمُّل نفقات اسبوع العرس . فان اسبوع العرس يقتضيه نفقات اكل وشرب ونقل . وكان الفقراء منهم يصيبون قدراً لا بأس فيه من اطعمة ونقود . ولم يكن مستغرباً ان يحتفظ بدفتر او بورقة يُسجّل فيها النقوط او الهدايا على هذا النمط :

من بيت بو جريس عيد قفة بن
من نمر متري خروف
من بو مراد صابون رطل عِدّة ٥
من ام مخايل سكر رطل عِدّة ٣ . . . الخ

والنقوط دين في عنق العريس عليه ان يردّه عند زواج من نقّطه او عند زواج بناته او اولاده .

اما شهر العسل او الانقطاع عن العمل فأمر لم يكن معلوماً . بل كان يقول لنا آباؤنا انهم عادوا الى اعمالهم الزراعية في اليوم التالي او بعد

التالي للعرس . نعم ، ان العرس يوم بهجة وفرح وعيد عند اهل القرية، اما للعروسين فانه يوم او يومان من المضايقة والازعاج . يعود العريس في اليوم التالي الى اعماله وتنصرف العروس الى تدبير المنزل . واشدّ الامور مضايقة وازعاجاً تدخل القوم في امر يجب ان يظل شيئاً فردياً شخصياً . ولكن يظهر انهم كانوا قديماً يحرصون على ان تظهر عذراوية الفتاة ، وعذراويتها موضع فخر واعتزاز لها ولاهلها ، فيصرّون على اشهار علامة العذراوية . هذا من قِبل اهل العروس . اما من جهة اهل العريس فانهم كانوا يحسبونها فخراً واعتزازاً ان يبرهن الشابّ على قوته ورجولته في الليلة الاولى بعد العرس . وكان لهم في ذلك طقوس لم يعد ذوق الناس الآن يطيق سماجتها . ولكن المؤلف يذكر جيداً[1] انهم كانوا يطلقون الرصاص امام علية العريس . ولكن المؤلف لا يذكر ابداً انهم كانوا ينشرون ما يدلّ على عذراوية العروس، ولكن العادة كانت شائعة في لبنان .

في الاحد التالي يُخرجون العروس والعريس الى القداس . والذهاب مع العروس والعريس حفلة تشترك فيها العائلتان . وذلك اليوم يوم عرس مصغّر تقام فيه مأدبة وبعض معالم الافراح كالغناء والشرب . وبعد ايام يقوم العريس وعروسه بردّ الرجل (او ردّة الرجل) . وهي زيارة اهل العروس . وهي زيارة يقوم بها العريس عرفاً . ويظهر انهم كانوا قديماً يعلقون العريس برجله على عمود علية العروس الى ان يفتدي نفسه بتقديم هدية لحماته . وأخبِرْتها عكس هذا اي انهم كانوا يعلقونه كي تفتديه حماته . فكأنّ الشبان من اقرباء العروس ينتقمون من الرجل الذي اصبح يملك امرأة من عشيرتهم . ولا يذكر المؤلف ان هذه العادة شائعة . انما اخبرت ان بقايا العادة لا تزال في اصرار الشبان اقرباء العروس على ان تفتدي الحماة صهرها الجديد ، واذا لم تفتديه فانهم يعلقونه برجله . فتسارع الحماة للقيام بالتعجيز الذي يفرضه الشبان اقرباء

---

(١) كنت طفلاً ولم ادرك معنى العادة .

العروس . يقولون لها : نريد عدساً محشياً او ثلجاً مشوياً والا . . .
فتحضر لهم المآكل الطيبة والخمر المعتق ، وينتهي الامر عند هذا الحدّ
من الدعابة المستحبّة عندهم .

ربط العريس :

يخشون على العريس من « ربطة » . والربطة عندهم مانـع جنسيّ
يمنع العريس من القيام بواجبه كعريس . ويعتقدون ان سببه حسد احد
الناس ، او عين شريرة ، او خطّ او رقية . ومنشأ الاعتقاد هذا ان
بعض الشبان القرويين ، نسبة لجهلهم الامور الجنسية ولقلة اختبارهم ولعدم
معاشرتهم النساء قبل الزواج يصابون بشيء من العقدة النفسية التي تحول
دون القيام بواجب الزوج الى حين . اضف الى هذا ان بعض الشبان
واهل العريس والعروس بانتظار الحدث . وهذا مما يزيد في تخوّف الشاب
فيعجز عن القيام بواجبه . فيفسرون هذه الظاهرة القليلة الورود انها
« ربطة » سحرية . وتلافياً لمفعول هذه الربطة فانهم يحرصون على تخبيط
العريس والعروس . وتفصيل ذلك ان احدى قريبات العريس تأخـذ
خيطاً وتدخله في ابرة ولا يُعقَد عند طرفه بل يترك مسرحاً . وبينما
يكون الكاهن في سياق الاكليل تأخذ هذه المرأة طرف ثوب العريس
وتدخل فيه الابرة ثم تنفذها الى طرف ثوب العروس وتجرّ الخيط كله ،
وتستمرّ في هذا التخبيط الوهمي لطرفي الثوب الى ان تأتي على دائر
الثوبين دون ان تربط بينهما . فان هذا يبطل عمل الربطة .

انّما عند الدروز الذين يعتقدون بالربطة فانهم عند كتابة العقد يفرضون
فرضاً ان لا يتكتّف الواحد منهم بل يبقي اليدين مسبلتين على الركب .
وكذلك يمنعون الرجل ان يجلس ويضع رجلاً فوق رجل ويمنعون ان
يشبّك احدهم اصابع يديه او ان يربط او يعقد خيطاً ، فان كل ربط
او عقـد او اعوجاج او ضغط يمكن ان يكون له اثر السحر المؤذي
للعريس والعروس .

زلاغيط للعريس والعروس والعرسبة[1] :

ومفردهـا زلغوطة ويشتقون منها فعلاً فيقال زلغط وزلغطت . والزلاغيط شعر عامي ركيك المبنى جميل المعنى احياناً . والذين ينظمون الزلاغيط نساء ورجال . وتكون الزلاغيط موجّهة للعريس او للعروس او للعرسبة . وتظهر فيها احياناً روح دعابة مثل قول امرأة من اهل العريس تخاطب به العروس الباكية او المتباكية :

الله معك يا عروس الله معك
وكتر البكي ما راح ينفعك
وان كان في مسمار في بيت ابوك
اقلعيه وخذيه معك !

ويلاحظ ان الوزن مشوّش ولكن يعوّض المزلغِط او المزلغِطة عن عدم استقامة الوزن باطالة الحركة او تقصيرها او حذفها او مدّ الصوت هنا وتقصيره هناك ليستقيم الوزن .

والزلاغيط تقال ليلة العرس ووقت جلوة العروس وقبل الاكليل (واحياناً اثناء الاكليل) الى حدّ ان الكاهن يتضايق من كثرة تردادهم « لو لو لو لو » عند آخر الزلغوطة . ويشعر بعض اقارب العريس والعروس ان الزلغوطة للعريس او للعروس واجب ومشاركة لها قدرها عند اهل العريسين .

تبدأ الزلغوطة بلفظة ايها ، او ايها يا عريس ، او ايها يا عروس . وسمعت بعضهم يقولون أوها وآخرين يقولون آ ايه يا عروس . وتنتهي الزلغوطة بتكرار لو لو لو لو . . . ! (ثلاث الى خمس مرات) وسمعت بعضهم يقولون لي لي لي لي . . . . . !

---

(١) مرافقو العريس او مرافقو العروس .

وقـــد حرصنا على جمع بعض الزلاغيط من نساء ورجال قريتنا (راس المتن) . وقد وجدنا ان بعض هذه الزلاغيط معروف في قرى لبنانية اخرى مما يدل على انها لم تنظم في قريتنا . ولكن هذا لا ينفي ان يكون بعضها من نظم اهل القرية انفسهم .

واليكَ زلغوطة بلسان ام العريس او ام العروس تخاطب بها العرسيّة :

ايها : اهلا وسهلاً فيكم يا ضيوف عزاز انتو أعزّا وجايين من بلاد عزاز
اغلى من البن اغلى من طيور الباز اغلى من المال لو كان صاحبو معتاز
لو لو لو لو . . . !

زلغوطة للعرسية :

اهــلا وسهلا يا إهْلْنـا زرتونا اخْضَرّت الدِني لمّــا آنستونا
تْجوّزوا وْلادْكُن وبناتْكُن وتْزوزْكن بِالفَرح مثلما زرتونا
لو لو لو لو !

وعند تناول طعام العرس تقول ام العريس للضيوف :

ايها : بيتنـا دافي وعَيْشنا عافي ايها : تغدّوا يا قرايبنا صَحْتَين وعوافي
ايها : بيتناجديدوسكّرته[١] حديد ايها : وكلوا يا قرايبنا لنسقيكم عرق ونبيذ
لو لو . . .

تقول احدى النساء القريبات للعريس :

ايهـــا يا عريس يهنالك كاس العيش يِصفَى لــك
كل النــاس تقول بعروسك تشوف حالــكلولو . . .

وتظهر روح الدعابة في قول قريبة للعريس مخاطبة ام العروس :

ايها : يا ام العروس لا تْكِشّي مـــا خَسّرناكِ ولا قشّة
هلّق مناخــذ عروستنا وبخلّي عيونــك تْمَصّي لولو . . .

---

(١) السكّرة قِفل خشبي قديم ومفتاحه خشب . وكان احدهم يباهي قومـــه بان قفله اصبح حديداً على الطراز الحديث ! وقد جئنا على ذكرها ص ٤ .

وهذه زلغوطة فيها هجاء لعروس قبلت عريساً اكبر منها سناً :

ايها : يا عروس يا ذايبـة أخذتِ هالدّقن الشايبـة
غـرّوك بقروشهن تبقى قروشهن سايبـة لولو...

زلغوطة للعروس :

ايها : يا عروس تفّاح ما منّاكُل حُمرة خدَيْدِك فيـه
ايها : من البحر مـا منِشرَب سافر حبيبك فيـه
ايها : سافر حبيبـك لَحلَب سافرتَ انا عَ الشّام
ايها : جلب حبيبـك غـنم جلبت أنا غِزلان لولو...

زلغوطة بلسان العريس مخاطباً بها عروسه ، ويظهر انها قديمة . يدل على ذلك خطبته عروساً لا يعرف اسمها . وقد قيل لي ان بعضهم ، منذ ١٠٠ سنة تقريباً ، كان لا يباح باسم العروس للعريس :

ايها : يا عروستي ذاب الورد في صدرك
ايها : صار لي سنة سنتين خاطبك ما عرفت شو إسمك
ايها : إسمك سَناسِل ذهب في عِلبْةِ الصيغة
ايها : كَسْبان يا مِشتري خَسران يا بايع لو لو . . .

زلغوطة بلسان ام العروس مخاطبة ابنتها :

ايها : يا عروس ما بِحتاج وَصّيكِ
ايها : ما تخلّي حدَا منِ الدّار يشكيكِ
ايها : هَيْدي حماتك حِبّيها وْعِزّيها
ايها : بْتَعمْلِك بِنتْها ما بتعملك كنّتها لو لو . . .

زلغوطة بلسان عروس ذاهبة الى مكان بعيد والى اهل جدد لا تعرفهم :

ايها : قالت عروسي : شِدّوا لي مخدّاتي
ايها : طلعت من الدار ما ودّعت خيّاتي

ايها : طلعت من الدار ما ودعت امي
ايها : وانا الغريبة ، وزِخُّوا يا دموعاتي لو لو . . .

تقول ام العروس للشباب رفاق العريس :

ايها : يا شباب يا إهل العريس ما بَعرف اساميكُن
ايها : يا فِضَّةِ الناقي تِنْدَرْزْ في عراقيكُن
ايها : وبطلب من ربّ السما حتى يخلّيكن (لجيب بنّا حلب يبني في علاليكن)
ويظلّ الفرح بِدْيارْكن ونروح نهنّيكن لو لو . . .

بلسان المرافقات للعريس مخاطبات اهل العروس :

ايها : نحنا اهالي العريس جينا
ايها : قاصدين الفرح الله يهنّينا
ايها : قولوا لام العروس حتى تلاقينا
بكاسات فضة والشرابات تسقينا لو لو . . .

للعروس في جلوتها :

ايها : يا عروس يا جبنة المْعَصّر
يا صحن صِيني وَمَوشْوش عَ العَسَل سُكّر
وِالْ مَعُو مال ياخذ مِتْلك مِشْ أكتر
وِالْ ما معو مال عاشوفتك يِتْحَسّر لو لو . . .

وتقول الام مخاطبة ابنها :

ايها : مبروك يَا ابْنِي انشال الهَمّ مِن بالك
ايها اليوم عرسك كنار الارز غنّى لك
ايها : حقك تشوف بعروسك عالمدى حالــك
ايها بالحِسن إخت البدر يا ألف نيّالك لِي لِي . . .

وتقول ام العروس مخاطبة ابنتها :

ايها : يا عروس مـا بحتاج وضِّبكي
ايها لا تخلّي احد بالدار يشكيكِ
ايها : بيت عمّـك حبّيهم وعزّيهـم
ايها وعامليهم مطرح امك يوبوك لي لي . . .

زلغوطة :

ايها : يا عروس حيّ الله الّـ مربّيك
ايها : جوهرة متمّنة ويّن كان مخبّيك
ايها : الله وفّق عريسك تـ حظى فيك
ايها : وربّت الشقا والهمّ لا يجيه ولا يجيكِ لي لي . . .

وهذه اغنية تقال للعروس ليلة الجلوة . وقد يؤخذ بيـد العروس ويدار بها في القاعة حيث النساء مجتمعات :

قومي تحدّري اسمَ الله يا زينة   يا وردة جوّا الجنينة
كبش القرنفـل يا عروسة   والورد خيّم علينـا

قومي تحدّري اسم الله يا عروسي   والبسي احسن ملبوسة
مـا تشوفي ايـام منحوسة   بنت الاكارم يا زينة

قومي اطلعـي عَ سريرك   طير الحمام يناغيلك
الله والعـذرا تجيـرك   يا بنت العرب يا زينة

ليلة الحنّة :

الله بـلاني بـلاني   سهرانـة طول الليـالي
الله يخلّـي ابوك   من بين كلّ الرجال
حيدوا من الدرب حيدوا   تتمرق الشلبيّـة
ريحة زبادك قتلني   والمسك عجّل عليّ

يا ماشطة ومَشّطيها شوي شوي لاتوجعيها
هيدي بنت الاكابر ومعودة ع الدلالة

الله بلاني بلاني سهرانة طول الليالي
الله يخليلي اخوك من بين كل الرجال

ارقصي يا مليحة ارقصي ولا تبالي
بدف المخشخش بنقلات الجمال

جوزك يا مليحة راح ع الشام وحدو
جوزك يا مليحة جوزك ابو زيد الهلالي .

نقدك يا عيني مية جاموس ومية طية حرير مصفوفة ومكندوسة
ومية ناقة وسايسها وراعيها وكلها يا عيني ما بتسوى من خدك بوسة

اهلا وسهلا بالحلوة زارتنا يا عقد لولو لبستاك برقبتنا
كنت غريبة وصرت اليوم كنتنا يفنى الزمان ولا تفنى محبتنا

شو أكلت إمك ياعروس تجابتك حلوة اكلت القلب والمعلاق والكلوة
شو لبسوك يا عروس ليلة الجلوة بدلة ظريفة وتلبق لقامة الحلوة

إخت العريس يا فريحانة يا مشكلة بعرق ريحانة
إخت العريس إرقصي وإفرحي لا يحسبوك الناس غيرانة

شو قالت العروس وهي طالعة سلموا ع الدار وعلى سكانها
سلموا على امي الحنونة يا ما لفلفتني بأحضانها .

تقول ام العريس على الاكل :

كلوا يا ناس لا ترقوا لحالي وإن خلص الرز لقدم لكن مالي
وإن خلص الرز لقدم لكن لولو واكثر عتابي ع ال بقوم جوعاني
لو لو . . .

كلوا يا ناس من مال البازركان طحينا بالطاحون وسمننا بالقنطار

عريسنا اممـــر وعيّـــاري[١] ما يلبس الجوخ الا بصف زرّاري
مـــا يدق الباب الا بخنصره يا ريت عدوه بالبـــاب مسمار

مبارك يا عريس كل شي عملنالك ومباركة بدلتك وزرار قفطانك
ميتين ليرة على عرسك نفقنالك من مال بيك وما طلعنا استعرنالك

اهـــلا وسهلا فيكن يا ضيوف عـــزاز
انتوا عزازي وجيتو من بـــلاد عزاز
اغلى من المنّ واغلى من فراخ البـــاز
واغلى من القرش لو كان صاحبو معتازلي...

(١) اي متكبّر متعجرف انفه في السماء .

الفصل الثامن

عندما يولد طفل في القرية

نعمة البنين :

عقم المرأة لعنة ومدعاة للتعيير[١] . يعتقدون ان البيت الخالي من الاولاد بيت حلّ عليه غضب الله . ولذلك تظلّ العروس وامها واهلوها مضطربي البال الى ان تصلهم البشائر ان ابنتهم حبلى . فتُهنّأ العروس وزوجها واهل العروسين . وقد تُولَم وليمة احتفاء بالحدث المفرح .

ان حرص الرجل على ابقاء اسمه حياً بعد مماته امر معروف مشهور[٢] . ويعتقدون ان الفتاة لا تخلّد اسم العائلة ، لان اولاد البنت قد يحملون اسماً غير اسم العائلة . لذلك يضطرب الرجل اذا علم ان امرأته عاقر . وعند غير المسيحيين يؤدي العقم احياناً الى الطلاق . والعقم عند المسيحيين وغير المسيحيين يسبب مشاكل عائلية كثيرة .

النذور والزيارات :

اذا طال الزمن ولم تحبل الزوجة لجأوا الى زيارة المزارات ونذر النذور . واكثر الاديرة زيارة دير صيدنايا في سوريا ، ومار جريس الحميرا ،

---

(١) راجع لوقا ١ : ٢٥ ، مزمور ١٢٧ : ٣ ، صموئيل الاول ١ : ٥ – ٨ .

(٢) كان التقليد العبري القديم يقضي ان يقيم الرجل نسلاً لاخيه الميت لكي لا يمحى اسمه من العشيرة. اقرأ قصة راعوث في التوراة فان فيها تفصيلاً وافياً عن هذا التقليد السامي القديم.

ومار عبدا المشمّر والاديرة التي على اسم العذراء ، وفي بيروت مار الياس بطينا . تبيت المرأة ليلتها مع بعض قريباتها في الدير وتقضي معظم الليل في الصلوات . وقد يُطلب اليها ان تحكّ بطنها على بلاطة ضريح قديس او وليّ مدفون في الدير ، او ان تنبطح على وجهها وتحكّ بطنها على ارض المعبد . ويطلب اليها ان تبلع قطنة ملوّثة بالزيت من السراج الموقد امام العذراء او القديس الذي بنيت الكنيسة على اسمه . وفضلاً عن الصلوات والتذرّعات فانها تنذر النذور : لا اقص شعره مدة ٣ سنوات (اكثر او اقل) البسه ثوب الراهب ، اقدّم وزنه زيتاً للعذراء ، او نصف وزنه شمعاً للكنيسة ، اذبح خروفاً واوزعه على الفقراء ، . . . وما شاكل .

الحبل :

اذا حبلت المرأة ، وفي مصطلحهم « استقامت » او اصبحت « مستقيمة » هنأوها وهنأوا زوجها وذويها . وتسمى الاشهر الاولى التي تشعر فيها المرأة باضطراب جسماني اشهر الوحام ، فيقولون امرأة موحّمة وعم تتوحّم. في هذه الفترة التي قد تكون عسيرة على بعضهن ، تتدلل وتتغنج ويشعر ذووها ومَن حولها انه من حقّها ان تتغنج وتتدلل . ويحرصون اول ما يحرصون عليه ان تحاط المرأة بكل جميل فلا تقع عينها الا على جميل ، ولا يظهر امامها الا كل طفل جميل . ويحرصون على اشباع جميع رغباتها ، فانها اذا اشتهت شيئاً ، مهما كلّف امر الحصول عليه ، فانهم يأتونها به خوف ان تظهر الشهوة غير المُشبَعة في جسد المولود . والشهوة بقعة حمراء تظهر في الجسد ، ويعزونها الى رغبة غير مشبعة . ويضيفون انها اذا حكّت جلدها في مكان ما وهي تشتهي او تطلب شيئاً ولم تُشبَع شهوتها ولم يُحضَر طلبها ظهر في جسد مولودها بقعة حمراء في المكان ذاته المقابل للمكان الذي حكّته بظفرها . وفي الاشهر الاخيرة من الحمل تتحاشى المرأة الخروج الى خارج البيت خوف العين واستحياء من شكلها . ومنهن من لا يعدن يتحمّمن خوف الاجهاض .

صبي ام بنت ؟

ولهم في معرفة جنس الجنين معتقدات عديدة منها : اذا كانت في مشيها تقدّم اليمنى اولا قالوا صبيّ ، واذا علا وجهها النمش ، واذا قبح وتورّم خدّاها وتضخّمت شفتاها قالوا صبيّ . اما اذا جمل وجهها واشرق وازدادت جمالاً على جمال قالوا بنت . واذا طلبت نفسها اللحوم والالبان قالوا صبي ، واذا مالت نفسها الى المالح والحامض والتوابل الحرّيفة قالوا بنت . واذا اصبحت تمشي بتثاقل ، واذا كانت حركاتها بطيئة يعقبها تعب وانهاك قالوا صبي . واذا هدأت اعصابها وكانت رصينة متزنة في كلامها وتصرّفها قالوا صبي . وعلى نقيض هذا اذا كانت عصبية المزاج شكسة الاخلاق صعبة المراس قالوا بنت . ومنهم من يأخذ من ثديها في الاشهر الاخيرة من حملها نقطة حليب يضعونها في قدح ماء ، فاذا تجمّد الحليب ورسب في القعر قالوا صبي ، واذا ذابت النقطة وانتشرت في الماء قالوا بنت . ومنهن مَن تأخذ كتلة من عجين وترمي بها الى ارض التنور المسجور فاذا تشققت العجينة وتفتتت قالوا بنت ، واذا بقيت كتلة متراصة قالوا صبي . ومنهن من تأخذ حشرة تسمى فرس ابليس وتضعها في كفها ، ويكون في كفّها حصاة صغيرة او كتلة صغيرة من تراب متجمّد ، فاذا صدف ان فرس ابليس اخذت الحصاة برجلها قالوا صبي ، واذا اخذت التراب قالوا بنت .

تهيئة ملابس الطفل :

بعد انقضاء الاشهر العصيبة الاولى من اشهر الحمل تبدأ المرأة بتحضير سرير الولد (انظر الرسم ص ١٨٠) وفراشه وملابسه ودقّ ريحانه . ولا يفصلون الملابس في يوم الثلاثاء والخميس ، فانهم يتشاءمون من هذين اليومين . وبعضهن يحرصن ان يكون عدد الملابس فرداً لا مزدوجاً ، لان العدد الفرد للصبي والعدد المزدوج للبنت . ويحسن ان يكون بدء

التفصيل بحضور طفل ذكر لا انثى ، واذا بدأوا بالتفصيل ودخل عليهم رجل او شاب او صبي استبشروا ، واذا دخلت امرأة او صبية او طفلة تشاءموا . وفي اكثر القرى لا تزال الامهات تُرَيحِن (اي تفرك الجسد بالريحان) اطفالهن . ودقّ الريحان امر صعب ولذلك يقال : « تعبان بدق ريحانه او مش تعبان بدق ريحانه » يعنون بذلك انه رزق أتى بدون تعب ، او رزق ذهب فلا اسف عليه لانه رزق لم يتعب المرء في تحصيله . ويحسن ان يتناوب على دق الريحان ٧ فتيات و ٧ شبان .

١ سرير طفل — ٢ ارضيّة — ٣ سِيبَك — ٤ طفل مقمّط

الولادة :

عندما تشعر المرأة بالمخاض تحضر الداية ، وفي كل قرية لبنانية كبيرة داية . ولفظة « داية » فارسية معناها المرضع . والداية تتعلّم مهنتها بالمراس . وطبيعي الا تكون الولادة على يد الداية طبيعية سليمة في بعض الاحيان . ولكني سمعت اكثر من طبيب يقول ان عجبنا هو من ان حوادث الولادة المؤسفة على يد الداية اقلّ مما ينتظر .

يُطلب الى الرجال والشباب والاحداث مغادرة البيت ، وليس

يستحسن ان تبقى الفتيات ايضاً في البيت . وعندما يولد الطفل تغسله الداية بماء فاتر تضيف اليه قليلاً من ملح الطعام . وتلبسه وتخرج به الى النور : « منذ ان رأت عينيّ النور » . واذا كان المولود ذكراً تراكض الاولاد (واحياناً النساء) الى الساحة حيث يكون الاب جالساً ينتظر الخبر ، او الى بيت احد الجيران او الى الحقل فينقلون اليه الخبر السارّ . ومن يصل اليه اولاً ينال « حلوانا » او الحلوينة . يقولون « البشارة الك والحلوينة الي ! » فيفهم الرجل ان قد ولد له صبي . والحلوينة عادة شرقية قديمة . جاء في سفر ارميا ٢٠ : ١٥ « ملعون الانسان الذي بشر ابي قائلا قد ولد لك ابن ... » واعطاء الحلوينة للذي بشره اولاً فرض واجب . وقد يطلقون الرصاص (عراضة) ابتهاجاً بولادة صبي ، لا سيا اذا كان الوالد غنياً او وجيها . اما اذا كان المولود ابنة فانهم لا يتراكضون لنقل الخبر اليه بل احياناً يكون الامر على نقيض هذا : يحترسون في نقل الخبر اليه بطريقة لطيفة فيها مؤاساة وتعزية وتخفيف . ومن اقوالهم : « عتبة البيت بتحزن اربعين يوم على خليفة البنت » . ومن جملة ما يقولون لابي الفتاة : الله يجبر خاطرك بعريس . ا"لي بتجيب البنت بتجيب الصبي ! الحمد لله على صحة امها . الله يخلّيك فوق راسها ، ويطعمك عريس على راسها ، البنت خلقة الله والصبي خلقة الله . ما بيسايل ، المثل بقول : من اسعدها زمانها جابت بناتها قبل صبيانها . بكرة بتشوف شو بتحبها ..... »

اما اصحاب الرجل المقربين اليه فقد يداعبونه قليلاً فيقولون له عند رؤيتهم اياه اول مرّة : « توهة شخّت بدقن ابوها » والتوهة كناية عن البنت . واحياناً يستقبلونه وبيد احدهم سيبك والسيبك انبوب يجري فيه بول الطفلة الى المبولة في السرير (راجع الرسم ص ١٨٠) . اما هو فيتظاهر بعدم المبالاة . وهذه عادة قديمة لها صداها في القرآن الكريم « واذا بشر احدهم بالانثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم » (سورة النحل ٥٧) اما الام فلا يقال لها وُلِد لك ابنة . فاذا طال الوقت ولم تخبرها النساء خبر المولود عرفت ان المولود ابنة . ويقال ان منهنّ من تبكي او

تتباكى فتطيّب النساء خاطرها . والتي تلد البنت لا تكرّم تكريم المرأة التي تلد الصبي لا في هدية الرجل لها ولا في المآكل الطيبة التي تقدم للنفساء .

المغلي :

في اليوم التالي لولادة الصبي (لا البنت ، الاّ مؤخراً عندما اصبح بعض الناس المتعلمين لا يفرقون كثيراً بين الذكر والانثى) يُبدَأ بصنع المغلي وتقديمه للمهنئين ولارساله في صحون او قدور الى الاقارب والاصحاب ، هذا اذا كانوا من اهل اليسار . والمغلي دقيق الارز يُغلي بالماء ويُضاف اليه السكر والتوابل فيصبح شديداً كثيفاً . ثم انهم يسكبونه في فناجين كبيرة او في صحون ويغطون وجه الفنجان او الصحن بطبقة من « القلوبات » : الصنوبر والجوز واللوز والفستق الحلبي. ويؤكل المغلي بارداً . وتقديم المغلي عادة يفرضها التقليد حتى على الفقراء . ومن هنا كانت هدية الناس الى الاب الفقير والام الفقيرة ارزاً وسكراً وبناً ودجاجة او ديكاً للنفساء .

عادات ومعتقدات تتعلق بالولادة :

اذا تعسّرت الولادة البسوا المرأة بعض ثياب زوجها : طربوشه او سترته او وضعوا على كتفيها معطفه او عباءته . وقد يدعى الرجل الى دخول الغرفة ويطلب اليه ان يسندها فتلقي بجسدها عليه . وقد يطلب اليه ان يصعد الى سطح الغرفة ويجدل السطح بالمحدلة . واذا لم يفد هذا شيئاً علقوا لها الاحجبة والتعاويذ ونذروا النذور .

واذا كان زمن الوضع في خفية القمر ، بين السرار والهلال ، تشاءموا وترقّبوا مكروهاً للام ولولدها . احسن زمن للوضع عندما يهل القمر . ويعتقدون بالكبسة ، ولفظ « الكبسة » سرياني الاصل معنـــاه ضغط

وشدّ . والكبسة أثر سحري سيّء على الام وطفلها . اما الام فيجفّ حليبها من جرّاء الكبسة او تصاب بتحجّر في ثديها او تنتابها حمّى . واما الطفل فيهزل ويفارقه النوم ، ويبكي بكاءً متقطعاً ، ويصاب بالاسهال او الحمّى او ينقطع عن الرضاعة . والواقع ان كل سوء يصيب الام في اسبوعها الاول وما يليه بعد الولادة ، وكل اذى يمسّ الطفل يُعزَى للكبسة .

تُكبَس المرأة اذا دخل غرفتها ، قبل مرور اسبوع ، عازب او عزباء او حائض . ومنهم من يمنع دخول الشبان والشابات على النفساء في الايام الثانية الاولى . واذا اقتضى دخول احد هؤلاء الناس الذين ذكرنا صفتهم اتوه بالمولود فيحمله ويدخل بـــه الغرفة فينتفي الشؤم ويذهب مفعوله .

اما الطفل فيُكبَس في الحالات التالية : (١) اذا « فرشخته » عذراء ، اي اذا مرّت من فوقه فتاة عذراء . ولفظة « فرشخ » سريانية (ܦܪܫܚ) (٢) اذا مرّت من فوقه امرأة متزوجة حائض . واعتقاد الناس في اثر الحائض السيّء شائع عامّ في كل انحاء المعمور . (٣) اذا ضاع شيء من ملابس الطفل : منديل ، جوارب ، قميص ، وخلافه . فانهم يعتقدون انه اذا مرّت فوق الضائع عذراء او حائض فان الولد يُكبَس . وكذلك يعتقدون ان في مقدور العدو الحاسد ، اذا عرف ان الضائع لهذا الولد او ذاك ، واذا اراد اذيته ، فانه يستطيع ان يأخذ الضائع الى راقٍ فيرقي له او يخطّ له فيمرض الولد . ولذلك يضطربون ، ويضطربون كثيراً اذا ضاع ضائع لطفل .

اما مداواة الكبسة فتتم على الشكل التالي : تُبخّر الام بأثر من آثار الكابس اذا عرفوه (مثـــلا خرقة من ثوبه .) اما اذا كان اثر الكبسة انحباس حليبها فانهم يداوونه باخذ قليل من حليبها ويضعونه على ظفرها فترمي به الى وراء ظهرها . او انهم يأخذون نقطاً من حليبها ويرمون بها الى البحر ، او الى مجمع ماء فينتفي البأس . اما

الولد فيُداوى ـ اذا كان سبب الكبسة فرشخة او مرور حائض من فوقه ـ بان يُطلَب الى الذي فرشخه او من الحائض ان تمرّ من فوق الولد عكسَ جهة المرور الذي مرّته اولاً . او قد يُلبَس الطفل قميصاً غُسِل بماء البحر ، او يُحمَّم الولد بماء البحر ، وافضل مكان لهذا مزار لمار جريس بالقرب من جونيه يعرف بالخضر .

واذا لم يُعرَف الكابس فانهم يذيبون الرصاص عند راق وهو يذكر لهم اوصافه كما يراها في الرصاص ، او بامراره تحت جذور شجر التين او التوت . تؤخذ الجذور وتُعقَد ويُصنَع منها قنطرة يمر الطفل من تحتها . وافضل العلاجات ادخال الطفل الى الكنيسة من نافذة او طاقة (وليس من الباب) . تأخذه فتاة قريبة له فتُمرِّره من النافذة ويأخذه منها شاب قريب له ثلاث مرات متوالية . واخيراً قد يؤخذ الطفل الى المقابر . تأخذه قريبة له (وقد توافقه الام ولكنها تبقى على مسافة منه) وتضعه على حجر قبر وتقول : يا موتى خذوا ابنكم واعطونا ابننا .

واذا ابتليت العائلة بموت الاطفال فانهم يأخذون المولود الجديد بعد اشهر قليلة ويضعونه في قفة او سلّ او سرير ويدلّونه من على السطح او ينزلونه الى بير . وهذا ينجيه من الموت .

تهنئة المرشين :

ولادة طفل في القرية حدث اجتماعي ، وفرض على جميع الاقارب والجيران تهنئة الوالدين . يقال للوالدين : مبارك ما اجاكم ، ان شاء الله يعيش بدلالكم ، يكون من اولاد السلامة ، الله يعيّشه ، نقشع لكم على راسه اخوة ، ان شاء الله بيسلم ، مبروك ال إجاكن . واذا هنّأوا الام خصيصاً قالوا لها : الحمد لله على قيامك بخير ، الحمدلله عالسلامة ، انت جبت وانت تربّي .

وبعض المهنئين يأتون بالهدايا : الارز والسكر والبن او دجاجة او ديك . وبعضهم يهدي ملابس او نقوداً . ويُقدّم للمهنئين المغلي .

وبعضهم يظل يقدّم المغلي مدة ٤٠ يوماً . بعدها يرفع عنه العتب اذا قال قائل : « ما اكلنا حلوينة الصبي » .

زينة الطفل :

فراش الطفل سريره (راجع الرسم ص١٨٠ .) يعلّق على السرير ما يردّ عنه العين الشريرة : خرزة زرقاء ، عين من زجاج زرقاء ، صليب ، حجب او تعاويذ ، قرون الحية . ولا يهزون السرير وهو فارغ ، فانهم يتطيّرون من ذلك كثيراً .

يُلبس الطفل ثوباً ابيض فضفاضاً ويُلفّ وسطه بزنار صوف ويوضع في سريره مستلقياً على ظهره ويقمّط بالكافولية (وهي رباط طويل يشدّ به الطفل الى سريره ، بما في ذلك يديه) فلا يستطيع الحركة . انما تتحرك رجلاه قليلاً ورأسه قليلاً . وهي عادة شائعة للآن وقديمة راجع حزقيال ١٦ : ٤ « . . . ولم تقمطي تقميطاً » . والعجائز يلمن الجيل الجديد على التخلي عن عادة التقميط . واكثر اقفية رؤوس اللبنانيين الذين نشأوا هذه النشأة مفلطحة .

تستمرّ الداية في زياراتها لوالدي الطفل مدة من الزمن لتعلم الامّ ، ولاسيما اذا كان الطفل ولدها الاول ، فنّ تربية الطفل وتنشئته في الشهور الاولى .

في اليوم السابع تُقطع السرّة التي تكون قد جفّت . تُؤخذ السرّة وتُعلّق فوق عتبة البيت تيمناً ان ينشأ الولد لصيقاً ببيته ملازماً لاهله فلا يهجر البيت ولا ينشأ مبذّراً خليعاً . تعليق السرة فوق عتبة الباب يبقي الولد ضمن الحظيرة . وتعلّم الداية الام ان تحنّي طفلها وتملّحه وتحنكه وتطيّمه . اما تحنية الطفل فتكون بفرك جسده بمسحوق ورق الريحان . ويدق الريحان قبل ان يولد ، ويساعد الجيران في ذلك (وقد ذكرنا هذا سابقاً) . وعندهم ان الريحان يطيّب رائحة الجسد فلا تنبعث

منه في الكبر رائحة كريهة . والى جانب هذا فان ريحنة الجسم تكسبه مناعة وقوة . وتمليح الطفل ان يُفرَك جسده بقليل من ملح الطعام الناعم وفائدته كفائدة الريحان : اكساب الجسم مناعة وقوة . اما تحنيك الطفل فهو ادخال السبّابة الى اقصى الحلق وتمسيد اللوزتين اعتقاداً منهم ان هذا يمنع التهاب اللوزتين (ويسمونها بنات الذينين) ويمنع التهاب الحنجرة . اما التطبيع فاخذ اطراف الولد ، اليدين والرجلين والراس ، بعد الحمام وتليينها ولويها وتحريكها الى الامام والى الوراء والى الجانبين اعتقاداً منهم ان هذا يقوي العضلات ويعوّض عن شلّ حركة الاطراف اثناء التقميط . وتعتقد الداية ان التطبيع يكسب المفاصل ليونة ومرونة وقوة في الوقت ذاته .

وفي اليوم الاربعين للولادة يخرجون بالام الى الكنيسة ، وقد ترافقها الداية ، ويذهب معها جمهور من الاهل والاصحاب . وخروج الام لاول مرّة بعد الولادة حدث قد يولمون له . واذا عادوا من الكنيسة جاء الاهلون لتهنئة الوالدين .

اما الخروج بالطفل لاوّل مرة فله تقليد خاص . تخرج به خالته العذراء ، اذا كان عنده خالة عذراء ، مركبةً اياه على كتفها ، او اذا لم يكن عنده خالة فعمة . وقد يُخرج به راكباً على ظهر فرس ويركب وراءه من يتعهده . ويضعون في كفه شيئاً من الملح .

عماد الطفل :

العماد من اسرار الكنيسة المقدّسة . والمسيحيون يعتقدون ان المرء لا يكون مسيحياً الا بعد سر العمادة . وعمادة الصبي من المناسبات المفرحة في القرية . وهو شبه عيد يُقرَع فيه الجرس فرحاً وابتهاجاً ، ويرسلون من يدعو الاهل والاقارب الى حضور العمادة ، ويولمون ويدعون الى الوليمة .

اما عمادة البنت فعلى شيء من البساطة . لا يولمون ولا يتحملون نفقات . يعمّد الطفل في سنته الاولى ، واحياناً ، لسبب ما ، تزيد المدة عن السنة فيضطرب الاهل ولاسيا اذا اصابه مرض . فانهم يعزون كل مكروه يصيب الطفل قبل العماد الى تأخرهم عن ممارسة هذا السرّ المقدس .

يُعمَّد الاولاد نهار الاحد بعد القداس . يحضر الاهلون ومعهم عراب الطفل او عرّاباه[١] . ولفظة العرّاب سريانية (ܥܪܒܐ) ومعناها الكفيل . ويسمون المكفول فليون وهي لفظة من اصل ايطالي figliuolo . بعد العمادة يعودون الى بيت العراب لان التقليد يقضي ان يولم العراب لاهل الولد وللاصدقاء . وعلاوة على هذا فانه ينقّط الطفل بثياب او بنقود او بالارز والسكر والبن .

ومن معتقداتهم ان الطفل اذا بكى في معموديته كان بكاؤه خيراً ، واذا سكت تشاءموا فتقرصه امه او المرافقة لها لكي يبكي .

الرضاعة :

يعتقدون ان من « يشبع من حليب امه » يكون رجلاً قوياً شجاعاً لا يصيبه مرض . ويعنون بقولهم « شبع من حليب امه » او « شبعان من حليب امه » - وهو مثل من امثال العامة - انه رضع مدة طويلة : سنتين واكثر . وتحرص الام ان تجود بحليبها لابنها اطول مدة ممكنة لا سيا للصبيان . اما البنت فلا ترضعها امها طويلاً لانهم يعتقدون انها اذا رضعت اكثر من سنة واحدة نشأت قوية عنيدة شرسة شديدة المراس ، وهي صفات غير مستحبة في البنت . واذا طالت

---

(١) كثيراً ما يكون العرّاب واحداً لكل اطفال العائلة ، وعليه قولهم : الي بشيل الواحد بشيل البقية . واذا صدف انهم سألوا رجلاً آخر ليكون عراب طفل من اطفالهم استأذنوا الاوّل .

مدة الرضاعة صعب على الإم فطام ابنها بيسر فتلجأ الى اساليب تنفره من تناول ثديها : تدهنه بالمر او الحرّيف او بالدبق ، وقد يبعدون الطفل الى بيت جدّه . ويجب الملاحظة ان حرصهم على اطالة زمن الرضاعة يناقض زعمهم ان «حليب الغيل يهدّ الحيل» اي ان يرضع الولد من حليب امه الحامل ، وكثيراً ما ترضع الام وهي حامل .

تسمية الطفل :

المولود الذكر الاول يأخذ اسم جدّه حفاظاً لذكره في العائلة . وهذه قاعدة متّبعة قلّ من يشذ عنها بين اللبنانيين . حتى انهم يعيبون الرجل الذي لا يسمي ابنه على اسم جدّه ويتهمونه بالتمدّن الزائف . ويسمون هذا التمدن «فرنجة» . ولكن هنالك حالات يُخرَج فيها على هذا التقليد : (١ً) اذا كان للرجل كنية قبل زواجه فانه يسمي ابنه البكر باسم الكنية التي اعطيها قبل زواجه . فان المؤلف سمي ابا الرضا قبل ان ولد ابنه البكر الذي سماه رضا . واعطاء الرجل كنية قبل زواجه امرٌ شائع معروف . فمن كان اسمه

الياس يكنى عادة بابي ناصيف
سليم — بو نجيب
ظاهر — بو مراد
جريس — بو عسّاف
حسَن — بو يوسف
داود — بو سليمان .... الخ

(٢ً) اذا سبقه احد اخوته فسمى ابنه البكر باسم الجدّ ، عندئذٍ ترتفع عنه الملامة ويشعر ان اسم الوالد قد جدّد في البيت . اما اذا مات الولد البكر المسمى على اسم جدّه فانهم يستنكفون من تسمية الولد الذي يليه باسم جده . يعدون ذلك مجلبة للشؤم .

اما في العمادة فان النصارى يعطون المعمّد اسماً من اسماء القديسين او آباء الكنيسة مثل الياس وميخائيل ونقولا .

تقرن التسمية بعاطفة دينية . فان التسمية في اساسها دعاء وتفاؤل وتمنٍّ . فان الاسماء السامية في اصلها جمل وعبارات فيها دعاء وتمن . ولذلك لا يسمون الاطفال الا بعد تفكير ومشاورة . احياناً يعقدون مجمعاً عائلياً يتداولون فيه الامر .

ومن العادات الشائعة في التسمية انهم يسمون الطفل احياناً بحادثة ، فان الاسماء التالية تدل على ان الولادة وقعت في ايام معيّنة تاريخية او كنسية :

صوما : لمن ولد في صيام
عيد : لمن ولد في عيد
بشارة : لمن ولد في عيد البشارة
ميلاد او فادي : لمن ولد في يوم عيد الميلاد

وقس على هذا : شعنا او شعنينة (وكان عندنا خادمة بهذا الاسم) حرب ، صلح ، لعازر ، تليجة (اسم فتاة ولدت في عاصفة ثلجية شديدة) نور (سبت النور)

ومن عاداتهم ان يسموا البنت الرابعة او الخامسة وما فوق منتهى او كفا او تمام فكأنهم يتمنون ان تكون البنت المولودة الاخيرة .

ومن عاداتهم ، اذا مات لهم اطفال ، ان يسموا الذين يولدون لهم باسماء ترد عنهم الموت مثل يعيش ويموت (لانهم يعتقدون ان العكس يحدث في احوال كهذه) او قد يطلقون عليهم اسماء حيوانات شديدة شرسة قوية : اسد ، نمر ، فهد ، ذيب ، سبع ، عقاب .

تنويم الطفل :

تنوّم المرأة طفلها على صوت الغناء . تهزّ السرير له وتغني . واكثر اغانيها صلوات وابتهالات . فيها رقة وفيها حنان . واليك نموذجاً من هذه الاغاني :

نامْ ألله يـا عيني وْعَيْنَك عَزْ من عيني
وْعَيْنك عَزّ من فارس وْفارس بأوّل الخيل

يـلا ينـام ابني يـلا ينام لاذْبَح لُو الوزّة وطيرِ الحمام
يا حمامـات لا تخـافوا عَمْ إضحك عَ إبنى تَ ينام

وَنْ كِنتِ يا بِشن بُرِنّ
كنت بقشقش وبحطّب وبْدِقّ البِنّ
كِنْت بْسَلّك دولابي عَالبَوّابة
مارق عسكر عزّابي
وْإبني والكلّ .

حلّـلا وهلّـلا سَمْنة وْسُكّر بالجرّة
مْناكل نحنا والبُوبُو ومِنْشِحَت (نونو، زوزو، خيو ...)[1] لبرّا .

نَام ألله يـا عيني وَرْدِ الجوري بجنَيْنِة
دَيْتِ الوَرْدِ يِتْزَرّق وْبِسلّم رضا[2] لعيني

---

(١) هنا تضيف الام اسماً تريده هي .

(٢) رضا اسم ابني ، وقد سمعت جدّته تغني له هذه الاغنية .

عندما تحنّي المرأة طِفلَها تغنّي له :

ناعم ناعم هالريحان	ما أنعم دقّو هالرّيحان
دقّيتو بِدّياتي	وِسقيتو مِن عوَيناتي
ورضا يا رزقاتي	دير الساعة لقدّام

يقبروني دَيّاتو ... بِيبكو علَيّ وْلَيداتو

يا حادي يا مادي	سَلِّم لي عَ وْلادي
كسِّر جوز واطعمهن	وْلَفلِفْهن بالمْبادي

يا حادي واحدِي بالليل	ويا عِربان شِدّوا عَ الخيل
وان كنتُوا إبني معكن	الله يوَصّلكن بالخير
وان كنتُوا ابني مِش معكن	الله لا يقشّعكن خير

دَحرِج دحرج يا فولي	بعرُس خالي هَنّوني
جابوا لِلْعروس فُسطان	يا ذِلّي ما جابولي

نيّمتك عَ ايدَيّ (نيّمتك بالعِلّيّة) وخفت عليك من الحيّة
هِزّي لو يا مْرَة خيّي ... بَلكي ع صوتك بنام

نيّمتو عَ سرير حَديد	خِفت عليه من العبيد
هِزّي لو يا إمّ شديد	بَلكي ع صوتك بنام

نام أأ أوّ يا عيني	ويا حبقة جوّا جنينة
دَبّت الحبق يتزرّق	وِتسلم هدى[1] لعيني

---

(١) هدى اسم بنتي الكبرى .

مَيّة مَيّة[١] حِنْدَقْة — زبيبا أشقر و مْنقّى
الّي بحبّا حبّيتو — والّي بَغْضِك شو ترقّى ؟

نام نام يا نوّام (يا غنّام) — عِنّا زْغَيّر بدّو ينام
نيّمتو بالمَرْجوحة — خِفت علَيْه من الشوحة
هِزّي له يا شرشوحه — بلكي ع صوتك بنام

نيّمتو ما كان ينام — نيّمتو بِسرير جْديد
خِفت عليه من العبيد — هِزّي له يا مَرْة شديد
بلكي عا صوتك بنام[٢]

نيّمتو ما كان ينام — نيمتو بسرير نحاس
خفت عليه من البُوفاس — هِزّي لو يا ام الياس
بلكي ع صوتك بنام

حو حو يا بردي — قشْقُوشة حطب ما عندي
عِندي بنت زْغَيرُورة — بِندق لها الطنبورة
راحت لتعبّي الجرّة — وَقعت كسرت منخورا

يا بنّوتة ويا بنّوت — يا حلاوة من بيروت
بيّك اكرم من باشا — واِمّك ع اللقمة بتموت[٣]

يا حبيبي يا حبيب — شو طالع ع السّطح تجيب
لا عِندك لوز محمّص — ولا ساطح ع السّطح زبيب

---

(١) ميّة اسم ابنتي الصغيرة ، وهي اغنية كانت تغنيها لها عمتها . وقد يوضع محلّ اسم ميّة اسم طفل او طفلة اخرى .

(٢) وقد اثبتنا هذه الاغنية مرّة اخرى لانها تختلف قليلاً عن التي ذكرناها ص١٩١

(٣) هذه اغنية تغنيها الحما للطفلة وفيها تعريض بالكنة !

يـا حبيب الحبتين — يـا زغير الصرتين
إنت يا مسلي بيك — ببلاد الغربتين

دخلك دخلك دخلينك — ودخل الخلقو من جبلك
كلن راحوا ع الكتاب — ما حدا مقصر غيرك

يا رضا كبار كبار — غنمات بيك تلتوا الدار
بيك ما فيه يعاملهن — بيك رجال إختيار

دخلك دخلك دخلك بس — مية نعنع بين الخس
والي قلبا بيوجعها — بشمها شمة ويقول بس

هـا هـا وهالينا — دستك لكنك عيرينا
لنغسل تياب (فلان) — وننشرهن ع الياسمينا

كبة كبيبة ها القدي — (لفـلان) ليتغدي
كبة كبيبة كبوها — وحصة إبني خبوها

نام الله يـا عيـني — وابني يـا عنب زيني
نم ونمنـا بالمنـام — لا ذبح لك طير الحمام
طير الحمـام لا تخاف — إبني معطى باللحاف

عمى يكبر ونربيه — حتى امو تفرح فيه
ع مدرستو بتوديه — بتوصي المعلم فيـه
بيتعلم علم الحساب — أشطر من كل الشباب

يلاّ ينـــام ابني لهزّلو ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وتسبع عمار طلبتلو
وسبع عمـــار لبيّو ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ بحيث انّو حبيب امّو

يا جمّـــال ويا عمّي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ما بريدك بريد امي
بريـــد امّي ترضعني ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ تحطّ الـــبزّ في تمّي

يـــلاّ ينـــام ابني ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ يـــلاّ يجيبـــه النوم
يـــلاّ يحبّ الصـــلا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ يـــلاّ يحبّ الصوم
يـــلاّ تجيه العوافي ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ كل يوم بيـــوم

يلاّ ، يلاّ ، يا دايم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ تحفظ عبـــدك النايم
تحفظ عبدك وتجيرو ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وتخلّيـــه نايم بسريرو

السنينيّة :

السنينية قمح مسلوق يضاف اليـــه السكر وماء الزهر ومختلف « القلوبات » (الصنوبر والجوز واللوز والفستق الحلبي .) يقدّم للمهنئين عند ظهور اسنان الطفل ، فان ظهور اسنان الطفل فرحة عند الاهل . واذا تأخر ظهور الاسنان علقوا له في عنقه اسنان خلد يربطونها بخيط . واذا ظهر سنه غنوا له :

طلع سنّو ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فرحت إمو
زعل بيّو ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ عالخـــبزات

واذا بدأ الولد بالتفريم علّموه ان يأخذ السنّ بيده ويقول :

« يا شمس الشموسة خذي سنّ الحمار واعطيني سنّ الغزال ! »

ثم يرمي بالسنّ الى الخارج . واذا ارادوا تقوية اسنان الولد طلبوا اليه ان يعضّ حديد شباك الكنيسة او الدير .

لغة الطفل :

وللطفل لغة خاصة يعلمونها اياه عندما يبدأ بالكلام . وقد وجدنا انها مشتركة بين كثير من القرى المتباعدة في لبنان ، وهي حرية بالتسجيل .

الاب : أبّا (وهي اللفظة السريانية الاصلية للأب)
الام : أمّا ، مَمّا
الطعام وكل ما يؤكل : نن ، ننّي
الشرب : إنبُو
النوم : قوقو ، كوكو ، أأأو
المشي : دادي دادي
النزهة والخروج الى الخارج : تِشّ
الغنج : إنْ كُنغ
السكوت : دُو
الوجع : وَاوَا
الجميل : دَحْ
القبيح : كُخ
نفاد الشيء وعدم وجوده : بَحْ
الهرة : نونو
الكلب : هَبْ هَب
الخروف والبقرة : مع
الضرب والقصاص والتهديد : دِدِّة
التخويف : بعبع ، أو أو ، همّ

واذا كبر فانهم يخيفونه بالجن والغول وبأبو همندر ، ابو زنبيلة ، شيخ التبن او التبّان ، شيخ البير .

القرينة :

كما ان لكل انسان ملاكاً حارساً يقيه ويحفظه كذلك للانسان عدو خفيّ يرعبه ويؤذيه ويسبّب له الاسقام . وهذه القوة العاملة على

الشر يسمونها جنّية او عفريتاً او قرينة . والقرينة روح شريرة تظهر ليلاً على الاطفال والاولاد فتسبب لهم الرعب والخوف فيفيقون وهم يرتجفون. او قد يصرخ الواحد منهم وهو نائم، صراخ الخوف، وقد يقوم الولد ويمشي وهو نائم، او قد يصاب بنوبة تشنّج، او قد يتقلّب في فراشه تقلّب موجوع، جميع هذه الاعراض التي تلمّ بالاطفال تعلّل انها من اثر القرينة . واحياناً يؤكدون لك ان الطفل يقوم صباحاً من نومه واثر الحناء في كفه . يقولون ان القرينة حنّته .

تداوى القرينة بالرّقى والاحجبة او بإلباس الطفل كأس الرجفة او الرعدة (وقد وصفه وصفاً مسهباً الدكتور توفيق كنعان في بحثه عن الفولكلور الفلسطيني[١]) او بامرار الكأس المقدس من فوق رأسه (او ملامسته له) اثناء القداس نهار الاحد . ومن المناظر المألوفة ان ترى امهات في الكنائس نهار الاحد حاملات اطفالهن منتظرات مرور الكأس المقدّس للمسه او لامرار الطفل من تحته . والكاهن يلحظ هذا ويعرف ان الطفل مصاب بسوء فيتعهد الصغار بالكأس المقدّس . وقد يضعون تحت مخدة الطفل سكيناً (اخافة للقرينة) وقد يضيئون شمعة فوق رأسه على اسم العذراء او على اسم قديس آخر، وقد يضيئون سرجاً في الكنيسة او سرجاً يضعونها في المقابر . وقد ينذر الطفل بان يلبس ثوب الراهب مدة من الزمن او بالامتناع عن قصّ شعره او اظافره مدة من الزمن . واحياناً قبل ان ينام الولد يبخّر بالبخور ويقرأ فوق رأسه مزمور او فصل من الانجيل .

واذا نذروه لقديس فان وفاء النذر يكون في كنيسة القديس او في الدير المسمى باسمه . فلا يقصّ شعره - اذا كان النذر ابقاء الشعر دون قص - الاّ في كنيسة القديس، وكذلك اظافره، وعند قصّ الاظافر يوضع في كفّ الولد قطعة من ذهب لكي لا يفارق الذهب يده .

---

(١) Dr. T. Canaan : Folklore of Palestine, « Tasit er-Radjfeh » Palestine Oriental Society.

الفصل التاسع

الموت والدفن

يُعرَف المأتم في القرية بالعَزِي[١] . يقولون « في عَزِي اليوم ، واليوم عَزِي فلان » . ويشيرون كذلك الى يوم الموت بقولهم : « دفن » واليوم في « دفن » ويسمونه ايضاً « أجر » ويشتقون منه فعلاً : « آجر » اي حضر المأتم واشترك في تشييع الجنازة . ويوم الموت في القرية يوم بطالة عن العمل ، ويسمون انقطاعهم عن العمل واجباً . يقولون « عنّا واجب » اي دفن او عزي . وفي ثنايا هذه المصطلحات ما ينمّ عن روح المشاركة والتعاون الصادق . ويوم الدفن يوم تصافٍ وتناسٍ للاحقاد والخصومات . في حضرة الموت تتلاشى الامور التي تفرّق اهل القرية الى اخصام واعداء ، فانهم جميعاً يشتركون في العزي . ومهما بلغت العداوة بين اثنين من الشدة ، ومهما طال عليها الزمن ، فان العزي في القرية يجمع بينهما ، وكثيراً ما يكون الموت سببا في مصالحة اثنين او عائلتين ، وبطريقة عفوية طبيعية . فـــان الفريقين المتخاصمين بحضورهم المأتم وبتقديمهم التعازي وبتقبّل الفريق الثاني التعازي يشعران ان الخصام قد انتهى وان العداء قد زال .

قبيل الوفاة :

اذا دخل المريض في دور الاحتضار ، وكان نصرانياً ، احضروا الكاهن ليعرّفه اذا كان واعياً يستطيع التكلّم ، ويقرّبه او يناوله اذا كان يستطيع ان يتناول القربان ، ويمسحه بالزيت ويصلّي لاجل خلاصه وغفران خطاياه .

---

(١) وبعضهم يقول عزا

واذا كان غير معمّد فانهم يحرصون على ان يُعَمّد لانه اذا مات غير مُعمّد فهو غير مسيحي . وعند الدروز اذا كان المحتضر لم يوص بعد فانهم يطلبون اليه ان يكتب وصيته اذا كان لا يزال يحتفظ بعد بوعيه وسلامة عقله .

يُسْمَع لاهل الميت واقاربه الحاضرين في بيت الموت صراخ عند حصول الوفاة فيعرف اهل الحيّ ان قد مات احد الناس . فيذهب احدهم حالاً الى جرس الكنيسة ويقرع الجرس دقات متقطعة ، وقد اصبحت هذه الدقات المتقطعة معروفة انها « دقات حزن » فمن لم يسمع الصراخ يعلم بالموت من دقات الجرس دقة حزن . ومن يسمع يرسم علامة الصليب ويقول : باسم الآب والابن والروح القدس .

النعوة :

يخرج اهل الميت خارج غرفة الموت – لانهم يظلون حول الميت حتى خروج الروح – فتبدأ النساء بغسل الميت والباسه احسن ثيابه . والشيوخ والعجائز يهيئون في حياتهم « بدلة الموت » . ثم يسجّى الميت على فراش ورأسه ناحية الشرق . ثم ترسل « المناعي[1] » الى الجيرة[2] والى القرى التي للميت فيها اقارب او اصدقاء . ترسل المناعي بواسطة رجل او رجلين يرسل او يرسلان الى كل قرية يريدون ان ينعوها . يذهب الناعي الى بيت الشيخ او المختار ويقول : « تبقى حياتكم . مات فلان ابن فلان والدفن اليوم . . . الساعة . . . . يبقالكن من بعده طول العمر » .

وان المرء ليعجب من حرص اهل القرى المجاورة على ان يمثّلوا يوم الدفن . يقولون « بيمسكو معهن واجب » والمنعيون يعلمون ان حضور المآتم « قرضة ووفا » فاذا ذهب منهم وفد اتى غداً او بعد

---

(١) النعوة
(٢) القرى المجاورة

غد ، عندما يموت ميت في قريتهم ، وفد لحضور مأتمهم . وقديماً كانوا يرسلون المناعي الى جميع القرى المجاورة سواء اكان الميت رجلا او امرأة ، من علية القوم او من عامتهم . وكثيراً ما يكون المأتم يوماً مشهوداً . وان المؤلف ليذكر وهو بعد طفل مأتم رجل درزي شيخ تقيّ زاهد عندما اجتمع في القرية خلق عظيم من معظم قرى المتن الشمالي والاعلى والشوفين . كان ذاك يوماً لا تزال صورته عالقة بذهنه . امّا اليوم فان المناعي اخذت تخف حدتها ، فانهم يقتصرون على الاقرباء في القرى المجاورة وعلى القرى التي « بيمسكوا معها واجب » .

اذا كان الميت وجيهاً وكان ذووه ينتظرون قدوم وفود كثيرة من القرى المجاورة فانهم يسجّون الميت تحت صيوان [1] كبير ينصب في طرف من الساحة او في دار الكنيسة او الخلوة . امّا الرجال فيجلسون في علية فسيحة حيث يتقبلون تعازي الوفود ويجلس الباقون في الساحة او في دار الكنيسة او في فسحة اخرى قريبة من بيت الميت . اما الوفود المتعبّة فانهم ينتظرون خارج العلية او الساحة برهة الى ان يأتي كل فرد من افراد الوفد . ثم ينتظمون صفاً او نصف دائرة ويقدّمون التعزية جميعاً بصوت واحد يتقدّمهم كبير السن . وها نحن ندرج مثالاً على العبارات التي يتبادلها المعزّون مع اهل الميت ، مع العلم ان هنالك تفاوتاً وتبايناً طفيفاً بين ما يقوله وفد ووفد آخر :

المعزُّون — صبحكن بالخير يا مشايخ
اهل الميت — صبحكن بالخير
المعزون — خاطرنا عندكن ، العِوض بسلامتكن
اهل الميت — يعزّينا بسلامتكن وطُول عمركن
المعزون — بِالعزِّةْ علينا كثير
اهل الميت — يخلّي من تعزّوا ، الله لا يشوّفكن مكروه
المعزون — مشاركينكن بالخسارة

(١) خيمة كبيرة ويسمّونها ايضاً سِترَة

اهل الميت – ان شاء الله ما بتفقدوا غالي
المعزون – الله يرحمو ويبقيكن
اهل الميت – تعيشوا وترحموا[1]

التعداد والندب :

والتعداد ذكر اقوال فيها تفجّع وفيها تعداد مناقب الفقيد. وتنحصر في ذوي الميت من الرجال والنساء. يعدّد الميت اولا ذووه واقاربه القادمون من مكان بعيد. عند وصولهم بيت الميت يدخلون الى غرفة الميت اولاً ويعددونه ثم يخرجون الى حيث يجلس الرجال فيأخذون بالخاطر. ثانياً يعدد الميت اهله الاقربون. يتركون مجلسهم فترة بعد فترة (نصف ساعة او ساعة) ويدخلون الغرفة التي فيها سجّوا الميت ويعددونه باكين بصوت عال. لا يشترك معهم في هذا الواجب الا الاقربون الاقربون (الاب ، الجدّ ، الاخوة ، العم ، وابناء العم ، ...)

وليس للتعداد وزن كما للندب ، وليس له نغم خاص كما للندب . يدخل المعدّد فيرفع صوته بالبكاء قائلاً (مثلاً) : « يا شوقنا ليك يا بيّ ، يا ذلنا ويا حسرتنا من بعدك يا بيّ . يا كامل الشمايل وبيّ الارامل ..... » وهذا لا يمنع ان يكون في التعداد شيء من صناعة النظم او حسن الانشاء انما تعداد القرويين ساذج بسيط بريء تكثر فيه المباهاة والمبالغات التي يبسم لها بعض الحضور . فقد يكون الفقيد بخيلاً في حياته حريصاً لم يتصدق بغرش من ماله للفقراء . فاذا عددوه قالوا : « يا بيّ اليتامى ويا طاعم الفقرا ومِلَبِّس العرايا ! » .

اما الندب فعلى نوعين ندب للنساء وندب للرجال . والنساء تندب الميت وهن حول الميت . وفي كل قرية ندّابة او ندّابات يحفظن كثيراً من الندب او احياناً ينظمن الندب هن انفسهن[2]. ويجب ان يكون صوت الندّابة رخيماً عذباً . ونغم الندب في لبنان القديم واحد .

(١) هذه الاخيرة درزية ، لان الدرزي يحرص ان يترحّم عليه الاجاويد يوم موته
(٢) وفي آخر الفصل سنثبت نماذج من ندب النساء والرجال .

وكذلك لكل قرية ندّاب او ندّابون من الذين أوتوا هبة الصوت والقدرة على النظم . يندب الرجالُ خارج البيت في الساحة . ويكون عدد المشتركين في الندب قليلاً من ١٠ – ٢٠ – ٣٠ يتقدمهم في الصف الاول الندّاب . يندبون وهم يتمشون في الساحة ذهاباً واياباً وليس جلوساً كالنساء . ونغم ندب الرجال يختلف عن نغم ندب النساء . اما الباقون من المشتركين في الندب فانهم يرددون قراراً واحداً . واحياناً يحملون صورة الميت (اذا كان رجلاً فقط) ويحلونها بالشرائط او بالزهر . يحملها طفل يتقدّم النادبين . واذا كان الميت من علية القوم اشترك في الندب اكثر من حلقة واحدة . فان القرية المنعية تشترك ايضاً وتنظّم حلقة برئاسة ندّاب القرية ، واحياناً يرى المرء في الساحة ، في المآتم الكبيرة ، اكثر من عشر حلقات تندب معاً ذهاباً واياباً فيختلط على الناس فهم الندب او متابعته الا اذا حصر انتباهه في حلقة واحدة .

اذا كان الميت شيخاً درزياً تقياً ورعاً ندب له الرجال قصيدة البردة او البرأة للبوصيري :

أمن تذكّر جيران بذي سَلم   مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وكانوا قديماً يسرجون فرس الميت اذا كان شاباً او اميراً او مقدّماً او زعيماً ويضعون على السرج سلاحه وبعض ملابسه . ويسمون هذا « قلم الخيل » ويذكر المؤلف وهو طفل انه رأى في ساحة القرية فرساً مسرجة وعليها سلاح وثياب تذهب وتجيء امام النادبين . ولكن هذه العادة اخذت بالتلاشي . واحياناً كثيرة اذا كان الميت شاباً وغير متزوّج حرصوا ان يكون مأتمه تشبيهاً لعرسه في الندب . وعند تشييع الجثمان الى المدفن يحمل على الاكفّ في تابوت مكشوف مجلّل بالزهر . واحياناً تشترك النوبة[١]

---

(١) النوبة قطع موسيقية مختلفة من نوع المزمار والناي والصنج والطبل . والنوبة اما خاصة (وهو القليل) او عامة تملكها القرية . وليس لدى جميع القرى نوبة بل ان النوبة من نصيب القرى الغنية الكبيرة التي على شيء من اليسار . والنوبة في القرية موضع فخار واعتزاز . فانهم يؤلفون فرقة او جوقة تتمرّن على العزف . وتخرج النوبة في الافراح والمآتم . ويفخر العريس اذا « دقوا له النوبة » ويتعزّى اهل الميت اذا اشتركت النوبة في مأتمه .

في المأتم واذا اشتركت النوبة في المأتم كان اشتراكها دليلاً على مقام الميت .

الحمل :

وهذا المصطلح مأخوذ من قولهم « بيحملوا عن اهل الميّت » اي انهم يتحمّلون ما يجب القيام به من اطعام المعزّين الوافدين من الخارج ، ويخففون عن كواهل اهل الميت مشقة تحضير الطعام . فتجد ان اهل الميت في القرى لا يطبخون ولا يدعون المعزين الى طعام (الا اذا الحّ اهل الميت وكانوا من ذوي اليسار والمكانة ، فانهم في هذه الحالة يهيئون طعاماً فاخراً) بل يقوم بهذا الواجب اهل القرية . فاذا اتى وقت طعام الظهر (اذا كان الدفن بعد الظهر) تقدّم وجوه القرية من وفود المعزّين داعين اياهم لتناول الغداء . وتراهم يتسابقون الى دعوة هذا وذاك . فيصطحب احدهم الى بيته ضيفين او ثلاثة او اكثر . وبعد الغداء يعودون الى المأتم .

الجناز او الصلاة على الميت :

يُنقل الميت عند النصارى الى الكنيسة ويصلّى عليه في الكنيسة . ثم يحملونه الى المقبرة ولا تذهب النساء الى المقبرة . اما الدروز فانهم يصلون على الميت عند المقبرة . يحملون الميت فيمشي وراءه الرجال مرددين لا اله الا الله . ولا ترافق النساء الميت الى المدافن . يوضع الميت في باحة المقبرة ويتقدّم شيخ يحسن التجويد ويصلّي عليه مرتّلاً :

ان الله وملائكته يصلون على النبي ، يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليماً . اللهم صلّ وسلّم على اشرف الامم ، سيّد العرب والعجم ، وامام مكة وزمزم والمدينة والحرم ، سيّد الانام ومصباح الظلام وخاتم الانبياء والرسل الكرام نبيّنا محمد . اللهم زده كرماً

وشرفاً ومهابة واجلالاً وتعظيماً ، رضي الله تبارك وتعالى عن سادتنا اصحاب رسل الله اجمعين .

رحم الله من نظر فاعتبر ، وامر فأتمر وزجر فازدجر ، ومثل هذا الحق المبين انتظر . انتذروا واعتبروا يا اولي الالباب . الحكم لله الواحد الوهّاب . معكم جنازة رجل مسلم من اهل التوحيد والايمان ومن سلالة المشايخ الاتقياء الاعيان ، مندرج بالوفاة الى رحمة الله الملك الدّيان ، تغمّده الله بالرحمة والرضوان واسكنه فسيح الجنان ، رحمه الله » . فاذا كان من الذين يستحقون الرحمة دوى المكان بترديد : « الله يرحمو ! » .

وقد تتلى آيات قرآنية اخرى ادرجت في كرّاس اصدرته مشيخة العقل عنوانه « طقوس الموحدين ، الصداق والوصية وصلاة الجنازة » ١٩٥٠ (مطبعة الاتحاد ، بيروت) . وبعد الانتهاء من تلاوة الآيات القرآنية تجويداً ينتظم الاجاويد العقال في حلقة صغيرة ويتلون صلاة يحتفظون بها سراً .

الرحمة عند الدروز :

يحرص الدرزي في حياته ان يترحم في مماته ، اي ان يردّد الناس عند جنازته « الله يرحمو » . وللرحمة عند الدروز مقام عظيم في نفوسهم ، ولها اثر بعيد الغور في تصرّفهم وسلوكهم . يتذكر الدرزي ان السارق والزاني والمعتدي والخاصم وشارب الخمرة والمدّخن والمتفرنج لا يَترَحم عليه المشايخ . والرحمة هي ترحم المشايخ العقال (وتتبعهم العامة من الناس) على الميت وذلك بترديد عبارة « الله يرحمو » ثلاث مرات عند ما يذكر المصلي ، وهو يقرأ صلاة الجنازة ، عبارة « رحمه الله » . ولا اعتبار عندهم للرحمة اذا لم يقلها المشايخ الاجاويد العقال ، فان ذلك ، الى جانب مغزاها الديني ، شهادة من قبلهم في حق الميت واخلاقه ومكانته . ولكن اسيء اخيراً استعمال هذا التقليد الجميل فصارت العامة

تردّد عبارة « الله يرحمو » ثلاث مرات لمن لا يستحقها اي لمن كانت تصرفاته واخلاقه في حياته شائنة لا تتفق مع التقليد الدرزي الذي يحرص على الزهد والورع والتقشف وحسن السلوك . ولذلك نجد في الكراس المشار اليه توصية بان يُكتفى برحمة واحدة للجميع وفي هذا مخالفة مستحدثة لتقليد درزي قديم جميل .

الدفن :

يدفن الميت في مقبرة يسمونها خشخاشة وهي غرفة مرتفعة قليلاً عن سطح الارض يضعون فيها التابوت . واذا لم يستطيعوا دفنه في الخشخاشة (كأن يكونوا قد دفنوا فيها ميتاً منذ عهد قريب) دفنوه في التراب . وكذلك الامر عند النصارى . والدروز يوقدون سراجاً احياناً ويضعونه في فجوة في جدار الخشخاشة نذراً او اكراماً .

وبعد مواراة الميت التراب يقف اهل الفقيد صفاً في باحة المقبرة فيتقبلون تعازي الوفود اولاً ثم اهل القرية . ثم يعود اهل الفقيد الى بيت الفقيد يرافقهم الاقربون . وقد يقضون معظم الليل الاول عندهم مواساة وتعزية .

ندب للرجال :

قوم يا عنتر زمانك
طالب البيدا حصانك
كل صاحب راي[1] يمرق
تحتْ فيّةْ خيزرانك

---

(١) او راية

مَرْقِت رْجالِ الوَقيعَة
تَحْتِ الرايات الرفيعة
مِدّتْو طِلْعِت سريعة
والدَّهر خَوّان خانك

ندب في صبية :

إنفتح سوق المنايا
وِانْفَقَد صِرْبة صبايا
متل توّا في سرايا
يا عروس طالبينك
والصبايا عايزينك
بالميازين زاينينك
سِتّ ع كلّ الصبايا

دموعكم لا تِحْجبوها — مْن المَحاجر إسكبوها
واتركو الزهرة اللطيفة — الباكيةِ تْوَدّع ابوها

غيبتك غَيْبِة طويلة — ضاج حِكْم العَبْد منا
قلوبنا صارت ذليلة — بَسّ وِجّك غاب عنّا
يا دموع العين سيلي — غاب كوكب من وَطَنّا
وما بقا بِالْيَدّ حيلة — الموت ع المَقْتَل طَعَنّا

يا صْحابي وَقّفوني — وْنِصف ساعة اِمْهِلوني
لِيجُوا كل القرايب — وِالحْباب يْوَدّعوني

يا صْحابي اِنْدِبوني — ما بَقَت تِخْتُم جراحي
يا صْحابي اندبوني — ما بْقيتو تِنْظِروني

غراب البين غمّض عيوني وما بقت تعرف صحابي
غراب البين كاسات مرّة سقاني في يدّو المِشرّة
وصحت من كتر المضرّة وما حدا يسمع صياحي

⁂

يا صحابي ودّعوني ما بقيتوا تنظروني
بعد لي بالدّار ساعة ومع المقابر ياخذوني

⁂

بعد لي بالدار رمشة ودّعوني قبل ما امشي[1]
بكرة بصير قدّ الكمشة من بعد ما يطمروني

⁂

ودّعوني يا اهالي عن قريب بصير بالي
ودارنا بيصير خالي والدود بياكل عظامي

⁂

حيف يا بنت الأمارة حيف دثّرت العمارة
ما بقا عقبك بليّة وما بقا عقبك خسارة
ما بقا عقبك بليّة حيف يا شمس المضيّة
تسكني الأرض الوطيّة يا بنت وزير الصدارة[1]
حيث دثّرت الكبارة والعبيد مع الجوارة
ووجهك يضوي كالمنارة ويا ما بكيت أمارة .

---

(١) ذكرنا سابقاً ان منشد الشعر العامي ، مهما كان نوعه ، يقحم او يحذف حركة ، يقصّر الصوت او يمدّه ليستقيم الوزن . ونحن قد سجّلنا هذا الندب على علاته .

الفصل العاشر

عديات واقاصيص للاولاد الصغار

في الفولكلور اللبناني ذخيرة طيبة من اغانٍ واشعار فكهة واقاصيص مسلية مثيرة تغنّيها الام عند السرير او تقصها عليهم وهم مستلقون على الارض جاعلين من ركبتيها مخدّة. ولا يسعنا في مؤلَّف كهذا ان ندوّن جميع ما وصلت اليه ايدينا في هذا الحقل، انما حرصنا ان نقدّم للقارىء نماذج صالحة منها، نماذج وجدنا انها تقريباً مشتركة في قرى المتن والشوف. وقد حرصنا على تدوين القديم منها ولا سيما تلك التي تتمثل فيها الروح القروية البسيطة البعيدة عن الصنعة والتكلّف.

يسمون الشعر القصصي عِدّية. والعِدّية شعر عامي فَكِه يروق للاولاد كثيراً. ويُنشد لهم انشاداً مرفوقاً بنغم. واليك بعضها:

عدية شيخ البسينات:

تعوا نِمْشي نْعِدّ بْيات	عَلى شَيْخ البْسَيْنات[1]
عَ خِبزاتي رَبَّيتو	أكَلْني كِلّ الجْبنات
قِمْت حْمَلْتو وْوَقَّعْتو	وعند القاضي شارَعْتو

طَبْلَع لي اربع فتوات

اول فتوى بْرِزْقاتي	أكَل أغْلَب موناتي
بْيِنْحَسّن بْعَقْلاتي	بْيِنْبُش كِل المخْبايات

(١) لكي يستقيم الوزن يقحم المنشد او الراوي او المغني حركة (كسرة او ضمة او فتحة) كما هو الحال في عجز هذا البيت. (راجع الهامش ص ٢٠٦)

بِينِبْش لِي هَالمَحْلُوبة ... مَطرَح ما بحُطّ الرَّوْبة
بِتْ لقيتا مَقلُوبة ... وْقالِبها أربع قلبات

قالبها عَ دَيْنِيها ... وْطِلع رِكِب عَ ليها
قبشانِية بيكسرها ... بيكسرها اربع شقفات

لا، بيكسرها تنعشر شقفة ... وْبيعمِلا رقصة وزقفة
وْبيجبني نهار الوقفة ... بدّو فرخة من دْجاجات

بدّو فرخة ودجاجة ... والدّعوة ما هي محتاجه
قلّي قُمْ جيب الصّاجة ... بنّا نخبز لزّاقات

بنّا نخبز فطاير ... وْعقلو بالسما طاير
وْأنا بفكاري حاير ... عقلي بمسْمنة الدّهنات

اخذها من قدّامي ... وْقال أحسبها غرامة
بدّو مدّين قضامة ... وْبدّو تلتين التّينات

بدّو هني لعرسو ... تيبقى يجلي درسو
قلتلّو التّينات خلصوا ... قلّي من دينك قم هات

قلي من دينك قم جيب ... مدّ قضامي وْكيل زبيب
من عند خالك حبيب ... مقضيتك هالدّنلتات (...الخ)

طلبت من الطاقة :

عَ الزّرزور غدي منزور
ست سنين وْسبع شهور

حَبّا الله عَ بلاد الشام
فيها الخوخ والرّمان
فيها زقزقة العصفور

طلعت عَ العِلّيّة — لاقيت الشيخ نايم
وخواته مذربة
ظليت لم لم
ت تليت ديّ وجرِيّ

طلّيت من الطاقة — لقيت حَبّالة مارقة
مُحمّلين صواني — أخذت صينيّة
مزوزقة ومجليّة — حطّيتا بالطاقة
إجت عمّتي السرّاقة — سرقتها وراحت
ظلّيت اركض وراها — حتّى زلقت ب ....
...[1] كبشول (طمّول) حنّة — ان شالله بتموت الحما
وربّيتها تسلم ها الكنّة — (او حتى تفرح الكنّة)

يا عسكر :

يا عسكر قُمْ إسكر — وحَبّي لي قالب سكّر
دلّتني ستّي ع البير — وجابت لي شنبر حرير
قلنلا يا ستّي منّين — قالت لي من بيت الْمير
دقّ الكوز بتفّاحة — جننا خيول الرّمّاحة
رمّاحتك يالهندي — ألورد منّو عندي
الورد عند الدرّة — ام خدود المحمرّة
بترخي سالفها غرّة — سبحان ربّ المتجلّي

---

(١) وهنا يذكرون كلمة نابية .

يا حادي ويا مادي :

يَا حادِي ويا مــادي تَلبّي جرَابك زوّادة
أنْ كُنتْ ع بلادي غادي بَلَدي بْلاد الشام
فيهـا الخوخ والرمان فيها سكيكة العصفور
فيها الشيخ بلا طنطور طنطورك على عالّي
غط ع حيط الملاّ شاف الحما بتتفلّى
وقملتهـا هالطّول

يا حادي واحدي لها الورد بمنديلهـا
ويا بيّا وديّ لهـا سبعة من دهبات كبار
تتحطّن بسريرها

يا حادي واحدي دغشة ركب مية[1] ع الجحشة
ركبها وسر فيهـا ودير بالك ترميها
بيعمل لك بيّا بلشة

الاخيار :

يسلم لي ها الأختيار راح ع السوق وجب لي خيار
راح ع السوق تسوّق لي جب لي بدلة تلبق لي
لمن لبستها بارك لي ولمن شلحتنا عقلو طار

حبني :

حبّيني يا ستّ الدار حبّيني وخذي دينار
حبّيني وحبّي البابا وإن حبّيني غيري بغار

---

(١) مية اسم ابنتي الصغيرة

دجاجة طوزة :

دْجَاجِة طَوْزِة
بْرَاسِ الجَوْزة
حْمَار مَرْبُوط
بْحَبْل التُّوت

امين شبلي :

أمين شبلي
مَرْتُو حِبْلي
جَابِت صبي
وْسَمُّوه شبلي
شِبْلي شيطان
بِقَطّع خيطان
خيطان مِن مصيّص
اِرْكع يا خوري
وْصَلّي يا قسّيس

طلع الضو :

طِلْعِ الضّو بِنْزِبْدين
بَانِت حِيطان مْشيخا
في مَرَة عَمْ تُطْبُخ تين
قُوم تْسَمَّع نَفِيخا

ع حساب تينة مخبوصة :

يَلِّي ما عِندو بَابُور
بِيشْتِقْنبلو كَرُّوسَة
بَتْ سَلُّوم لِحْقُوا الدبُّور
عَ حْساب تِينة مَخْبُوصَة

ياستي عرجا عرجا :

يا سِتّي عَرْجا عرجا وَيْنْ مِفْتَاح الطَّبْرُجا
حَطّيتو وَرا الصندوق اِجا خالي سَرَقُو
لَبَّسْني مِن حلقو حَلقو سَقْفِلَة بَقْلِي
حَلقو طَيّرلي عقلي

بنت الملوك :

يـا بِنتِ الْمُلُوكِة جـايين يِخِطْبُوك
عَ دَرْب المـدينـة لا كَعْكَة ولا تِينِة
كَعْكْ الشام غـالي تِسْلَم دَقْن خـالي
خـالي بـالبرّيّة عَمْ يَاكل تَمْرِيّة
قِلْتِلّو طَعْميـني قَلّي سَيْف وْسِكّينة

فريدة وبربارة وهيلانة :

يا فريدة شُو بِتْرِيدي ؟
شِغْل اِيدك تِنْتْنات
يَا بَرْبَارَة لَشْ مِحْتارة ؟
بِالصّحّارة الْلَيْمونات
يَا هيلانة لَشْ حَزْنَانة ؟
بِالخزانة الزَّيتونات .

بنت زغيرة :

كان في بنت زغيرة خلقة ربها
بيتها زغير ع قدها .
كنست بيتها لقيت فيه قرش
اشترت فيه دبس حطتو ع الرف .
اجا البسين كب لها ياه . ضربتو على ذنبو ، قصت لو ذنبو
راحت لعند القاضي وقالت لو يا قاضي : انا بنت زغيرة

قال لها : ربك خلقك
قالت لو : بيتي زغير
قال لها : ع قدك
قالت لو : كنست بيتي
قال لها : تنظفتي
قالت لو : لقيت فيه قرش
قال لها : زنكلتي
قالت لو : اشتريت فيه دبس
قال لها : تحليتي
قالت لو : حطيتو ع الرف
قال لها : تعليتي
قالت لو : اجا البسين كب لي ياه قطشت لو ذنبو
قال لها : حسناً فعلت !

العصفور والغراب :

كان في عصفورة ، بحشت بحشت : تحنوا ايديها
تطلعت بربها : تكحلوا عينيها
راحت لعند المير : عطاها شقة حرير

شافها الغراب قال لها : مْنَلْك و مْنَلْك[١] ؟

قالت لو :

بْحَشْت بْحَشْت	:	تْخَنّوا ايدَيّ
تْطلعت بْرّبي	:	تكحّلوا عينيّ
رُحت لعند المير	:	عَطاني شِقّة حرير

راح الغراب :

بحش بحش	:	تْكَسّروا ايدَيْه
تْطَلّع برّبو	:	تقوّقرُوا عينيه
راح لعند المير	:	دَبّو بالبير

افاصيص للاولاد الصغار :

قبل البدء بقصّ القصة على الاولاد يقدّمون لها مقدّمة يسمونها « فَرْشة » . وللفرشة عِدّيات كثيرة فكهة تروق للاولاد لا يسعنا ذكرها . انما نكتفي بفرشة مشتركة وان بدا فيها هنا وهنالك بعض الاختلاف في الالفاظ :

كان ما كان على قديم الزمان ، اِسّا مْنِحكي وبعد نص ساعة منام ، عن شِكي عن بِكي عن جعفر ابن البرمكي (عن دِبس البعلبكي) عن الدبس اللذيذ الشديد لْ ما بينشال لا بالمغرفة ولا بالايد ولا بمسار حديد الأ بْاصبع سِتّي ام شديد .

اِلْكِذب ما بعرف بِكذُبو بِسْرِج البرغوت وبطلّع بِرْكبو بخوض فيه جوات سبع بحور ما بتغمّو المي لطبّة ركبتو

(١) اي من اين لك ؟

يا طالع على الحيط   يا نازل على الخيط
يا مزّنو بالعصا   ضربني ضربتو
من زِخمي جبت تحتو

وبعد مقدّمات كهذه تبدأ القصة . وقد اخترنا قصتين تمثلان في نظرنا اكثرية القصص التي ُتقص على الاطفال . القصة الاولى من النوع الذي يبدأ بقضية ُتربط بقضية اخرى والاخرى تربط بقضية اخرى ويظلّ القاصّ يربط اجزاء القصة باجزاء متتالية الى ان ينعس الطفل او الى ان يرى القاصّ ان القصة اصبحت طويلة فينهيها عوداً من آخر حلقة الى اول حلقة . وافضل مثال على هذا النوع من القصة ، يمكن تسميتها بالقصة الحلقية (مركبة من حلقات) قصة العنزة والغولة ، واليكها :

قصة العنزة والغولة :

كان لعنزة سبعة جدايا . وكانت تنظف بيتهــا وتكنسه وترضع اولادها وتغسلهم وترتب امورهم . ثم انها تقفل باب دارها وتذهب الى الحقل وتوصي الصغار الا يفتحوا الباب للغولة . وعندما كانت تعود الى البيت كانت تقول لهم :

هِمّ هِمّ يا وليداتي
الحشيش عَ ظهيراتي
والحطب عَ قروناتي
والحليب ِببزيزاتي
افتحوا لي يا وليداتي

فيفتحون لها .

وكان بالقرب غولة تحاول افتراس الصغار ولكنها لم تفلح . واخيراً انصتت الى « العدِّية » التي كانت العنزة تقولها على الباب فتعلّمتها . ومرّة ، اثناء غياب العنزة ، اتت الغولة وردّدت :

هِمّ همّ يـا وليداني
.... الخ .... الخ

فاستغربوا صوتها وقالوا لست امّنا . ولكن الغولة اصرّت على انها امهم . فقالوا لها : « مدّي ذنبتك من طاقة البسينة قرب الباب » . فلمسوها ووجدوها خشنة وليس « حلسة ملسة مثل ذنبة العنزة ! » فلم يفتحوا لها .

ذهبت الغولة الى عند الماشطة وقالت لها :

يـا مـاشطة مَشّطيني
ومشّطـي ذنبـتي
تَنْصير حَلْسة ملسـة
متـل ذنبـة العنزة

فقالت لها الماشطة ليس عندي مشط . اذهبي الى عند العطّار واشتري مشطاً وعودي . فذهبت . قالت له : يا عطّار أعطني مشطاً للماشطة حتى تمشط لي ذنبتي حتى تصير حلسة ملسة متل ذنبة العنزة . فقال لها اعطيني بيضة ثمناً له . فذهبت الى الدجاجة . قالت الدجاجة اريد قمحاً. فذهبت الى الداروس (الذي يدرس الحنطة على البيدر) . قال لها الداروس اذهبي اسقي الفدان من العين . اخذت الفدان الى العين ، فقالت لها العين اريد شتلة حبقة لتفوح رائحتي . قالت الحبقة اريد زبلا من الكلب . قال الكلب اريد زَنْزُولة[1] من التنور . قال التنور اريد حطباً من الحرش . قال الحرش اريد حالوشاً[2] من عند الحدّاد . قال الحدّاد : تعالي انفخي الكور — وهنا عادة تنتهي القصة . فيقول القاصّ : فصنع لها حالوشاً اخذتها الى الحرش فاعطاها الحرش حطباً ،

---

(١) الزنزولة ما يعلق من الرغيف على فخّارة التنور .

(١) الحالوش سيف معقوف (ثلثا دائرة) وله مقبض تُقطع به السنابـل والاغصان والحشيش فهو كالمنجل .

والحطب اخذته للتنور فاعطاها زنزولة للكاب .... الخ الى ان تذهب الى العطار فتدفع ثمن المشط بيضة . تأخذ المشط الى الماشطة وتمشط ذنبتها حتى تصبح «حلسة ملسة مثل ذنبة العنزة» ثم تذهب الى بيت العنزة فتُدخل ذنبتها واذا هـي مثل ذنبة العنزة ، فيفتحون لهـا فتهاجمهم وتأكلهم كلهم .

عادت العنزة الى بيتها فوجدت ان الغولة قد اكلت اولادها . فذهبت وصعدت الى سطح الغولة . فسمعت الغولة حركة على السطح فقالت :

مين عم يدبّك ع سطيحاتي
كسّار فخّارِي
فخّاري ما هو لي
فخّاري لجيراني

اجابت العنزة :

انـــا عنزة عُنوزِيّة
قروني من حـديدية
واللي اكلني وْلبداتي
يلاقيـني ع البريـة

فقبلت الغولة التحدّي وعملت قروناً من عجين وركّبتها على رأسها وذهبت الى البرية حيث التقت بالعنزة . فتناطحتا وتناطحتا فكسرت العنزة قرون الغولة بسهولة ، ثم نطحتها في بطنها فبقرته واخرجت اولادها سالمين وعادت بهم الى البيت . هذه قصة سمعها ويسمعها جميع اطفال لبنان . وهي قصة تسترعي انتباههم الكلّي .

قصة النملة والبرغوث :

وهي قصة لطيفة تروق للاولاد الصغار كثيراً ، واذا سمعها الكبار وجدوا فيها متعة وطرافة سواء أكان ذلك في براعة القصص او في غرابة الكلمات العربية وسجعها وصعوبة تذكّرها بالتسلسل كما سيأتي ذكره.

والطريف في هذه القصة انها لبنانية مشتركة سمعناها في نواح مختلفة من لبنان وفي كل مكان سمعناها كنا نجد انحرافاً وتغييراً طفيفاً ولكن دون ان يتناول هذا الاختلاف صلب القصة . وسنذكر اولا ملخص القصة في الفصحى ثم نعود فنسردها بلغة العامة :

ملخص القصة في الفصحى

تزوجت القملة برغوثاً . ذهبا مرّة ليخبزا فوقع رغيف في التنور . فقالت القملة للبرغوث : انزل لمّ الرغيف . فقفز الى النار ومات . حزنت القملة كثيراً وجلست تبكي فمرّ بها غراب وسألها عن سبب بكائها . وعندما علم بالخبر حزن وذهب الى نخلة ونتف ريشه حزناً . فسألته النخلة ما بالك فقال : حزناً على قملة تنتحب على برغوث مات حرقاً في التنور . فحزنت النخلة كثيراً وتناثرت اغصانها . فمرّ الذئب الذي كان يتفيأ تحت اغصانها وسألها : ما بالك جرداء فقالت : حزناً على غراب .... على قملة ....[1] الخ على برغوث مات حرقاً بالتنور . فذهب الذئب وقطع ذنبه . ثم انه ذهب الى نهر ليشرب ، فسأله النهر: لماذا قطعت ذنبك ؟ فقال : حزناً على نخلة .... على ... غراب .... على ... قملة .... على برغوث ... فجفّ ماء النهر من كثرة حزن النهر على البرغوث . ثم جاء المعّاز ليسقي ماعزه .... ثم .... اتت ابنة الاسكاف حاملة طعاماً للمعّاز ... ثم ذهبت ابنة الاسكاف الى امها واخبرتها الخبر فعورت عينها . فجاء ابوها السكاف وثقب كفّه بالمخرز ... ثم رآه بائع زيت ، وعندما أُخبِر الخبر ثقب ظروف الزيت فانصَبّ الزيت على الارض . ومرّ فارس راكباً جواداً فزلق ووقع مغشياً عليه . هنا مكان حسن لانهاء القصة ، والا فان القصة ليس لها آخر على ما نعتقده اذ انها سلسلة لا نهاية لها .

---

(١) وهنا يردّد القاصّ صفات الكلّ ويذكر حزنهم وشقاءهم على البرغوث .

والان نروي القصة على شكل سمعناه من اناس من عمشيت .

تزوّجت قملة برغوثاً . وفي ذات يوم ذهب البرغوث ليساعدها في الخبز على التنور ، وقع رغيف من الخبز في النار ، فقالت له القملة : اقفز الى النار وخلّص الرغيف . فقفز واحترق . فحزنت عليه حزناً شديداً وجلست تبكي وتنكث شعرها . فمرّ بها غراب وقال لها :

شو بك يا قملة ناكتون (اي منبوشة الشعر) ؟

فاجابت القملة :

قملة ناكتون على برغوث حارقون[1]

فذهب الغراب وجثم على شجرة ونتف ريشه . قالت له الشجرة

شو باك يا قعق حالطون ؟ (اي احلط بدون ريش او بدون شعر)

فقال :

قـعق حالـطون ،
على قملة ناكـتون ،
على برغوث حارقون .

فحزنت الشجرة وتناثر ورقها وسقطت اغصانها من الحزن . فجاءت العنزة وقالت للشجرة : شو بك ناترون ؟ (اي انتثر ورقها)

---

(١) رواية ثانية تجعل القافية « آن » فتصبح هكذا :

شو بك يا قملة شاكـيان باكـيان (اي شاكية باكية)

فقالت :

قملة شاكيان باكيان على مير الطيران (اي امير السيف) نط نطـة
قاويان (= قوية) اجا بالتنور حارقان (= اي فاحترق)

ويخيّل الينا ان القافية سواء أكانت « ون » او « ان » متأثرة باللفظ السرياني، لغة البلاد قبل العربية .

قالت :

شجرة ناترون ،
على قعق حالطون ،
على قملة ناكتون ،
على برغوث حارقون ،

فحزنت العنزة وتساقط قرناها . ثم انها ذهبت الى عين الدالقون (اي المتدفقة) فسألتها العين :

شو بك يا عنزة ناصلون (اي سقط قرنك) .

فقالت العنزة :

عنزة ناصلون ،
على شجرة ناترون
على قعق حالطون
على قملة ناكتون
على برغوث حارقون .

فحزنت العين المتدفقة وجفّ ماؤها فاصبحت ناشفون (اي جفّ ماؤها).

فاتت صبايا القرية لتملأ الجرار ، وعند سماعهن الخبر حزّن كثيرا وكسّرن جرارهن فاصبحن كاسرون . فسأل اهل القرية الصبايا عن الخبر فاخبروهم الخبر المفجع فقال اهل القرية نحن راحلون .

وفي رحيلهم عن القرية مرّوا تحت جسر فسألهم عن الخبر فقصوا عليه قصة البرغوث فحزن وقال : طابقون (اي ساطبق عليكم جميعاً) وسقط عليهم فماتوا جميعاً . وهنا تنتهي القصة .

واليك القصة حسب رواية ثانية[١] فيها تعجيز في الكلمات وفي القافية وفي تذكُّر السلسلة وترديدها بعجلة ، وهذا مما يدهش الصغار .

---

(١) هذه رواية حمانا لقصة ذاتها .

مرّ القعق على القملة فقال لها :

شو بك يا قملة شقيانة (اي شقيّة)

فقالت :

قملة شقيانة
ع مير الطبقون (الطّبق اي امير الخبز والاكل)
نطّ نطّة قوية
صبّح مشوي بالتنّور .

فحزن القعق وجثم على نخلة ونتف ريشه فمرّت به سِمّنة وقالت له :

شو باك يا قعق جِنْ ْشرِنْشت[١]

فقال :

قعق جِنْ ْشرِنْشت
ع قملة شقيانة
ع مير الطبقون
نطّ نطّة قوية
صبّح مشوي بالتنور

فحزنت السمّنة وجثمت على النخلة ونتفت ذنبها .

فقالت لها النخلة :

شو بك يا سمّنة الـفِنْ فِشْت[٢]

فقالت :

سمّنة فِنْ فِشْت
ع قعق جِنْ ْشرِشْت

---

(١) لم تفسّر لي الكلمة لانهم لا يعرفون معناها . قد تكون فارسية وقد تكون من قبيل التعجيز في تذكر القافية كما سترى .

(٢) ليكون السجع مطابقا لما قبله . وقد تكون الكلمة فارسية وقد تكون موضوعة .

ع قمـلة شقيـانة
ع مـيو الطبقون
نـطّ نطّة قوية
صبّح مشوي بالتنور

فحزنت النخلة وتناثر ورقها وتساقطت اغصانها . فجاء الذئب ليتفيّأ تحتها وعندما رآها سألها :

شو بك يا نخلة الخِنْ خِشْت ؟

فقالت :

نخلة خِنْ خِشْت
ع سِمّنة فِنْ فِشْت
ع قَعْق جِنْ شْرِشْت
ع قملة ...... الخ .

فذهب الذئب من حزنه ووضع ذنبته بين صخرتين وشدّ بها فقطعها . ثم انه لما عطش ذهب الى النهر ليشرب . فلما رآه النهر قال له :

شو باك يا ذيب القيطشون ؟ (اي أقطش والاقطش من الحيوانات ما قُطِع ذنبه)

فقال :

ذيب قيـطشون
على نخلة خن خشت
ع سمّنة فن فشت
ع قعق جن شرشت
الخ ......

فجفّ ماء النهر من الحزن . ثم بعد فترة اتى المعّاز – وكان اسمه زيزفون بقطيعه ليسقيه . فقال المعاز للنهر عندما رآه جافا ناشفا :

شو بك يا نهر النيشفون ؟ (اي ناشف)

فقال النهر :

نهـــر نيشفون
ع ذيب قيطشون
ع نخلة خن خشت
ع سمنة فن فشت
الخ . . . . . .

فذهب المعاز من حزنه على البرغوث واقتلع قرون ماعزه ووضعها في رأسه . فجاءت اخته تحمل له صحنا من طبيخ ساخن فقالت له :

شو باك يا خيّ زيزفون
صرت عنزة بقرون ؟

فقال لها :

خيّك زيزفون
صار عنزة بقرون
ع نهر النيشفون
ع ذيب القيطشون
ع نخلة خن خشت الخ . . . . .

فاخذت اخته الطبيخ الحارّ وسكبته حزنا على وجهـــا فاحترق . وعندما رأتها امها قالت لها :

شو بك يا بنتي
مِن كَمَخْنا ؟[1]

---

(١) لم استطع الحصول على تفسير هذه اللفة وفي تقديري انها موضوعة للقافية .

فقالت لها :

بنتك كمختا
ع ابنك زيزفون
صار عنزة بقرون
ع نهر النيشفون
ع ذيب القيطشون الخ . . . . .

فلما سمعت الام هـــذا الخبر المفجع فقأت عينها بالابرة فعورت .
وعندما رجع زوجها ورآها على هذه الحال قال لها :

يا مرة من عورتا ؟

فقالت له :

مرتك من عورتا
بنتك من كمختا
ع ابنك زيزفون
صار عنزة بقرون
ع نهر النيشفون
الخ . . . . . .

فعندما سمع الزوج هذا اخذ المخرز (وكان اسكافاً) وثقب كفه .
فمرّ به زيّات فقال له :

شو باك يا سكّاف ؟
من قدحتا ؟ (اي ثقبتَ كفَّك)

فقال له الاسكاف :

سكاف من قدحتا
ع مرة من عورتا

ع بنت من كمختنا
ع ابني زيزفون
صار عنزة بقرون
ع نهر النيشفون
الخ . . . . . .

فاخذ الزيّات سكينا وشقّ ظرفي الزيت ، فانصب الزيت على الطريق . مرّ به خيّال فقال له :

شو باك يا زيات ؟
من دلقتا ؟ (اي سكبت وصببت)

فقال له الزيات :

زيّات من دلقتا
ع سكاف من قدحتا
ع مرة من عورتا
ع بنت من كمختنا
الخ . . . . .

فوقع الخيال مغشيا عليه « وطفح » اي غاب عن الوعي .

والقصة لا آخر لها . فان الخيال يصبح « من طفحتا » ويظل مغشيا عليه لكي يجد القاصّ سبيلاً الى إنهاء القصة .

الفصل الحادي عشر

العاب القرية

تتميّز العاب القرية اللبنانية بميزتين ظاهرتين : اولا بالخشونة والشدة والعنف . فانها العاب تتطلب صبراً وجلداً وقوة جسدية . فهي من هذه الناحية العاب ممتازة تقوي السواعد والركب والصدر . ثانياً تتميّز العاب القرية ببساطتها وقدميتها ، يظهر لك ذلك في كثير من الالفاظ الغامضة التي تتكرّر في العدّيات التي يردّدها الاولاد في بعض هذه الالعاب . ويخيّل اليّ انها سامية قديمة (سريانية او آرامية) وصلت الينا على السنة الاطفال جيلاً بعد جيل مشوّهة تشويها اخفى علينا حقيقتها الاولى كما هي الحال في العاب كثيرة سيأتي ذكرها . وتظهر لك قدميتها في بساطة المبدأ الذي يقوم عليه جوهر اللعبة . فانها في اكثرها العاب خالية من الصنعة والفن . ولكن هذا لا يفقدها عنصر البهجة عند الاولاد ، ولا يفقدها قيمتها الرياضية . فانّ من يرى اولاداً في ساحة القرية يمرحون ويطفرون ويصفقون ويستعملون حناجرهم لا يشك في ان هذه الالعاب تؤدي وظيفتها على احسن وجه : بهجة ورياضة وحماس وتعاون .

يلعب اولاد القرية في ساحة القرية او ساحاتها . لكل حارة في القرية الكبيرة ساحة ، وكثيراً ما يكون في الساحة شجرة قديمة : سنديانة ، ميسة ، زنزلختة (ازدرخت) او اشجار جوز في الاماكن التي فيها ماء . في ظل هذه الاشجار يلعب الاولاد . واحياناً يتضايق من جلبتهم شيوخ القرية من ذوي اللحى المتقاعدين ، فيطردونهم فيذهبون



يا حج محمد : يويو !

الى ساحة العين او مرجة العين او الفسحة المعشوشبة القريبة من مجرى ماء العين . وقد يفتشون عن منبسط في جوار القرية : بيدر عتيق مهجور ، او قطعة ارض مستوية تعرف بالبورة ، او تحت اشجار الصنوبر . هناك يجدون لانفسهم ملعباً .

العاب اولاد القرية يصحبها كثير من الصياح والضجيج . يذكر المؤلف «عِدّية» كان اطفال القرية يحبونها كثيراً : «يا حجّ محمد» كانوا يدورون في ساحة القرية وينزلون في زقاق ويصعدون في آخر مردّدين بحناجرهم القوية «يو! يو!» يحمل الزعيم بيرقاً ويقول : يا حج محمد! فيردّ عليه الاطفال كجوقة : يُو! يُو!

– قَدّيش مْصَمّد – يُو! يُو!
– مْصَمّد مِضرِبْة – يو! يو!
– مَلو التمنيّة – يو! يو!
– تِمنيّة مين – يو! يو!
– تِمي شاهين – يو! يو!
– شاهين ما مات – يو! يو!
– عِندو بْنَات – يو! يو!
– بْنَاتو سُود – يو! يو!
– متل العبيد – يو! يو!

وليس لنا في مقال كهذا ان نأتي على ذكر الالعاب المنظمة الحديثة التي يلعبونها في ساحات المدارس وفي الحدائق العامة او في رياض الاطفال ، انما همنا ان نسجل الالعاب القروية القديمة التي هي في طريق الزوال . فلن نأتي مثلاً على العاب الكلة وجميع انواع العاب الكرة وما شابه .

وليس لنا في مقال قصير كهذا ان نأتي على ذكر الألعاب القروية جملة . فان هذا يقتضينا اكثر من مقال . لان في كل قرية تقريباً

لعبة او العاب تنفرد بها القرية . وهنالك الى جانب هذا بعض التباين والاختلاف في اللعبة الواحدة سواء اكان ذلك من جهة مبدأ لعبها او من جهة التسمية او من جهة المصطلحات المستعملة . فان في قريتنا (راس المتن) يلعب الاولاد لعبة يسمونها « يا امّ اسكندراني : يا امّ عيون الغزلان » . وقد ذكر هذه اللعبة الاستاذ فايز شكري خوري في اطروحته للحصول على درجة الماجيستر في كلية العلوم والآداب في الجامعة الاميركية وموضوعها « مؤلف في الرياضة والالعاب » (وهي مخطوط محفوظ في الجامعة الاميركية في بيروت) ولكنه يسميها في مؤلّفه هذا « اوّلنا من اسكندرونة » . وكذلك يلعب اولاد قريتنا لعبة يسمونها « الدنك » واما فايز الخوري فيصف هذه اللعبة بالذات على انها من العاب قرية كفريسيف التابعة لقضاء عكا ويسميها « انجش وغمّق يا جوز » ولذلك ارتأينا ان نصف الالعاب اللبنانية البحتة والتي هي مشتركة (على الاقل من حيث المبدأ) بين قرى عديدة كما وجدنا ذلك بالاختبار . وتسهيلاً للقارىء سنبحث اللعبة تحت نقاط[1] فنذكر :

(ا) اللاعبين وعددهم

(ب) الادوات المستعملة في اللعبة

(ج) المبدأ الذي ترتكز عليه اللعبة

(د) الخطوات المتبعة او قوانين اللعبة

وقبل ان نأتي على ذكر اهم الالعاب القروية الشائعة في راس المتن نودّ ان نأتي على ذكر كيفيّة انتقاء الفريقين بواسطة « القرصة »

القرصة[2] :

في جميع الالعاب التي يجب ان يكون اللاعبون فيها فريقين يُبدَأ

---

(١) قد لا نحتاج في وصفنا كلّ لعبة ان نأتي على جميع هذه النقاط .

(٢) وارجح ان تكون اللفظة سريانية ܩܪܨܐ ومعناها قطعة ، شقفة ، وهي الحصاة التي يستعملونها في القرعة .

بالقرصة . والقرصة قرعة بين رئيسين او زعيمين للبدء في عملية اختيار الفريق . وهذان الرئيسان – ويعرفان بلغة اولاد القرية ب « الرّوسيّة » – يفرضان انفسهما على اولاد القرية فرضاً ، اي انهما غير منتخبين انتخاباً ، كأن يكون الواحد منهما قوياً ، عنيداً ، شرساً ، حبّ التسلط فيه طبع . تؤخذ اولاً حصاة صغيرة رقيقة مفلطحة ويُبصَق على احد وجهيها . الوجه المبلل بالبصاق يسمّى « شتا » والوجه الناشف « صيف » . يطلب احد الروسية من زميله ان ينتقي : « صيف ولاّ شتا ؟ » فينتقي . عندئذ يرمي الحصاة في الهواء عالياً قائلاً : « يا صيف صيّف ويا شتا شتّي » . وعند ما تقع الحصاة الى الارض يركضون جميعاً ليروا اذا جاءت « صيف » او « شتا » . فاذا كان المُحزِّر قد حزر فانه يكون قد ربح حق البدء في عدّية تقرّر الاوّلية في انتخاب الفريق . يبدأ العدية الذي لم يربح القرعة فيقول :

الاول : حَبَّيتك
فيرد عليه الثاني : ما حبيتك
الاوّل : دمّ الجاري
الثاني : خاب بَخْتَك
الاوّل : شِبش نعار[1]
الثاني : شنق الحمار
الاوّل : نقّي واختار

فيبدأ الذي ربح القرعة بالاختيار . ومن الطبيعي ان يختار اقوى الاولاد جسماً واحسنهم ركضاً وقفزاً . ثم يختار الآخر ولداً وهكذا بالتناوب الى ان يتشكل الفريقان . وقبل ان تبدأ اللعبة تُلقى قرعة ثانية

---

(١) هذه نماذج من الالفاظ الغامضة التي تنوسي معناها . وقد اشرنا الى هذا عند مستهلّ كلامنا عن العاب القرية (ص ٢٢٦) اما لفظة « شبش » فواردة في السريانية والعبرية ومعناها رخام ، وكذلك لفظة « نعر » ففي السريانية معناها نهيق وفي العبرية غلام صبي وجميع هذه المعاني لا تفسّر لنا معنى استعمالها في النصّ اعلاه .

لمعرفة ايّ الفريقين يبدأ اللعب . والقرعة تكون على شكلين . اولاً يخبّىء احدهم حصاة في احدى يديه الموضوعتين خلف ظهره ويطلب الى خصمه ان يحزر ، فاذا حزر كان له حق البدء وحق اختيار الجهة . والشكل الثاني ان يُبصق على حصاة تُرمى في الهواء ويُطلب الى احدهما ان يختار : « صيف ولاّ شِتا » والشتا هو الجهة المبصوق عليها والصيف الجهة الجافة .

مصطلحات :

ونرى لزاماً علينا ، قبل ان نصف هذه الالعاب ، ان نوضح معنى بعض الكلمات والمصطلحات التي ترد في كلامهم عندما يلعبون او عندما يتكلمون عن اللعب .

(١) الاولية والطشّية[1] :

والاولية معناها الحق في البـدء في اللعب ، اي النوبة الاولى . يقول الواحد منهم : « انا الاوّل » او « اوّليتي » . يقول الثاني : ثِنّيتي ، والثالث ثِلثّيتي والرابع ربّعتي ... الخ اما الاخير ، ويسمى الطِشّ ، فيقول طِشّيتي . فالطِشّية تعني النوبة الاخيرة ، والطِشّ هو الاخير .

(٢) القطم[2] :

معناها عجز اللاعب عن الاستمرار في اللعب حيث تتطلب قوانين اللعبة استمراراً معيّناً ، وذلـك لاعيائه او لخطأ ارتكبه او لغشّ حاوله ، فانهم في احدى هذه الحالات يقولون عنه « انه قطم » اي فشل

---

(١) الطِشّة في الفصحى الصغير من الصبيان ، وعليه فان اللفظة عربية .

(٢) جذر « قطم » يفيد القطع والفصل .

وخسر حقه في متابعة اللعب . مثلاً اذا كانت قوانين اللعبة تفرض عدم التنفّس مدة من الزمن ، فاذا تنفس اللاعب قبل انقضاء هذه المدة المعينة يكون قد « قطم » وعليه ان ينسحب .

(٣) النزلة :

من جملة العاب القرية العاب يكون فيها احد الفريقين مهاجِماً والآخر مهاجَماً . والمهاجَم هو الذي تقع عليه القرعة ان يكون المعرّض للضرب (اذا كان في اللعبة ضرب) او الغرم او الغبن . هذا الفريق المهاجَم هو الفريق « النازل » . يقولون : « النزلة عليكن » او « نزلتكن » او « صار دوركن تنزلوا » .

بعض العاب القرية :

نتقدّم الآن الى وصف اهم العاب القرية اللبنانية ، مبتدئين بافضلها واحسنها واكثرها حماساً وهي لعبة فيها كثير من الفن والسرعة وحسن الملاحظة ، نعني طابة المحج . والعاب الطابة كثيرة ومتنوعة وانما طابة المحج قديمة واصلية ومشتركة ، يدل على ذلك الالفـــاظ الغريبة التي يستعملونها في سياق اللعب .

طابة المحج

(١) عدد اللاعبين :

اللاعبون فريقان متباريان وعدد الفريق غير محدّد . يحدّده احياناً صغر الملعب او اتساعه ، او عدد الحاضرين من الاولاد . انما يجب ان يكون عدد الفريقين متساوياً ، وتكون اللعبة افضل واكثر حماساً وبهجة اذا كان الفريق الواحد من ٤ — ٥ . ولا يلعب في هذه اللعبة من هم دون الثامنة .

(ب) الادوات :

طابة مصنوعة عن خرقة متينة كغلاف لها ومن حشوة من صوف او قطن او خرق بالية . وقد يكون غلافها جلداً عتيقاً يخيطها لهم الاسكاف الحنون في ساحة القرية . اما اليوم فانهم يستعملون الطابة الاوربية المصنوعة من المطّاط . والمحجّ حجر مربع او مستطيل (٣٠ × ٤٠ سنتم او ٤٠ × ٤٠ سنتم) يوضع في جهة من الملعب وهو الهدف الذي يجب اصابته .

(ج) قوانين اللعبة :

ينتقي الرئيسان (ويسمونها الروسية) فريقيهما بعد القرصة ، ثم يقترعان ليريا من يبدأ اللعب ، والذي يبدأ اللعب يأخذ الجهة التي فيها المحج . ويذهب الفريق الثاني الى الجهة المقابلة .

تقوم اللعبة على ست خطوات على الفريق الواحد ان يمرّ بها وعلى الفريق الثاني ان يحول دون نجاحه . وهذه الخطوات الستّ هي :

١ . اول ورا
٢ . سِتّو
٣ . شكا
٤ . دَقْو
٥ . كَعْكُو
٦ . مِشْطُو

ولكل خطوة من هذه الخطوات ثلاث ضربات اذا فاز بها اللاعب انتقل الى الخطوة الثانية كما سيرد تفصيله فيما بعد .

الخطوة الاولى « اول ورا »

يقف اللاعب وظهره الى الفريق الثاني ووجهه الى جهة المحج . يبتعد

عن المحج قدر مترين . يأخذ الطابة بيده ويرفعها الى الهواء قليلاً ثم يضربها براحة كفه ضرباً قوياً ناحيةَ الفريق الثاني . على اعضاء الفريق الثاني ان ينتشروا في الملعب لكي يتلقوا الطابة « بالهوا » اي قبل ان تسقط فتلامس الارض . فاذا استطاع احد المدافعين ان يتلقاها وهي بعد في الهواء خسر اللاعب حقه في اللعب اي قطم ، فيعطي مكانه لثانٍ من فريقه . واما اذا سقطت الطابة على الارض فللفريق المدافع ان يأخذها ويرمي بها الهدف ، فاذا اصاب الهدف خسر اللاعب حقه في اللعب اي قطم ، واعطى مكانه لثان من فريقه . وليس للفريق المدافع عن المحج ان يحول دون الطابة والمحج . هو حق من حقوق الفريق الثاني ان يصيب الهدف . واذا لم يقطم اللاعب ، اي اذا اجتاز الضربة الاولى يتقدّم للضربة الثانية وتسمى « تاني ورا » واذا اجتازها دون ان يقطم يتقدم للضربة الثالثة وتسمى « تابات » فاذا اجتازها تقدم للخطوة الثانية « سِنّو » .

الخطوة الثانية سنو :

الخطوة الثانية كالاولى انما الفارق هو ان وجه اللاعب الآن يكون ناحية الفريق المدافع . عندما يكون ظهره ناحيتهم يستحيل عليه معرفة انتشار الفريق ليرمي الطابة الى مكان يصعب معه التقاط الطابة في الهواء . اما الآن ، في « سنّو » ، فانه يعلم مسبقاً كيف يضرب طابته . واذا اجتـــاز الضربة الاولى والثانية والثالثة دون ان يقطم فانه يتقدم الى الخطوة الثالثة « شكا »[1] .

الخطوة الثالثة « شكا »

ولهـا ثلاث ضربات كما قلنا آنفاً . وطريقة ضربة الطابة هي ان

(١) نحن في هذا الوصف نفترض ان اللاعب لا يقطم ولكن الواقع قلّ من يستطيع ان يجتاز خطوة او خطوتين دون ان يخسر .

يرمي الطابة باليسرى الى اعلى ثم يضربها براحة كفه اليمنى ، فاذا اجتاز اللاعب الضربات الثلاث دون ان يقطم تقدم للخطوة الرابعة « دقو » .

الخطوة الرابعة « دقو »

يرمي الطابة الى اعلى بيده اليمنى ثم انه بيده اليمنى يضرب فخذه ثم بعجلة يعود فيضرب الطابة نحو الفريق المدافع اولاً وثانياً وثالثاً . فاذا اجتازها دون ان يقطم يتقدم للخطوة الخامسة « كعكو » .

الخطوة الخامسة « كعكو »

يرمي الطابة من تحت ركبته الى اعلى ثم يضربها براحة كفه، اولاً وثانياً وثالثاً فاذا اجتازها دون ان يقطم تقدم الى الخطوة الاخيرة «مشطو».

الخطوة السادسة « مشطو »

وتختلف هذه الضربة عن اخواتها في ان الطابة تدفع بالرجل لا باليد اولاً وثانياً وثالثاً .

ومن الملاحظ انه لا يستطيع لاعب واحد ان يجتاز هذه الخطوات كلها دون خسران . فان الامر اعسر مما يُتصوَّر لاول وهلة . لان المدافعين اذا احسنوا الانتشار في الملعب واذا كان بينهم من يحسن اصابة الهدف فان اللاعب يخسر بعد ضربات قليلة . عندما يقطم اللاعب يتقدَّم الثاني فالثالث فالرابع الى ان يأتي الدور على كل اعضاء الفريق فاذا قطموا قبل اجتياز الخطوات الستّ عليهم ان يخسروا حقهم في الهجوم واصبحوا المهاجِمين ، فيتركون جهة المحج ويأخذون مركز الفريق الاول .

ملاحظة هامة :

عندما يعود الفريق ثانية الى جهة المحج ليصبح المهاجم يبدأ من حيث قطم اللاعب الاخير وليس من اول خطوة . اي انهم اذا قطموا في ستّو (وهي الخطوة الثانية) فانهم عند عودتهم الى المحج يبدأون بستّو.

والغلبة للفريق الذي يجتاز الخطوات الستّ قبل الفريق الآخر .

القفز : فشختين وقمزة ، او طبخين وقمزة :

العاب القفز كثيرة ومتنوّعة وهي من الالعاب المستحبة . ومما يحلو للاولاد القفز عنه السطيحات والسطوح المنخفضة ومن على الشوارات العالية ، واذا كانت الشوارات ضيقة تباروا فيما بينهم ليروا من يقفز فوق شوارين او ثلاثة احياناً (اذا كانت الثلاثة لا تزيد عن اربعة أو خمسة امتار عرضاً) ولكن لعبة القفز الشائعة « فشختين وقمزة » . واسمها يدل على مبدأ لعبها . يُرسم خط في الملعب ويُهيأ مكان ناعم (مرمل او معشوشب) عند منتهى القفز . على اللاعب ان يخطو خطوتين ويقفز عند الثالثة . والفائز هو الذي يقفز اطول مسافة . يتبارى احياناً في في هذه اللعبة فريقان وتقاس المسافات التي قفزها كل فريق مجموعة . يقيسون المسافة بقصبة يتفقون على طولها ومن كان مجموع القصبات عنده اكثر كان الفائز .

التخبؤ : الدنك :

والعاب التخبّؤ كثيرة ومتنوعة ومشتركة . والمبدأ فيها واحد . اللعبة فريقان ، فريق نازل (او بينزل) وهذا يتحمّل الكم والضرب والركوب على الظهر ، وفريق يتخبأ وهو المهـاجم . تعرف هذه الالعاب باسماء مختلفة منها الغميضة والطميشة والدّنك . وسنقتصر على

وصف واحدة منها : الدنك . لانها اكثرها شيوعاً واحبّها الى قلوب الاولاد لان فيها عناصر المفاجأة وفيها عديّات وفيها هجوم وضرب وهرب.

الدنك :

وقد ذكرها فايز الخوري في مؤلفه تحت «الجش وغمّق يا جوز» ص٨١.

(١) اللاعبون فريقان وعددهم متساوٍ ولكن لا يحدّد . يفضّل الاّ يكون الفريق اقل من اربعة او خمسة . ويقترعون ليروا من الذي ينزل ومن الذي يتخبأ . ولكل فريق زعيم حسب الاصول .

خطوات اللعبة وقوانينها :

يجلس الفريق النازل على الارض بشكل دائرة كبيرة ، ويقف في وسط هذه الدائرة زعيما الفريقين (اي الرّوسية) . امّا الفريق المهاجم فيذهب ليختبئ . يعصب زعيمُ الفريق المهاجم عينيّ زعيم الفريق النازل عصباً شديداً ويتأكّد من انه لا يرى . ويبقى معصب العينين فترة تكفي ليكون الفريق المهاجم قد احسن الاختباء . ثم انه يرفع عن عينيه المنديل (او كفته) ويتركه حرّاً طليقاً ليذهب ويكتشف اعضاء الفريق المختبئ . عند رؤيته احدهم يصرخ : حريق ! حريق ! وهذا دليل على انه رأى واحداً منهم وعليهم اذن ان «ينزلوا» اي انهم خسروا . وفي تجواله ليفتش عن مكمنهم يرافقه زعيم المختبئين ويقول :

أنْ كَنْكْ هون : دوح دوح
بعدو عند شريكاته

ومن نغم صوته ومن قرب صوته اليهم او بُعده عنهم يعرفون ان خصمهم قريب منهم فيختبئون ولا يتحركون ، فلا يرفع احد رأسه او يمدّ يده او يتكلّم . واحياناً يناديهم بالعدّية التالية :

تخبّا مليح   تحت الشيح [١]
جابي ليك   كاب مليح !

اما اذا بَعُد زعيم الفريق النازل عن مكمن الفريق المهاجم ، واذا أمنوا انه لا يراهم هبّوا من مكمنهم وهجموا على النازلين في الدائرة واوسعوهم ضرباً ولكماً ورفساً . وليس على النازلين ان يقاوموا . عندما يُهاجم النازلون يصرخون الدنك ! الدنك ! فيسمعهم زعيمهم ويركض ناحيتهم فاذا وقع نظره عليهم قبل ان يختبئوا ثانية صرخ بهم حريق ! حريق ! وفي هذه الحالة ينزلون ويذهب الفريق النازل ليتخبّأ ، وهكذا دواليك .

الركوب على الظهر او القفز من فوق الظهر :

ومن الالعاب المستحبّة العاب الركوب على الظهر وهي عديـــدة متنوّعة . والمبدأ العام فيها قوة التحمّل . منها :

يا ام اسكندراني [٢]

(ا) عدد اللاعبين غير محدد ، ولكن يحسن ان يكون عددهم كبيراً

(ب) يقترعون ليروا من ينزل اولاً . النازل يقف عند اول الملعب ويضع يديه على ركبتيه ويحني ظهره .

(ج) يأتي اول لاعب ، عادة الزعيم ، ويقفز من فوق ظهره قائلاً :
يا امّ اسكندراني

---

(١) من المختبآت المحبّبة الى الاولاد التخفّي تحت شيح القز . بعد قطاف الشرانق يجمعون الشيح عرمات عرمات في دور البيوت وفي الازقة بين البيوت (راجع ما قيل عن الشيح تحت القز ص ١٢٧)

(٢) وقد ذكرها فايز الخوري في مؤلفه الذي اشرنا اليه سابقاً تحت « اولنا من اسكندرونة » ص ٦٦ .

ثم انه يبتعد عنه مسافة مترين وينحني ايضاً فيأتي اللاعب الثاني ويقفز من فوق الاول ثم من فوق الثاني مردداً

يا امّ عيون الغزلان

ويأخذ مكانه في الانحناء . ثم يأتي اللاعب الثالث فيقفز من فوق الاول فالثاني فالثالث مردّداً :

« قتلني ما قتلتو » ويأخذ مركزه في الانحناء الى جانب رفقائه ثم يأتي الرابع فيقفز من فوق ظهور المنحنين مردّداً :

ما قتل غير بن عمّي

ثم لاعب آخر ويردّد :

شلّح السيفين مني

وهكذا الى ان تنتهي العدية . واللعبة لا آخر لها لانها حلقة متصلة . يظل الاولاد يلعبونها الى ان ينهكهم التعب او الى ان يأخذهم الملل .

اما العدية فهي :

يا امّ اسكندراني	يا ام عيون الغزلان
قتلني ما قتلتو	ما قتل غير بن عمّي
شلّح السيفين مني	دحشهم بذنب عنتر

وقع القضيب وتقنطر

ومن العاب الركوب على الظهر لعبة ذبحنا العنزة

ذبحنا العنزة :

(ا) عدد اللاعبين غير محدد . ولكن يحسن ان يلعبها عدد كبير .

(ب) يقترعون ليروا من ينزل ، والنازل يضع يديه على ركبتيه ويحني ظهره كما في اللعبة السابقة . ثم ان النازل مع حَكَم يتفقان على اسم عضو من اعضاء العنزة : الراس العين الكرش المرارة .... الخ ويبقى الاسم سراً بين النازل وبين الحكم .



ذبحنا العنزة . . . .

(ج) يتقدم اللاعب الاول ويقفز من فوق ظهره قائلاً :

ذبحنا العنزة

فيأتي اللاعب بعده يقفز ويقول :

سال الدم !

ويأتي الثالث ويقفز فوق ظهره ويقول :

ع الجنبين !

ويأتي الرابع ويقول :

أكلنا الراس (او يسمي عضواً آخر)

ويأتي خامس وسادس (بقدر ما يكون هنالك من لاعبين) فيقفز ويسمي عضواً من اعضاء العنزة . فاذا ذكر اسم العضو المضمر عليه نزل مكان النازل .

ومن شروط اللعبة الاّ يذكر لاعب عضواً ذكره غيره . فاذا ذكر لاعب مثلاً المعلاق وبعد دقائق أتى آخر وقال : « اكلنا المعلاق ! » فانه يخسر ويحلّ محل النازل .

ومبدأ اللعبة ان يضمر النازل اسم عضو من اعضاء العنزة مثل القلب والكرش والرقبة . وعلى اللاعبين ان يتحاشوا ذكر الاعضاء الظاهرة المعروفة بل يوغلون في ذكر الاسماء الغير الشائعة مثل بؤبؤ العين وشحمة الذينة وشريان القلب . واحياناً يضمر النازل اسم عضو غير معروف ظناً منه ان اللاعبين يذكرون اكثر ما يذكرون هذه الاسماء البعيدة الاحتمال فيقع في الشرك احدهم ويتخلص النازل من الارهاق الذي يصيبه من القفز فوق ظهره .

واحد فوق :

ومن العاب الركوب على الظهر لعبة « واحد فوق تنين فوق .... » يقف النازل قرب جدار ويحني ظهره ويسند جسمه بمدّ يديه الى الجدار (راجع الرسم) فيأتي لاعب راكض من بعيد ويقفز الى ظهره ممسكاً رقبة النازل بيديه ويقول:



واحد فوق ، تنين فوق . . . .

واحد فوق تنين فوق ثلاثه فوق ..... دون ان يتنفس ، ويظل يعد الى ان « يأخذ نفساً » اي الى ان يتنفس ،

فـاذا « اخذ نفساً » نزل والا عاقبه الحكم . ومن كان منهم طويل النفس ركب ظهر النازل طويلاً .

قبة الحمام :

وهي لعبة من العاب ركوب ظهر الخصم ارهاقاً له وازعاجاً . يلعبها فريقان واول شيء يقومون به « القرصة » لمعرفة الفريق « النازل » والفريق المهاجم .

(ا) **عدد اللاعبين** غير محدد . يحسن ان يكون فوق الخمسة في الفريق الواحد .

(ب) **قوانين اللعبة** : الفريق النازل يقف في دائرة قطرها متران الى ثلاثة حسب الاتفاق . يقف اللاعب النازل ويداه على ركبتيه ويحني ظهره . عليه ان يكون مستعداً لقبول مهاجم يقفز على ظهره ويركبه دون اية مقاومة .

(ج) للفريق النازل حامٍ يحميه . عليه الاّ يدع احداً من المهاجمين ان يقفز على ظهر احد من فريقه . وبطبيعة الحال لا يستطيع ان يحمي جميع الجهات فانه قد يحاول ان يردّ احد المهاجمين من اليمين فيأتي واحد من اليسار ويركب ظهر احد النازلين .

(د) اذا مسّ الحامي احدَ المهاجمين ولو مسّاً بسيطاً بطرف اصبعه فان الفريق المهاجم يخسر ويصبح هو الفريق النازل . ولكن الى ان يستطيع الحامي مسّ احد اللاعبين يكون فريقه قد أرهق ركوباً وعذاباً ، لا سيما وانه يحق للاعب في الفريق المهاجم ان ينزل عن ظهر خصمه ويهرب فيمتطي ظهر لاعب آخر من الفريق النازل ، وذلك اذا احسّ بخطر هجوم الحامي .

سكركبة ع المركبة قرش قديش هو :

ومن العاب الركوب على الظهر لعبة تعرف ب « سَكَرْكَبةِ عَ المَرْكَبة » . ينزل احدهم ويضع يديه الى حائط يسند بها جسمه. فيأتي ولد ويركب على ظهره . ثم ان الراكب يضع يده وراء ظهره ويشير باصابعه الى عددٍ ما : ٢ ، ٣ ، ٤ ... الخ وعلى المركوب ان يحزر . يقول الراكب :

سكركبة ع المركبة قِرّش قدّيش هو ؟

فيحاول المركوب ان يحزر . وهنالك حكم واقف يراقب امانة المحزّر . فاذا حزر المركوبُ نجا من الارهاق وحلّ محله الراكب . (امكانة الحزر من ١ — ٥) .

العاب تقوم على مبدأ طول النفس :

ومن الالعاب القروية اللبنانية جملة العاب تقوم على مبدأ تحمّل انحباس التنفس زمناً طويلاً . وهي العاب يكثر فيها الخصام والجدل لتقرير قضية التنفس او عدمه . واليك وصف لعبة من هذه الالعاب:

يلك يلك [١] !

وهي لعبة تقوم على مبدأ طول النفس : من يستطيع ان يبقى بدون تنفس اطول مدّة ؟ وهي من الالعاب المستحبة والشائعة في اكثر قرى لبنان التي نعرفها .

---

(١) كلمة غامضة . في السريانية ܒܠ السيّار عطارد والإله البابلي القديم بل (بعل) وقمللا Pila الفيل (؟)

(ا) عدد اللاعبين :

غير محدد ، ولكن يجب ان يكون متساوياً . ويستحسن ان يكون عدد الفريق بين ٦ و ٨ . وقد يعتمدون حكماً ، لان اللعبة تحتاج الى حكم لان امكانيات « الزغل »[1] كثيرة كما قلنا آنفاً .

(ب) مبدأ اللعبة :

ان « يحترق » ثلثا اعضاء الفريق الواحد واذا احترق الثلثان من الفريق الواحد ربح الفريق الثاني اللعبة . والاحتراق في لغتهم ان يتنفّس اللاعب حيث لا يحق له التنفّس .

(ج) قوانين اللعبة :

اولاً – يقرصونها لانتقاء الفريق . ويُنتقى اولاً الاقوياء من ذوي الصدور المنتفخة القوية لان اللعبة لعبة مقدرة في تحمّل انحباس التنفّس طويلاً . ثم يقترعون لمعرفة البادىء باللعب ، ثم يرسمون خطاً افقياً في نصف الساحة تبياناً لمنطقة كل فريق .

ثانياً – ينزل احد اللاعبين متخطياً منطقته الى منطقة الاعداء مكرّراً احدى هذه العِدّيات (ينتقي واحدة منها) بدون ان يتنفس :

١ – بيلك ! بيلك ! بيلك . . . . الى ان يقطع (اي الى ان يتنفس)

٢ – بيلك ! الهوا يْطَفِّي قنديلك ! بيلـــك الهوا يطفي قنديلك . . . . الى ان يقطع (اي الى ان يتنفس)

٣ – حَبِّ الوِزْوِز طَهْ طَهْ : يا معلمتي كَهْ كَهْ ! . . . . الى ان يقطع .

---

(١) يستعملون لفظة « الزغا والزغل » (والفعل منها زاغى وزغل) بمعنى الاخلال التعمّدي بقوانين اللعبة او خروج مقصود على شروط اللعبة .

٤ – السّايْرِكة المِحْتِرْكة(١) ! السّايْرِكة المحترِكة . . . الى ان يقطم .

ثالثاً – على المتحدّي ، اي النازل ، ان يمس احد اللاعبين من الفريق المُتحدّى ويعود الى منطقته دون ان يقطم ، اي دون ان يتنفس . فاذا استطاع ذلك احترق الولد الذي مُسّ فيخرج من اللعب ويخسره فريقه . اما اذا استطاع الممْوس ان يمسك بالمتحدّي ويوقفه في مكانه ويُسمّره هناك الى ان يتنفّس فان المتحدّي يحترق ويخسره فريقه .

رابعاً – يلعبونها بالتناوب مرة يتحدّى لاعب من هذا الفريق ومرة لاعب من الفريق الآخر .

خامساً – لا يحق لاثنين ان يُمسكا بالمتحدّي بل لاعب واحد ضدّ لاعب آخر . ولا يقدم على امساك المتحدِّي إلا من أنِس في نفسه المقدرة على توقيفه وتسميره في مكانه مدة طويلة لكي يتنفس . ولنذكر ان المدة قصيرة اذ لا يستطيع هؤلاء الاولاد ان يبقوا بدون نفس اكثر من دقيقة واحدة او بعضها . يحاولون ان «يزاغوا» وذلك بالتنفس الخفي بين ترديد كلمات العِدّية . ولكن الحكم يراقبهم مراقبة شديدة . واذا حكم انهم تنفسوا فانهم يُعدّون من المحترقين .

سادساً – وطبيعي ان من يحاول امساك المتحدّي ويعجز عن تسميره في مكانه الى ان يتنفّس بل يفلت منه ويعود الى منطقته قبل ان يتنفّس فان اللاعب الذي حاول امساكه يحترق . وقد يكون المتحدّي من اللاعبين الماهرين الاقوياء فيحاول ان يمسّ اثنين او ثلاثة في دورة واحدة ويعود الى قاعدته سالماً .

---

(١) الوزوز والسايركة والمحتركة كلمات غامضة وظني انها تحريف وتشويه ربما لكلمات سريانية او آرامية .



من نقفك[١] يا بو جاموس ؟

وهي لعبة شائعة في اكثر القرى . ذكرها فايز الحوري تحت « من نقفك يا قدوس » (ص ٧٤)

مِن نقفك يا بو جاموس ؟

(ا) عدد اللاعبين :

غير محدد . يحسن ان يكون اكثر من ٧ لان اللعبة تقوم على حزر الناقف كما سيأتي وصفه ، وكلما كان عدد اللاعبين كبيراً قلّت امكانات الحزر .

(ب) قوانين اللعبة :

يتفقون على نازل ، وهذا النازل يقعد على حجر ويأتي الحكم في اللعبة ويعصب عينيه جيّداً امّا برباط او بيديه . ثم يتقدّم اللاعبون واحداً واحداً وينقفونه بالاصبع الاوسط على جبهته والحكم يسأل

« مِنْ نقفك يا بو جاموس » ؟

وعلى النازل (المنقوف) ان يحزر فيقول : نقفني فلان فاذا حزر نزل الناقف مكانه . ويظلون يلعبونها الى ان يأخذهم الملل .

---

(١) نقف فلاناً ضربه بقفا السبّابة ضرباً يسيراً ونقفه بحجر ضربه بها .

المرجوحة :

وهي لعبة مستحبة . تُعلّق المرجوحة بين شجرتين متقاربتين او في عِمْد[1] سنديانة عالية او زيتونة عالية او في حلقة في قنطرة عالية . ومن الاغاني التي يرددونها :

يا مرْجُوحة التّبني وَنْ رُحت وْوَنْ جيتِ
رحت ع برّ الشام وجبت الخوخ والرّمان .

لعبة الود[2]

(أ) عدد اللاعبين

غير محدد ولكن يستطيع ان يلعبها اثنان وما فوق الى ٥ أو ٦ . ولا يستحسن ان يزيد عدد اللاعبين عن ذلك لان المكان الذي يمكن اللعب فيه ، كما سيرى القارىء ، محدود . وكلٌ يلعب لنفسه وقد يتشارك اثنان معاً ضدّ اثنين حسب الاتفاق .

لعبة الود – ١ ارض الشكة – ٢ ودّ مغروز في الارض

(ب) الادوات المستعملة :

الودّ (ويسمونه ايضاً المعتوت) وجمعه وْدُود وهو قطعة حطب

(١) العِمد الفرع الغليظ من الشجرة
(٢) والودّ في لغة نجد الوتد وعليه تكون اللفظة العامية فصيحة .

من السنديان (او من حطب قاس من غير السنديان) طولها ٢٥ سنتم – ٣٥ ، وقطرها من ٢ – ٣ سنتمترات ومخروطية الشكل عند طرف واحد (راجع الرسم صفحة ٢٤٧)

(ج) – مكان اللعب يسمّى شكّة وهي قطعة ارض صغيرة مستديرة دلغانية شديدة او نعص[1] قوي . يرشونها ماء اذا جفت لكي يغرز فيها الود .

(د) مبدأ اللعبة :

ان يكسب الواحد من اخصامه اكبر عدد من هذه الودود . قد يــأتي احدهم الى مكان الشكّة ومعه ود او ودّان ويعود بحزمة كبيرة منها ، وقد يأتي بحزمة كبيرة ويعود صفر الكف .

(هـ) قوانين اللعبة :

يقترعون ليروا من الاول والثاني والثالث ... الخ . يبدأ الاوّل بضرب الود بطريقة يغرزه في الشكّة . وعمق دخول الود في الشكة يتوقف على قوة ساعد الضارب . يأتي اللاعب الثاني وهدفه ان يضرب ودّه في الارض بطريقة يغرز فيها ودّه ويقتلع ودّ خصمه . يربح ودّ خصمه اذا أطاره من الارض او « نيّمه » الى الارض شرط ان يبقى وده غارزاً في الارض قائماً . يأتي الثالث ويحاول اقتلاع ود آخر وهكذا دواليك . قد يتفق اثنان على ودّ واحد فيقول الواحد للآخر : حاول ان تحني هذا الود قليلاً وانا أجهز عليه ، او زحزحه او رخرخه وانا علي الباقي ، اي انني انوّمه الى الارض .

---

(١) النعص الارض المعشبة القريبة من ماء . والنعص ارض موات شديدة نسبة لتماسك الجذور في ارضها ، واكثر ما يطلقونها على الارض التي ينمو فيها التبّل (Tilia)

ويظل اللاعبون يلعبون حتى يأخذهم الملل . ويحرص الاولاد ان يذهبوا الى احراش السنديان فيقطعون الاغصان التي يرون فيها « معتوتاً » لا يقهر ، ويسمونه « ابو هدلان » « والقالوع » و « الفاروز » واسماء اخرى . ولا شك ان في اللعبة كثيراً من الفن والتحايل .

خرج الملاح :

وهي لعبة في القوى ، ولا سيما في قوة الحمل وصلابة الظهر . ينام ولد قوي على بطنه ويأتي اثنان ويجلس كل منهما الى جانب المستلقي على بطنه ويضعان اخمص القدمين ضد بعضهما ، ويتشابكان بالايدي ويضغطان الى اسفل ما استطاعا الى ذلك سبيلاً . واللعبة ان ينهض بهما النائم فيصبحان كالخرج على سرج الدابة . يلعبان هذه اللعبة على شرط او رهان فاذا نجح في النهوض بهما خسرا الشرط ، واذا لم يستطع النهوض بهما خسر هو الشرط .

دحو الكعاب :



الكعب هي عظمة في الركبة ، والكعب الذي يلعبون به هو كعب الخروف . ويلعبون به العاباً مختلفة ، وفي اماكن يقامرون به . « ودحا » الكعب رماه ليرى على اية جهة يستقر على الارض . (راجع الرسم) اذ ان للكعب ٤ أوجه ولكل وجه اسم : الظهر يُسمّى الحمار (رقم ٢ في الرسم) ، والبطن . الكلب ، (رقم ٣) والوجه

الثالث وزير (رقم ١) والوجه الرابع سلطان (رقم ٤) . ومن الالعاب المستحبة ان يأخذ احدهم كعباً ويرميه ويقول :

سليم يا كعب ؟ فينادي حمار ! او كاب ، او سلطان ، او وزير تبعاً للجهة التي استقر عليها الكعب .

والسؤال الثاني : مين بيّو يا كعب ؟ حمار ، او سلطان ...
والسؤال الثالث : مين امّو يا كعب ؟
والسؤال الرابع : اوّلته يا كعب ؟
والسؤال الاخير : آخرته يا كعب ؟

والجواب يكون تبعاً للجهة العليا التي يستقرّ عليها الكعب .

الابرة والدبوس :



الابرة والدبوس

(ا) عدد اللاعبين :

يفضّل الاّ يكون اكثر من اربعة : اثنين ضد اثنين .

(ب) ادوات اللعبة :

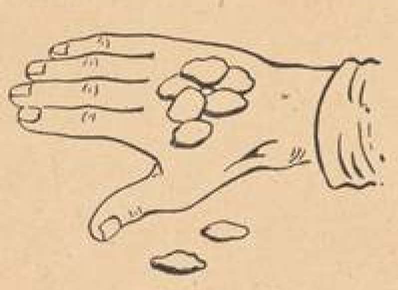
اولاً ، عود قوي رفيع من السنديان طوله ٢٥ — ٣٥ سنتم ويسمونه الابرة . ثانياً ، عود قوي اغلظ من الابرة واطول وهو الدبوس . توضع الابرة على حجرين يسميان المحج (راجع الرسم) على علو ٢٥ سنتم . اما الدبوس فمطرقة يضرب بها اللاعب الابرة ليبعدها عن الحجرين .

(ج) قوانين اللعبة :

يقترعون ليروا من يبدأ اللعبة . توضع الابرة على الحجرين ، فيأتي اللاعب الاول ويضربها ضربة قوية يطيّرها بعيداً ، على لغتهم . فاذا تلقاها الفريق الثاني « على الطاير » خسر اللاعب دوره فيحل الثاني محله . اما اذا لم يتلقها الفريق الثاني على الطاير فان احدهم يأخذ الابرة ويرميها نحو المحج ، فاذا اتت الابرة عالية وهي بعد في الهواء يحق للذي ضربها ان يردّها بضربة من دبوسه . في هذه الحالة تقاس المسافة بالابرة من حيث استقرت الى المحج ، اي ليرى كم ابرة هنالك بين المحج والمكان الذي استقرت فيه : ٥ أبر ، ٦ ، ٢٠ أبرة . وهذه تحسب نقطاً ربحاً للاعب ، اما اذا لم يستطع اللاعب الاول ان يردّها فتُقاس المسافة من حيث استقرت الى المحج . واذا استقرت على مسافة من المحج اقصر من طول الابرة فان اللاعب يخسر . واللعبة تقوم على من يصل اولاً الى العدد مئة . الذي يصل اولاً هو الفائز ، ثم تعاد اللعبة مرّة اخرى وهكذا دواليك .

لعبة اللاقوش (وبعضهم يسميها اللاقوط) :

اللاقوش او اللاقوط (الذي يلتقط به) حجر صغير مستدير رقيق ، او قطعة صغيرة مستديرة من « الدّحاح » والدحاح قطع الفخار المتكسّرة . يلعب هذه اللعبة اثنان او ثلاثة او اربعة كلٌ لنفسه (دون ان يكون هنالك شراكة) يأخذ اللاعب عدداً كبيراً من هذه الحجارة او الدحاح (ويسمونها لواقيش او لواقيط) بقدر ما يستطيع جمعه او تحضيره . ومبدأ اللعبة هو ان يكسب اللاعب اكبر عدد من هذه اللواقيش . قبل



لعبة اللاقوش او اللاقوط

كل شيء يقترعون فيما بينهم ليروا مَن الاول فالثاني فالثالث فالرابع . كل لاعب يضع في اللعبة ستة لواقيش او لواقيط من اللواقيط العديدة في حوزته . فاذا كانوا ثلاثة كان عدد اللواقيش ١٨ واذا كانوا اربعة كان عددها ٢٤ . يبدأ الاول بأخذ اللواقيش كلها جملة ويرميها في الهواء قليلاً ويضع يده اليمنى تحتها قبل ان تصل الى الارض محاولاً ان يقع اكبرُ عدد من اللواقيش على قفا كفه . قد يسقط على قفا كفّه ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١٥ ذلك راجع لكبر كفه ولبراعته في اللعب . ثم انه يرفع ما على قفا كفه في الهواء ويدير يده الى جهة راحة الكف ليتلقاها كلها ، فاذا فشل وسقط منها واحد الى الارض خسر دوره فيأخذ الثاني محله باللعب . اما اذا تلقاها كلها فانها ربح له . ثم يتابع اللعب على الشكل التالي : يأخذ لاقوشاً واحداً ويرفعه في الهواء ثم يحاول ان يأخذ من اللواقيش المبعثرة هنا وهناك واحداً (او اكثر اذا استطاع) بيده ويتلقى اللاقوش الذي في الهواء . واذا مسّ لاقوشاً ولم يأخذه بيده فانه يخسر حقه في اللعب ويأخذ الدور اللاعب الذي بعده . وتستمرّ اللعبة على هذا النحو الى ان يتعبوا او يسأموا .

يا حبلمو يا حبلمو[1] :

ومن الالعاب التي يستأنس بها الصغار ويميلون الى لعبها « عِدّية يا حبلمو » . يشكل الاولاد الصغار ، بناتاً وصبياناً ، حلقة . يتماسكون بالايدي شرط ان يكون التماسك بادخال اصابع اليد بين اصابع اليد الاخرى ، اي ان تكون الاصابع متشابكة . ثم انهم يختارون واحداً منهم ، او قد يتبرع احدهم ليكون في نصف الحلقة ويسمونه الوسطاني . تدور الحلقة فيقول الوسطاني :

---

(١) لم يستطع احد في القرية تفسير اللفظة . اما لفظ ܘ في اخر هذه الالفاظ ، وفي شبيهاتها من الالفاظ الواردة في العاب الاولاد مثل مشطو وستّو في لعبة طابة المحج ، فهو عندي لفظ ܘ السرياني حسب اللفظ اليعقوبي (او الماروني اللفظ السرياني)

يا حَبلَمُو !

فترد عليه الحلقة : يا مَبلَمُو !

الوسطاني : وين الجمال ؟

الحلقة : تحت القنطرة

— : شو اكلهم ؟

— : حبّ الذرة

— : شو شربهم ؟

— : قطر الندى

— : يا عمّي القعق

— : جوّزني بنتك

عندما يصلون في عديتهم الى هنا يتركون ايدي بعضهم المتشابكة ويقفزون قفزاً ويصفقون قائلين :

حَبّ الطقش

بيفقش فقش

بيبري قلام الصّوانة

ويخيّل الينا ان هذه اللعبة قديمة ، وظاهر انها بقية باقية من لعبة لها شروط اخرى غير هذه . ذلك لانها لا تنتهي بفوز او خسارة ، ولا تقوم على مبدأ معين من مبادىء اللعب كغيرها من الالعاب . ناهيك عن ان الالفاظ المستعملة مبهمة مما يعزّز ظني انها بقية لعبة قديمة تعود الى زمن السريانية او الآرامية .

حزي قبي (حزة قبة ؟)[١]

وتعرف باسم آخر القيقزة[٢]، واسمها الآن بين اولاد هذا العهد «يا طالعة يا نازلة». وهي لا تختلف عن الالعاب الحديثة المنظمة التي تُلعب في حدائق الاطفال. انما نريد ان نذكر عدّية يغنيها الاولاد وهم يلعبون هذه اللعبة :

قاڤي حنّا   وقاڤي بنّا
كوك بحنّا   كوك بزبت

الدلك :

ترسم دائرة كبيرة في وسط الساحة وينتقون ولداً قوياً يحسن الركض ليكون في الوسط. اللاعبون (وعددهم غير محدود) يحاولون، ان يهاجموه في عقر دائرته ولهم ان يضربوه او ان يصفعوه او ان يرفسوه، اما عمله (عمل الذي في الوسط) فهو ان يمسك باحد المهاجمين ويسمره في وسط الدائرة الى ثوان معدودات. اذا نجح في هذا فان المُمسَك به يحلّ محله، اي يدخل وسط الدائرة ويكون معرضاً لهجمات اللاعبين الذين يضربونه ويرفسونه ويصفعونه الى ان ينجح في القبض على واحد منهم داخل الدائرة بطريقة يسمّره هناك الى ثوانٍ قليلة. وهكذا دواليك.

---

(١) الأثر السرياني في هذه اللعبة ظاهر في الاسم. فان حزّي (حِزّة) يجب ان تكون ܚܙܐ ومعناها الانخفاض والوهدة والنزول، وقبي (قبة) من ܩܦ ومعناها ارتفع مثل اللفظة العامية قبّ بمعنى نهض وقام. فيكون اسمها الجديد « يا طالعة يا نازلة » ترجمة الاسم السرياني القديم : حزة قبة.

(٢) في عامية لبنان المقوقز غير الثابت المتأرجح او الجالس على حافة او على مكان غير ثابت.

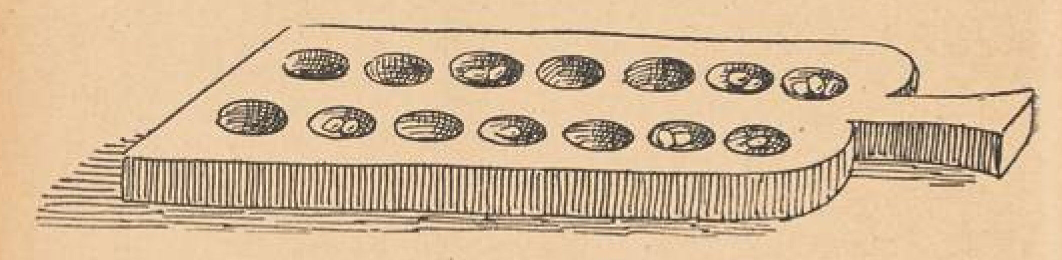
العاب تسلية للرجال :

اتباعاً لخطتنا في تسجيل الامور التي هي في طريقها الى الزوال ، فاننا لن نأتي على ذكر الالعاب الشائعة كالعاب الورق المختلفة : الداكة (او الميتين) الباصرة ، البردج ، الميخا ، والنرد (= الطاولة) والداما ، والشطرنج ، والعاب كرة القدم والتنس وغيرها فانها العاب باقية وستبقى . انما نريد ان نذكر لعبتين هما في طريقهما الى الزوال ، او بالاحرى واحدة منهما قد زالت تقريباً ، وهي لعبة المنقلة والثانية لعبة الدريس .

المنقلة :

وقد قيل فيها بشكل احجية :

ارملة وٱلها زوجين	عميا باربتعشر عين
عاقر ما بتجيب ولاد	الها مية الا تنين



المنقلة

وتسمى منقلة (اسم مكان من نقل او اسم آلة) لان اللعبة تقوم على نقل – او بالاحرى تفريق – الاحجار في الخانات من واحدة الى اخرى بحيث تنتهي – احياناً – في خانة فيها زوج او اربعة من الحجارة فيربحها اللاعب كما سيجيء وصفه .

والمنقلة لوح خشبي سميك مستطيل طوله ٦٥ – ٧٥ سنتيمتراً بعرض ٢٥ – ٣٠ سنتيمتراً . وهذا اللوح من الخشب الصلب (السنديان او الجوز) الصقيل الناعم . يُنقر في هذا اللوح ١٤ جورة في صفين متقابلين ، لكل لاعب جهته التي فيها ٧ جُوَر او خانات . يضعون في كل جورة ٧ أحجار صغيرة ملساء بحجم حبة الفول الصغيرة تؤخذ من على شاطىء البحر او من مجرى النهر (راجع الرسم صفحة ٢٥٥)

مبدأ اللعبة :

يقوم على الفوز بربح اكثرية الحجارة ، اي ٥٠ حجراً من اصل ٩٨.

قوانين اللعبة :

يقترعون لمعرفة البادىء باللعب . ينتقي اللاعب جورة من جوره ويأخذ الحجارة فيها (وعددها ٧) ويوزعها واحدة واحدة على كل جورة مبتدئاً من اليسار الى اليمين . ثم يأتي دور اللاعب الثاني فينتقي خانة ويوزعها واحدة واحدة من اليسار الى اليمين . والمهارة في اللعب ان توزّع حجارة الجورة بطريقة يظن صاحبها (او يقدّر تقديراً) انها تنتهي في جور يصبح فيها ، بعد التوزيع ، زوج او اربعة من الحجارة في جورة او جور متتالية . في هذه الحال يربح هذه الازواج او الاربعات . والافضل ان يكون الربح في خانات الخصم لا في خاناته . ولنأخذ مثلاً نبين فيه طريقة الربح . لنفترض انّ في خانات الخصم ٣ خانات متتالية في كل واحدة منها حجر حجر . فاذا استطاع اللاعب ان ينتقي جورة يقدر ان حجارتها تنتهي بعد التوزيع في هذه الخانات الثلاث فانه يربحها لانها تصبح ٣ أزواج في ثلاث خانات متتالية . ولنفترض على سبيل المثال ايضاً ان في خانات الخصم خانتين في كل منهما ٣ أحجار فاذا استطاع اللاعب ان يُنهي التوزيعَ في هاتين الخانتين فانه يربح حجارتها لانه يصبح فيها بعد التوزيع اربعة اربعة . فتكون مهارة

اللعب اذن في الا ّ يفرّغ الخصم خانات متتالية كثيرة . وفي حال اضطراره (وقد يضطر الى ذلك لان قوانين اللعب تفرض عليه ان يوزع حجارة خانة كلما جاء دوره في اللعب) فيحسن به الا ّ يترك فيها حجراً حجراً او ثلاثة ثلاثة ، لانه يسهل على الخصم ربحها . واللعبة التي تقرّر الربح النهائي هو ان يحتفظ اللاعب بخانة لا يوزّع حجارتها بل يتركها ليزداد عددها . وله ان يحصي عددهـــا ليعرف اين تنتهي ويبقي احصاءها سرّاً يحتفظ به . هذه الخانة او الخانات الكبيرة اذا وزّعت في آخر اللعب فانها احياناً تنتهي بازواج عديدة او اربعات عديدة لان خانات كثيرة تكون قد فرغت من الحجارة .

قد يبدو لاول وهلة ان اللعبة بسيطة لا فن فيها ولا حساب ولا خطة . ولكن الامر على نقيض هذا ، فانها لعبة مسلية ممتعة تحتاج الى وضع خطة والى ملاحظة ودقة حساب . فان بعضهم يستطيع ان يعرف عدد الحجارة في خانات الخصم (او على وجه التقدير) .

تنتهي اللعبة عندما لا يبقى في خانات الخصم حجر واحد . اذا ظل هناك حجر واحد او حجران فان من شروط اللعبة ان يظل ينقل من اليسار الى اليمين حتى تستقر هذه الحجارة اخيراً في خانات صاحبه فيربحها ذاك .

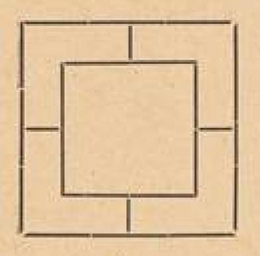
لعبة الدريس :

وتلعب على مخطط يمكن رسمه على حجر او لوح خشبي . هنالك مخططان يختلفان تبعاً لعدد الاحجار التي يُلعب بهـــا . فانهم يلعبونها بتسعة (لكل لاعب تسعة) او ب ١٢ . (راجع الرسم صفحة ٢٥٨)

قوانين اللعبة :

يقترع اللاعبان ليريا من يبدأ . يبدأ اللاعب بوضع حجر عند نقطة

تقاطع يختارها . ثم يلعب الثاني ثم الاول وهكذا دواليك . والمبدأ الذي تقوم عليه اللعبة هو منع الخصم من ان يضع ٣ أحجار في ٣ نقاط تقاطع على خط واحد فانه اذ نجح في هذا الوضع يحق له ان يربح حجراً من حجارة خصمه الموضوعة على اللوحة لا من الحجارة التي في يده . ومعنى هذا ان الرابح ينتقي حجراً في مكان خطير او ستراتيجي يخاف شرّه في المستقبل . ينتقي الرابح حجراً من هذا النوع . ويأمن لاعب الدريس الفوز لنفسه اذا نجح في وضع حجارته بشكل يسمونه « المنشار » . يتم المنشار اذا استطاع لاعب ، على غفلة من خصمه ، ان يضع ٤ أحجار على طرفي ضلعين متوازيين ويبقى التقاطع الاوسط لحجر يصعد وينزل كحركة المنشار . فاذا نزل ربح واذا صعد ربح ، لانه في الحالتين يصبح عنده ٣ أحجار في ٣ نقاط تقاطع في الضلع الواحد ، وعليه يأخذ حجراً من حجارة خصمه . وفوز الذي ينجح في بناء المنشار اكيد . وعليه قد يتنازل له خصمه ويبدأان لعبة جديدة . ولهم مصطلح اصبح مثلاً او قولاً سائراً « طبق الدريس » اي ان الامور استقرت على احسن ما يرام . يقولون « فتح الدريس » « وطبق الدريس »



دريس ال ٩

الفصل الثاني عشر

اعياد القرية اللبنانية

اعياد القرية الدينية (القرية المسيحية[١]) كثيرة تقع في مختلف الفصول . ويشيرون احياناً الى هذه الاعياد بقولهم « بطالة » اي انقطاع عن العمل ، اذ ان في كثير من الاحيان ، ولا سيا في الاعياد الصغيرة ، لا يتعدّى العيد كونه يوم بطالة وسماع القداس صباحاً .

لم نلحظ ان في القرية اللبنانية اعياداً شعبية علمانية اي لا علاقة للتقليد الكنسي بها الا اذا اعتبرنا « العونة » بقية من بقايا الاعياد الزراعية القديمة . وقولنا هذا لا ينفي وجود عناصر غير كنسية في اعياد القرية ، ربما هي بقايا الاعياد الوثنية السابقة . ومعلوم ان اكثر الاعياد المسيحية ذاتها كانت اعياداً وثنية تبنتها الكنيسة وهذّبتها وليّنتها ولاءمتها للاعياد المسيحية . ومن الطبيعي ان يرافق هذا التبنّي الاحتفاظ بكثير من العناصر الوثنية كما اشرنا الى ذلك في دراستنا عيدين كبيرين من اعياد الكنيسة المسيحية هما عيد الميلاد وعيد الفصح او العيد الكبير[٢] . هذا ولا يزال في اعياد القرية اللبنانية اثر من الاعياد الفينيقية القديمة .

---

(١) لان للدروز عيدين كبيرين فقط ويُعرفان بالعيد الكبير والعيد الزغير وهما عيدا المسلمين : عيد الضحية او الاضحى وعيد الفطر . ولا تختلف طقوس الاحتفال بهما عن الطقوس الشائعة عند المسلمين .

(٢) نشر المقالان في مجلة الابحاث التي تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت ، الاول في عدد شهر كانون الاول سنة ١٩٥٢ المجلد الخامس ، والثاني في العدد الاول من المجلد الخامس ص ٦٦ — ٨٦ .

فان بالقرب من دير القلعة ، الذي كان في الاصل معبداً فينيقياً للاله « مرقود » اله الرقص والغناء ، كنيسة مبنية على اسم قديس هو مار سركيس . ومن مميزات هذا العيد الرقص والغناء والمأدبة ، والشراب . ويتّهم الذين يحضرون من القرى المجاورة للاحتفاء بالعيد بانّهم ينسون ان العيد عيد دينيّ لانهم يسترسلون في الطرب والمرح الى حدّ يخرجهم عن نطاق الكنيسة ويدخلهم في عداد الوثنيين الفينيقيين .

سنذكر في هذا الفصل بعض ما يرافق الاعياد الكنسية مما هو ليس من الكنيسة ، اي غير منصوص عليه دينياً . ولن نذكر الاعياد الخاصة المحلية التي تحتفي بها قرية دون سواها . فان في القرى اللبنانية اعياداً لها طابع خاص وتقاليد خاصة لا تعرفها القرية المجاورة ، انما سنذكر الاعياد العامة المشتركة .

تبني الاعياد :

من العادات اللبنانية الشائعة عند المسيحيين تبنّي عيد دينيّ ما . وكثيراً ما يكون العيد المتبنّى مطابقاً لاسم المتبني . فان عيد مار مخايل يتبناه (او تبناه اولاً) رجل اسمه مخايل ، وعيد مار يوسف يتبناه (او تبناه اولاً) رجل اسمه يوسف . ومن العادات المتبعة ان يبقى في العائلة اسم مخايل ليبقى عيد مار مخايل لهم او يوسف ليبقى عيد مار يوسف لهم .

وتبنّي العيد امر اختياري ولكنه موروث يتوارثه الابناء عن الآباء والجدود . فمنهم من يكون عيدهم الخاص عيد الفصح او عيد السيدة او عيد مار جريس او عيد مار تقلا . ويحفظ الخوري قائمة باسماء الاعياد واسماء العائلات التي تتبناها . واذا وجد ان هنالك عيالاً جديدة لا عيد لها اقترح الخوري تبني عيد ما (ولو كان عيداً مغموراً) . في يوم العيد يحتفي صاحب العيد بصنع وليمة يدعو اليها الكاهن واصدقاءه واقاربه . بعد القداس يحضر الخوري ويبارك الطعام

ويشتركون في مأدبة فاخرة . ويعطي صاحبُ العيد شيئاً من المال للكاهن ، والكاهن بدوره يذكر صاحب العيد في القداس ويباركه ويترحم على موتاه .

عيد الميلاد :

ويقع في ٢٥ ك١ . وهو ليس من الاعياد الكبيرة ولا يرافقه ما يرافقه في الاقطار الشمالية من شجرة مزدانة بالشموع والالوان والمآكل ومن الولائم والتهادي لان الميلاد في مبدئه عيد شمالي جرماني . غير انهم يضعون على منضدة او في زواية شبه مغارة ، وينتظر الاولاد وجبة طعام شهية : ديكاً محشياً او دجاجة محمّرة او ضلعاً او رقبة محشية او صينية كبة وبعض الحلوى .

راس السنة :

ويسمونه « صباح الخير » او عيد البسترينة . والبسترينة تحريف كلمة لاتينية لاسم الالهة Strenia . كانت الهدايا التي تُهدى في عيدها تعرف ب Strenai (وعند الافرنسيين Etrennes) وظلت العادة الوثنية باقية في عيد رأس السنة . وليس رأس السنة عيداً دينياً بل شعبياً . ويتميّز بامرين : « تجريب الحظّ » والتهادي او اعطاء الصباحية . اما تجريب الحظّ فان الغرض منه معرفة ما ستكون عليه السنة المقبلة . فان من يربح يتفاءل بان السنة سنة حظ وخير ، ومن يخسر يتشاءم وينتظر الخسران . يبدأون بالعاب المقامرة في السهرة ويظلون يلعبون الى ان تطل عليهم السنة المقبلة فيقومون الى مائدة او تقدّم لهم الحلوى ويعيّد بعضهم بعضاً . ويجب ان نذكر ان المقامرة بالدراهم لم تكن معروفة اطلاقاً . بدلاً من النقود كانوا يستعملون الجوز واللوز .

اما « الصباحية » فلها عرف ولها شروط . اما العرف فيقضي ان

يُعطي الكبارُ الصغارَ ، والموسرون الفقراءَ . ومن شروط الصباحية ان من يسبق صاحبَه في قوله : « صباح الخير ، صباحيتي عليك » يُعطَى صباحية . ولذلك يبكّر الاولاد الى والديهم فيقولون : صباح الخير ، صباحيتي عليك ! ويقبّلون ايديهم فيعطونهم بعض النقود . ثم يذهبون (الاولاد) الى الجدّ والجدة والعم والخال فيدخلون ويقولون : « صباحيتي عليك ! واكثر ما تكون الصباحية للاولاد . ولكن كما قلنا آنفاً تقضي العادة بان يُعطي الموسرون الفقراءَ والملاكون عمالَهم ومرابعيهم . وقد علمنا ان بعضهم يعطي عطاءً سريّاً ، وهذا من النواحي الجميلة المشرقة في حياة القرية .

عيد الغطاس :

ويقع في السادس من كانون الثاني وهو تذكار معمودية المسيح ، وفي السريانية يسمى « دنحا » اي الاشراق . وهو تذكار نزول الروح على المسيح بشكل حمامة . يتميّز هذا العيد بطقوس ومعتقدات كثيرة .

يتميّز بصنع الحلويات : الزلابية ، المعكرون ، العوّامات ، واقراص بسمن وسكر . يقلونها مساءً ويعطونها للصغار . ويعتقدون ان في هذه الليلة تسجد الاشجار للمسيح الا بعضها : التوت . فانه « جبّير » اي شجر صلب عنيد ، وكذلك شجر التين لان المسيح لعن التينة . وفي هذه الليلة يغيّر الناس خميرتهم . الخميرة تبقى في البيت من عجنة الى عجنة طوال السنة . فاذا اتى الغطاس غيّروها . يعجنون قليلاً من الدقيق ويجعلونه قرصاً يرسمون عليه علامة الصليب ثم يضعونه في كيس مصنوع من الشاش الابيض ويعلقونه في شجرة غير شجرة التوت او التين ويتركونه الى الصباح . ومنهم من يضع في الخميرة نقوداً — والافضل ان تكون فضيّة — وفي الصباح يتقاسمون هذه النقود التي تبرّكت بالخميرة ويضعونها « خميرة » في الجسدان او في الكمر تيمّناً . ويعتقدون ان في هذه الليلة يمرّ المسيح في البيوت بطريقة لا تُرَى .

فهي ليلة مقدسة يحسن بهم ان يسهروا وان يصلوا لكي يراهم المسيح قائمين يصلّون . وبعض النساء يذهبن في تلك الليلة ويحرّكن ما في كواير المونة : الدقيق ، البرغل ، العدس ، التين ، الزبيب ، ويهززن الخوابي التي فيها الزيت والخمر فيباركها المسيح عند مروره فتكفيهم الشتاء كله .

سبت العازر :

وهو تذكار اقامة المسيح العازر من الموت . في هذا السبت يمثلون قيامة العازر من الموت . يجتمع الاولاد فيُلبِسون واحداً منهم ثوباً ابيض من قمة رأسه الى اسفل قدميه فلا يُرى وجهه . ويلبس اثنان منهم السواد . عند دخولهم البيت ينـــام العازر (اللابس الابيض) ويتمدّد كالميت . ويركع احدهم ، ويكون لابساً الاسود ، عند رأسه والآخر عند قدميه ويضمان اليدين في وضع الصلاة . ثم ينقسم الاولاد الى فئتين ويتناوبان قراءة نشيد من اناشيد عديدة استطعنا ان ندوّن بعضها ولكن اكثرها من النظم الركيك العامي . وقد اكتفينا بذكر النشيد التالي ، وهو افضلها . يقول الفريق الاوّل القائم عند رأس العازر :

افرحي يا بيت عنيا نحوك وافى الاله
من به الاموات تحيا كيف لا وهو الحياة

فيردّ الفريق الثاني :

ان مرتـــا استقبلته ببكاء وعويـــل
وشكت لمـــا رأته شدّة الحزن الطويل

الفريق الاوّل :

صرخت بالحال ربي انت هو نعم الشفيق
فأعِني ان قلبي ذاب من فقد الشقيق

دور : قال كفي عن بكاك ودعي هذا النحيب
واعلمي ان اخاك سوف يحيا عن قريب

دور : ثم نحو اللحد بادر ذلك الفادي الامين
حينما نادى لعازر انهضن يا ذا الدفين

هنا ينهض العازر ولكن جماعة الممثلين يتابعون :

ايها الاختان هيا وانظرا الامر العجيب
عاد من في اللحد حيّا فاشكرا الفادي الحبيب

لك يا رب البرايا نحن نجثو بخشوع
اننا موتى الخطايا بك نحيا يا يسوع

عيد البربارة :

والبربارة قديسة شهيدة (٣٠٦) استشهدت في فلسطين . ويقع عيدها في الرابع من كانون الاول . ويتميّز العيد بامرين : اولاً بسلق القمح وصنع القطايف ، ثانياً بالمساخر التي يقيمها الاولاد . يُسلق القمح ويُضاف اليه السكر وجميع اصناف القلوبات : الصنوبر والجوز واللوز والفستق الحلبي ، وينكّه بماء الزهر (المقطّر من زهر الليمون) ويؤكل مساء عيد البربارة ويقدّم للضيوف . اما الاولاد فيضعون على وجوههم براقع عليها صور مختلفة قبيحة مستهجنة مخيفة كوجوه الحيوانات ، ويلبسون اسمالا وثياباً عتيقة غنية بالالوان الزاهية ، ويذهبون من بيت الى بيت مطبّلين مزمرين قارعين على ما يحدث صخباً وضجة . فتفتح لهم صاحبة البيت وتعطيهم نقوداً او حلوى .

الشعنينة (احد الشعانين)

وهو عيد تذكار دخول المسيح الى الهيكل في الاحد السابق لقيامته .

واللفظة عبرية الأصل : « هوشيعنّا » ومعناها خلّصنا . يتميّز العيد ببهجته وفرحه . فانه يقع عند مقدم الربيع . يرى الواحد في يد كل ولد « شعنينة » اي باقة من الزهر ، او شمعة تحيط بها « شعنينة » يضيئونها في الكنيسة . ويتميّز العيد بالثياب الجديدة ذات الالوان الزاهية . فانهم ، في القرى ، يشترون الملابس الجديدة قبل احد الشعانين لكي يلبسوها في العيدين الكبيرين : احد الشعانين وعيد الفصح .

عيد الفصح او العيد الكبير :

وهو تذكار قيامة السيد المسيح . وهو حقاً العيد الكبير في القرى اللبنانية المسيحية . يقع هذا العيد في الربيع مما يزيد في بهجة العيد ورونقه . وقد ذكرنا ان الثياب الجديدة والاحذية الجديدة تُشترى في مثل هذا الموسم ، فترى الناس وكأنهم يحتفون حقاً بالعيد .

يتميّز العيد بامور عديدة منها المعايدة . يعايد القرويون بعضهم بعضا في بعض الاعياد ، واما في عيد الكبير فالمعايدة عرف لا يجوز الخروج عليه . بعد القداس يسير الرجال زرافات من بيت الى بيت فيدخلون ويحيّون بتحيّة العيد : « المسيح قام » . فيردّ عليهم من في البيت : « حقاً قام » . « كل عام وانتم بخير ، ينعاد عليكن مواسم عديدة وانتو بخير وعافية » . ويُقدَّم للمعايدين البيض الملوّن المسلوق والكعك المصنوع من الطحين المعجون بالحليب والمحلّى بالسكّر مضافاً اليه حب المحلب .

ويتميّز العيد بسلق البيض والمداقة به . وهذه عادة شائعة يترقبها الاولاد بفارغ الصبر . يبدأ الاولاد بجمع البيض من دجاجات البيت في اول الصيام . ويتباهى الاولاد في ساحة القرية ايّهم جمع اكبر عدد من البيض ليُسلَق نهار السبت الذي يسبق أحد القيامة . يُلوّن البيض باضافة ورق التين فانه يكسبه لوناً حشيشياً جميلاً . ويُسلَق مع ورق البصل فيُكسِبه لوناً احمر زاهياً . ويُسلق مع قطعة من طربوش عتيق فيُكسبه لوناً احمر غامقاً .

يُعطى الاولاد عدداً من البيض بالنسبة لغنى العائلة بالبيض . فيذهبون توّاً الى الساحة للمداقة . والمداقسة ضرب بيضة ببيضة اخرى من احد طرفيـــها . يسمى الطرف الضيّق الراس ، والطرف المستدير يسمى العقب . يتفق المداقان على ان تكون المداقسة الراس على الراس او العقب على العقب او الراس على العقب او العقب على الراس حسبما يكون الاتفاق . وكذلك يتمّ الاتفاق على « الفيحة »[1] فان البيضة تؤخذ بقبضة الكفّ ويُكشَف عن احد طرفيها بشكل دائرة حافتها الابهام والسبّابة . يشترط المدقان ان تكون الفيحة كافية ليستطيع الضارب ان ينقف البيضة من على الجانب فان قشرة الجانب اضعف من قشرة راس الطرف (راجع الرسم) . وكذلك يتفق المداقان على من « ينزل » اي من ستكون بيضته المضروبة . يكسب من تكسر بيضتُه بيضةَ صاحبه .



ويتميز العيد بالنقل . والنقل ما يُقدم من حلويات على طبق كبير او صينية او صدر . ونقل عيد الكبير يختلف عن النقل العادي البسيط . فعلى النقل تجد البيض المسلوق والكعك بحليب ، والبقلاوة عند الموسرين والمشبّك وراحة الحلقوم وملبس على قضامة وملبس على لوز وملبس على كزبرة وبندق .

العنصرة :

او اليوم الخمسون بعد الفصح (Penticost) وهو تذكار حلول الروح

---

(١) من فعل فاح العامي ومعناها كشف وابان .

القدس على التلاميذ . ولفظة العنصرة عبرانية معناها الجمع والحشد . يتميز العيد بالاراجيح (المرجوحة وجمعها المراجيح) ينصب الاولاد مراجيحهم في الشجر العالي او في السقوف العالية او بين عمودين ينصبان لهذا الغرض ويتمرجحون النهار بكامله . ولا يرافق العيد شيء من الاحتفاء به عند الكبار سوى الذهاب الى القداس صباحاً . وهو يوم بطالة .

عيد الرب او عيد التجلي :

ويقع في ٦ آب ، وهو عيد تذكار تجلّي السيد المسيح على جبل طابور . ويتميّز بالصلاة على العنب . فان الخوري لا يأكل عنباً قبل السادس من آب . يُدعَى الخوري الى وليمة يقيمها متبني العيد (راجع ما قلناه عن تبني الاعياد الدينية ص ٢٦٠) ويُحضِر طبقاً من العنب فيصلي الكاهن على العنب ويتناول حبة او حبتين ويأكلها . وهذا يصدق على الاماكن المنخفضة في لبنان لان العنب لا ينضج في المناطق العالية (فوق ١١٠٠ متر) قبل اوائل ايلول . وقد قيل لي حتى في هذه المناطق العالية يؤتى بعنب ناضج من الاماكن المنخفضة ليباركها الخوري .

عيد الصليب :

او عيد رفع الصليب ويقع يوم الرابع عشر من شهر ايلول . وهو تذكار العثور على الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح . ولكي يوصلوا الخبر الى الملكة هيلانة في القسطنطينية ، كانوا ، حسب العادة القديمة ، يوقدون ناراً على رؤوس الجبال . وهذا العيد في القرى اللبنانية المسيحية عيد له بهجته وله رونقه لانه يتميز بالقبابيل (ومفردها قبّولة[1]) وهي كناية عن اكداس الحطب والقش والهشيم اليابس يجمعها الاولاد نهاراً ويهيئونها على القمم وعلى السطوح وفي الاماكن

---

(١) القبّولة نار حطب وهشيم (او رماد مجبول بالنفط) شديدة .



قبُولة عيد الصليب . . . .

المشرفة وفي الساحات العامة ويوقدونها ليلاً . ومنهم من يذهب صباح العيد من بيت الى بيت يستجدي ربات البيوت لاعطائهم زيت الكاز . وما يتجمّع عندهم يجبلون به رماداً يجمعونه من المواقد تحت السطيحات وامام المدّ او المراح . ثم يفرقون هذا الجَبْل اقراصاً اقراصاً على سطح الكنيسة او على سطوح البيوت ويشعلونها . اما ما يرافق العيد في يومنا هذا من مفرقعات والعاب نارية فمستحدثة . ومن معتقداتهم ان الماءَ اذا سُخّن على نار « قبُولة » الصليب تشفي العين من امراضها وتقي الجلد من العدوى . ولذلك يعمدون الى تسخين المـــاء وغسْل الوجوه والعيون بهذا الماء ، ولا سيما عيون الاولاد .

عيد السيدة :

ويقع في الخامس عشر من شهر آب وهو تذكار موت مريم امّ المسيح . وليس في العيد ما ليس بكنسيّ سوى ان في بعض القرى يرافقه ولائم ورقص وغناء واطلاق رصاص . وفي قرية بجمدون يذبحون خروفاً (او اكثر) ويطبخون بلحمه هريسة تُفرّق على الناس صباح العيد في باحة الكنيسة . وفي جرود القلوق يحتفي بــه المسيحيون ويشركهم في بهجة العيد العربان الحالون في تلك الجرود وبعض المسلمين من القرى المجاورة . ولهذا العيد مقام مرموق في خلدة على ساحل البحر . فانهم يحتفلون به احتفالاً رائعاً في كنيسة السيدة ، وبعد القداس تقام حفلة زجلية يتبارى فيها قوّالو المنطقة .

اربعاء ايوب :

ويسميها بعضهم اربعة البراقطة . وهو عيد يشترك فيه غير المسيحيين . ويقع يوم الاربعاء في اسبوع الآلام . والتقليد العامي الشائع ان في هذا اليوم عثر ايوب في بلواه على عشبة (ويسمونهـا حشيشة ايوب)

بلّتها في الماء زمناً حتى نضحت ثمّ استحم بماء الحشيشة هذه فشفي من الامراض السبعة التي ابتلي بها . وهذا العيد يتميّز بامرين : في الساحل ولا سيما في بيروت يزورون البحر ويغسلون عيونهم فتشفى اذا كانت مريضة . ومنهم من يأخذ زهوراً (في اماكن اخرى حشيشة يسمونها حشيشة ايوب) ويبلها في الماء ويغسل وجهه بهذا الماء . ومنهم من يستحم بماء هذه الزهور . والامر الثاني الذي يتميز به العيد الاكتحال، حتى ان اليوم يسمى ايضاً اربعة البراقطة . في هذا اليوم تمشط المرأة شعرها في الظلام ويستحسن ان يكون هنالك تبن او شيء آخر يبرق . فان تمشيط الشعر في ذلك اليوم في مكان مظلم قرب شيء يبرق او يسطع يكسب الشعر لمعاناً وبريقاً . وكذلك الاكتحال يقوي العين ويزيد في صفائها ولمعانها .

عيد مار جريس :

ونختم كلامنا عن الاعياد بذكر نبذة عن عيد تحتفل به قريتنا راس المتن مع القرى المجاورة : عيد مار جريس . وهو عيد اقرب ان يكون عيداً شعبياً منه كنسياً . لانه يتميز بالفرح والبهجة والطرب والغناء والرقص . واجرؤ ان اقول انه بقية عيد فينيقي تقمصت في قديس مسيحي . وليس لنا هنا ان نأتي على ذكر مار جريس وتاريخيته ، انما نودّ ان نذكر ان في عيده بقية عيد مقدم الربيع الذي كان لبنان الفينيقي يحتفي به احتفاءً دينياً[1] .

لمار جريس دير بالقرب من قريتنا في مكان يسمى دير الحرف . ويقع هذا العيد في ٢٣ نيسان . في هذا اليوم ، وهو يوم يترقبه الناس شباناً وشابات ، رجالاً ونساءً ، احداثاً واطفالاً ، تخرج القرية لتعيّد ،

---

(١) راجع مقالاً لنا عن عيد الربيع في مجلة الابحاث عنوانه : « ادونيس ، عيد الربيع في لبنان القديم » مجلة الابحاث ، الجزء الثاني ، المجلد الاول ١٩٤٨ ص ٥٠ — ٦٤ .

لتعبّد حقا . فان الدير في بقعة جميلة مغمورة بغابات الصنوبر . فيقام في الدير مهرجان الفتوة والشباب ومعرض الغواية والتصابي . فكيف لا تخرج القرية ؟ يأخذون معهم زاد النهار ، وبعد القداس يتفرقون جماعات تحت اشجار الصنوبر — وتكون الارض بعد خضراء معشوشبة — ويشربون الى الثمالة ويأكلون كما لم يأكلوا من قبل ويغنون ويرقصون كما لم يغنوا وكما لم يرقصوا من قبل . ويظهر انه اليوم الوحيد الذي تخرج فيه القرية عن وقارها ورزانتها فترى الكهول يحاولون مرة اخرى مقارعة الشبان في قرع الجرس الثقيل وفي رفع الاثقال وفي رقص الدبكة « وهيك مشق الزعرورة يا يوّما هيك »

وطبيعي ان يكون في المقارعة بهجة وفرح . وفي هذا العيد يطلبون الى النساء اللواتي اشرفن على الكهولة او الشيخوخة ان يتذكرن زمن الصبا ، ومن الطبيعي ان يكون في تذكرهن ما يبهج وما يضحك.

بعد الغداء ، عندما تأخذ الشمس بالانحدار ، يتفرّق الشمل على ان يعودوا في السنة المقبلة . وعندنا ان عيد مار جرجس ، كما قلنا آنفاً ، هو بقية عيد شعبي متلبس بلباس ديني . ولا نشكّ ان في اماكن اخرى من لبنان شبيه هذا العيد يحتفون به في دير او عند نبع ماء .

الفصل الثالث عشر

معاز قوال الضيعة

الغناء القروي اللبناني :

للغناء اللبناني القروي طابع خاص . وهو غناء يروق ايضاً لغير اللبنانيين من العرب . يحب اللبناني الموسيقى ويطرب لها ، لا سيا الميجانا والمعنى . فقد رأينا بامّ العين نساء لهن اولاد مهاجرون يذرفن الدمع اثناء غناء العتابا ولا سيا تلك الابيات التي فيها حنين الى الوطن الامّ او التي فيها اشارة الى حبيب بعيد في ارض بعيدة . وقد رأينا بأم العين رجالاً في الكهولة والشيخوخة تترقرق دموع في عيونهم للذكرى ، للذكرى التي تثيرها اغاني القرية : الميجانا والعتابا .

وليس لنا ان نسهب في وصف الموسيقى اللبنانية القروية ، وليس لنا ان نسهب في انواع الغناء البلدي ، لان هذه الناحية الفنية الروحية ليست في طريق الزوال ، بل الامر على نقيض هذا : تحرص محطات الاذاعة على النهوض بهذه الموسيقى وعلى تشجيع النظم والغناء بها . ويبدو لنا ان هذا اللون من الموسيقى البلدية سيبقى وسيتقدّم[١] . وعليه لن

(١) ودليلنا على هذا ما يجري في ايامنا هذه.فقد تظهر اغنية جديدة ويطرب لها الجمهور وتشيع مدة من الزمن ولكن لا تلبث ان تهمل وان تُهجَر كما حدث للاغنيات التي اشتهرت مثل « يا جارحة قلبي » « يا امّ العبايا » « ع اللّوما اللوما » « ويَنو الحبيب وينو ؟ » فان الناس غنّوها زمناً ثم نسوها اما المعنى والعتابا فيبقيان .

نبحث هذا الموضوع لاننا نخرج عن الخطة التي رسمناها لانفسنا : تدوين ما هو في طريق الزوال .

انما لنا ملاحظة عن مقام الغناء والرقص والطرب في القرية اللبنانية . فانه بالرغم من انهم يميلون الى السماع ويأنسون الى حلقات الرقص والطرب فان الغناء والرقص والطرب امور يعتبرها الكهول والشيوخ تتنافى مع الوقار اللبناني والرصانة القروية . قد يتسامحون بحضورهم الاعراس والمهرجانات والمواسم التي تقام في باحات المزارات والاديرة حيث تنتظم حلقات الرقص والغناء . انما ان يكون الغناء والرقص والطرب سلوى يومية او عادة فاشية يمارسها الناس في حياتهم اليومية فامور لا يرضون عنها لا بل يشجبونها . وهذا يصدق على المتزمتين في اوامر الدين ونواهيه في غير لبنان . واما في القرية اللبنانية الدرزية ، او التي اكثريتها درزية ، فان الغناء والرقص ومظاهر الطرب الصاخب امور مكروهة دينيا ، وتعتبر من الامور التي لا تليق بالشخص الذي يهيء نفسه ليكون شيخاً عاقلاً . ولذلك لا ترى في قرى كهذه مظاهر غناء ورقص ، حتى انك لا تجد آلة موسيقية ولن تعثر على امرىء يحسن الغناء .

ان الميجانا (او العتابا) والمعنّى هما نوعا الغناء اللبناني الصرف وأكثرهما شيوعاً واحسنها استئنافاً لقلوب القرويين . كل غناء مستحدث لا يروق للجيل القديم . وقد خبرنا هذا عن كثب . فقد وجدنا عن طريق الاستقصاء ان اكثر ما يغنّى في الاذاعات لا يروق لهم ولا يميلون الى سماعه . ولكن اذا اعلن المذيع عن مغنّ او مغنية تغنّي ميجانا او عتابا ومعنّى فانهم يرهفون السمع .

ان هذين اللفظين — ميجانا ومعنّي — من اصل سرياني . تَرِدُ لفظة الميجانا الى جذر آرامي « نجن » ويفيد معنى اللحن والغناء . اما لفظة المعنى فهي اسم مفعول سرياني من وزن فعّل ومعناها المُغَنّى ܡܥܢܝܐ .

وكذلك اوزان الشعر التي ينظمون عليها ابيات الميجانا والمعنى سريانية الاصل تقوم على مبدأ المقطع . ولن نسهب في وصف الشعر العامي . فقد غنّانا عن هذا الامر اديب لبناني ، الياس منير وهيبة ، في مؤلفه عن الزجل اللبناني . ولكن يحسن بنا ان نعطي صورة عن شاعر الضيعة ، ويسمونه القوّال[1] ، وعن شعره ، وعن مقامه في افراح الضيعة واعيادها ومواسمها كما كانت عليه الحال عند مستهلّ القرن العشرين .

الحفلات الزجلية :

يميل اللبناني القروي الى الشعر العامي ميلاً شديداً . واكثرهم يروون منه الشيء الكثير . وقد تعرّفت الى شيوخ اميين في قرى عديدة يروون مئات ومئات من ابيات الشعر العامي ومن النكات اللطيفة التي كانت تقع في حفلات الزجل في الأعياد والاعراس . وليس اشهى عند القرويين من جلسة غناء بلدي لا سيما اذا كان مغنيهم ذا صوت رخيم ، او من حضور حفلة زجلية في عرس او عيد عندما يتبارى فريقان من القوّالين ، فانهم ينقسمون الى فئتين ، هذه تناصر وتصفق لهذا القوّال وتلك تناصر قوّال الفئة الثانية .

كانوا يفخرون اذا ظهر في بلدتهم قوّال كما كانت تفخر القبيلة العربية بظهور شاعر . وكان قوال القرية يدعى الى الاعراس والاعياد في القرى الاخرى فيذهب وتذهب معه « حوزته » (وبعضهم يقول حوسته) اي مريدوه واصحابه الذين يردّدون اللازمة والذين يصفقون له اعجاباً وتشجيعاً .

كانوا ، اذا انتظمت الحلقة وساد السكون ، يقدّمون الدفّ الى

---

(١) ارجح ان تكون لفظة « قول » بمعنى النظم ، وقوّال متأثرة باللفظة الآرامية (وكذلك العبرية) فان « قول » العبرية معناها الصوت . ونلاحظ ان الشعر العامي يغنّى غناء . فالقوّال اذن معناها المُنشِد .

القوّال الضيف تأدباً واكراماً . فينصت الناس وكأن على رؤوسهم الطير . يأخذ القوال الدف وينقره ويبدأ القول . ولكن قد يبدأ الحفلة قوال الضيعة المُضيفة . قد يبدأ بشيء من المديح والاطراء والترحيب ، ولكن قد يبدأ الحفلة بشيء من التحدي والهجاء قصد الاستثارة والاستفزاز لكي « تِحمى المعركة » عند حدّ قولهم .

روى لي شيوخ بيت مري الاحياء انهم يذكرون الياس البدوي جيّداً - وسنأتي على ذكر خبره فيما بعد - وكان يسمى « زينةِ المَحافل » وكان رصيناً يتحاشى الهجاء ويترفع عن الكلمة البذيئة . حضر مرّة عيد مار سركيس ، وعيد مار سركيس مهرجان شعبي عظيم لجميع القرى المجاورة لبيت مري . فتحدّاه قوّال بيت مري مبتدئاً الحفلة بهذا البيت :

هاتوا لي فرّاعة وفاس ... لَشطّف دِينو للياس

فضجّ شباب بيت مري استحساناً لهذا التحدي ودوى المكان بالتصفيق ، وخالوا قوالهم صعّق الياس البدوي زينة المحافل . فما كان من الياس الاّ ان اخذ الدفّ الذي قُدّم له وانشد ارتجالاً قصيداً فخرياً حماسياً بدأه بهذا البيت :

لا جبل صنين بِتهزّو الرياح ... ولا امواج البحر بِرُدّا الزقيف

فهدأ القوم وشعروا حالاً من المطلع البديع ان قوالهم ليس نداً للياس البدوي .

غير ان الحفلات الزجلية ، وهي كثيرة شائعة في يومنا هذا تتصف بصفة الصنعة والتكلّف لانها تُقام الآن على اساس تجاري بحت . لم تعد مهرجاناً قروياً بسيطاً محبباً الى النفوس . تُقام هذه الحفلات اليوم في المقاهي والنوادي ويستعدون لها استعداداً كبيراً ، ويتقاضون رسماً للدخول مما افقدها طابعها القديم . وشعراء الزجل اليوم على شيء



قوّال الضيعة

(وبعضهم على كثير) من الثقافة والعلم والادب وفن النظم كما يظهر ذلك جلياً في نظمهم اذا قيس بنظم الزجالين القرويين الساذجين كما سترى في زجل الياس البدوي . واتباعاً لخطتنا في تدوين القديم الذي زال او هو في طريقه الى الزوال لا يسعنا ان نتطرق الى وصف الشعر اللبناني العام من وجهة فنية او تاريخية . فقد عني غيرنا بهذا الموضوع[1] . وقد اسهبوا بحثاً ودرساً . وعديدون هم الزجالون الذين نشروا دواوينهم بشكل كراريس ميسورة في المكاتب اللبنانية . وكثيرون هم الذين يُعنَون بتسجيل هذا الادب الشعبي . والى جانب هذا فان في لبنان جرائد ومجلات انشئت خصيصاً للزجل . ولكننا قد ارتأينا ان نخصص فصلاً لقوال قروي مغمور منسيّ (لكنه لم يكن مغموراً منسياً في جيله) يمثل ، في نظرنا ، القوال الاميّ البسيط الذي عاش ومات على سجيته ، نعني الياس البدوي . فاننـــا نرى في حياته وفي قوله وفي مجالسه خير ممثّل للحياة اللبنانية القروية القديمة (الربع الاخير مـــن منتصف القرن التاسع عشر) .

اخبرت ان ابراهيم اليازجي كان معجباً شديد الاعجاب بهذا القوال . قيل لي انه كان لابراهيم اليازجي اخت متزوّجة تقطن بلدة برمانا — وبرمانا ليست ببعيدة عن قرية القوال الياس البدوي — وكان اليازجي يتردّد على برمانا . وكان يسأل شيوخ البلدة عن قول البدوي . ومن بين هؤلاء الشيوخ رجل يُعرف بابي جرجي كان يحفظ قول البدوي . فكان اليازجي يقول لابي جرجي : زدني انشاداً فوالله انه شاعر ! هذا قوّال !

ليس لهذا القوّال ديوان مطبوع . انما ديوانه لا يزال في صدور الشيوخ في راس المتن وبرمانا وبيت مري ، القرى الثلاث التي كان يتردد عليها الشاعر . وقد تعرّفنا في بيت مري الى رجل اديب (من

---

(١) وقد اشرنا سابقاً الى مؤلف منير الياس وهيبه : « الزجـــل » المطبعة البولسية ، حريصا — لبنان ١٩٥٢ .

آل سرور) يحاول ان يجمع شتات قوله لينشرها ديواناً . ونحن نرجو له النجاح فان في قوله صفحة من تاريخ لبنان القروي عند اواخر القرن التاسع عشر . وها نحن نذكر لك نبذة عن حياته ونماذج من قوله .

مصادر الدراسة :

جمعنا ما يمكن جمعه من اخبار الياس البدوي واشعاره من شيوخ عائلتنا (آل فريحة) في راس المتن ، اخص بالذكر منهم المرحوم بو يوسف حبيب صعب فريحة . كان بو يوسف يعرف شعر البدوي على صفحات قلبه ، فقد كانت ذاكرته غريبة جداً . وقد املى علينا في ساعات وساعات طوال ما يُشكّل الآن ديواناً لا بأس في حجمه . كان ذلك سنة ١٩٣٠ . ثم اننا عند ما عقدنا العزم على نشر هذا الفصل ترامى الينا ان بعض اقارب الزّجال ، الياس البدوي ، في بيت مري لا يزالون يحتفظون بشيء من اخباره ومن اشعاره . فذهبت الى بيت مري ، وشدّ ما كان عجبي عندما لمست ان شيوخ القرية يحتفظون بكثير من قوله ونظمه ويروون عنه الاخبار الطوال ، ولا سيما مساجلاته الزجلية في عيد مار سركيس ومار ضومط (لهذين القديسَيْن ديران في جوار بيت مري تقام في باحاتها مهرجانات زجلية واعيادٌ شعبية الى يومنا هذا) .

حياة الياس البدوي :

بما رواه لنا المرحوم بو يوسف حبيب فريحة ، وبما قصه علينا احد شيوخ بيت مري نستطيع ان نقول :

اسم ابيه شاهين ابو فاضل من آل ابو فاضل من مراح غانم (بين بيت مري وبرمانا) . هاجر شاهين الى البقاع الى كفرزبد طلباً للرزق لانه كان فقيراً معدماً . فالتجأ الى آل فريحة في كفرزبد . وكان آل فريحة من اغنياء قرية كفرزبد . فآووه واعطوه مسكناً وعمل عندهم اجيراً

يفلح ارضهم . ثم انهم زوّجوه فتـــاة من آل فريحة اسمها فهّوم التي ولدت له صبياً سمياه الياس وهو زجّالنا الياس البدوي .

توفي شاهين والد زجالنا في البقاع . ويظهر ان ارملته لم تستطع كسب عيشها في كفرزبد ، فقررت الرجوع الى موطن اهلها ومسقط رأسها راس المتن . فحملت ابنها الطفل واستقرت في الراس . وعُرِف الولد بالياس فريحه . شبّ الولد امياً فقيراً معدماً فاعطي قطيعاً من الماعز لاحدهم ليرعاه له في احراش راس المتن صيفاً وفي الساحل شتاءً . وتزوّج فتاة من راس المتن من آل فريحه اسمها زَهوة ولدت له صبياً سمّاه شاهين على اسم جدّه . ولكنه فجع بموته وهو في العشرين من عمره . فكانت ضربة قاصمة . وقد رثاه بشعر أبكى ولا يزال يبكي شيوخ القرية في راس المتن .[1]

وقد عمّر الزجال الياس فانه مات وهو في الخامسة والسبعين من عمره . وكان قد فقد بصره فمات حزيناً كسير الخاطر[2] .

بعد ان عقد الياس البدوي خطبته على الفتاة زهوة من راس المتن رحل الى الساحل ليشتّي ماعز معلمه هناك . وقـد هاجه الشوق الى خطيبته في ذلك الشتاء فارسل اليها قصائد عديدة وطويلة ظلّ الناس يتناقلونها مـدة طويلة من الزمن . واليك مقاطـــع من بعض هذه القصائد . ويلاحظ ان نقمته انصبّت على هذا الجبل المعترض بينه وبين حبيبته في راس المتن (جبل برمانا – بيت مري) .

قال مخاطباً الجبل المعترض :

يا جبل ليش مـــا بقا بتزول   اخذت الحبيب وجعلتني مهبول
لَنُّو بيطلع يا جبــل بيدي   لانقل ترابــك لَورا استنبول

---

(١) ليس في كلامي مبالغة البتة ، فقد كان بو يوسف حبيب يبكي احياناً وهو يروي لي رثاءه في ابنه شاهين

(٢) لم استطع تحديد سنة الوفاة ولا سنة الولادة .

لتــو بيحكم فيــك تنهيدي | ليهدمك للارض عرض وطول
ليهدمــك حــتى تصير جورة | متل صادوم ومتــل عــامورة
لتو البكيّ بفيد َلبكّي العيون | ولا ان دعبنــا عند ألله بيتقبل
ت رافق السّواح بيقولوا جنون | كان عقله تقيل عَ دقة انهبل
ولا في عندي فكر تَ إسلي الظنون | ولا انا ايوب تَ اصبر عَ الحوال
يا ريت كاس الحب عمره ما يكون | والّي بيشرب منه بيذوق الهبال
وبعود بقول الناس من اعلى ودون | مـا حدا بالحب تَ قلبو انذّبل

ومن قرّاديّة بعث بها الى زهوة ويظهر انها طلبت اليه العَوْدة لان البيت بحاجة الى حدالة والعَوْدِة بحاجة الى فلاحة . قال :

لولاك ولولا عيــونــك | مــا كان لي سكّنة بالرّاس
البيت ان شا الله بيهبّــط | والعَوْدِة ان شا الله بتيبــاس

وقال معنّى :

يا الّي جرحتِ القلب من جوّا الفؤاد | والجسد والروح مظلومين سوا
بيني وبينك في محبة خــارقة | َعلّيت جسمي ومستحي أطلب دوا
بيني وبينك في محبة خــارقة | وسيوف لحظك في حشابي مارقة
حقّ الكواكب والنجوم الشارقة | لولاك انا ما غرقت في بحر الهوا
لولاك انا ما كنت اعرف ُبهالجبار | انت الذي لوّعت قلبي عَ زَغر

وقد رثى ابنه الشاب رثاء رقيقاً يتجلى فيه الحزن واليأس والالم :

نجمي غدا غرقان في ِكبْد الفلك | واختفى يا ناس عن كلّ العيون
جسمي تِلِف واصبحت في حالِ الهلاك | غــاب عقلي وانتلى راسي جنون
يا خالقي بدّي بِجسارة إسألــك | أبني امري العسير بــدّو يهُون
في علُوّك في جلالــك في سماك | يا رحوم ويا رؤوف ويا حنون
عطيتني عطيّة ثمينة من عطــاك | عود زان وندّ من خاص الغصون
عطيتني وحرمتني - وْهالأمرِ لك - | كاس داير عالبشر عــالي ودون

يا امي اشفق عـلى جبلة يديك وفضّني من هـالمصايب والغبون
وبحق ما انّك معتلي في منزلك يا امي لا تخيّب لي الظنـون

ومن الرثاء معنّى :

يا ربّ دخلـك تفرّج المحزون يكفاه هموم وبهدلة وتعذيب
يكفاه هموم وبهدلة ووُجاع قلبي الحزين قدّيش بدّه يساع ؟

وقال معاتباً ربّه على مصابه :

جـار عليّ الدهر يا غلمان جـار الناس بقلبها نار بقلبي الف نار
نكنتي[1] بهاودْ جفن عيني عالبكي الارض مـا كانت بتعتاز المطر
نكنتي بهاود جفن عيني عالبكي صخر الصّلب من دمعتي جاض وشكي
وقت ال بقا لي غرام في كار الذكا كنت من غير ميّ بدوّر حجر
كنت من غرامي مشّي للسمك كنت اشرح فنّ ع طيور الفلك
عد غزاني الدهر وصلالي شرك وقعت وقعة مؤلمة تحت الخطر
وقعت وقعة مؤلمـة يا غلبتي من السبع ضربات كانت ضربتي
يا رب لا ترمي حدا في مصيبتي لا عدو ولا محب من البشر
لا عدو ولا محب من الحباب ضربتي من سبع ضربات الغضب

ومن رثائه قصيد يذكر ايامه الاولى وما آلت اليه حالته بعد موت ابنه الشابّ :

كنت اول من تولّع بالغرام وكنت اول من تعايق في الشباب
كنت صاحب فنّ يعنا لي الكلام كنت شاعر بس ناقصني رباب
ما كنت اخشى من المكاتب والقلام كان كل خطاب لو عندي جواب
تسعين قوّال كلّهم طلعولي خصام ما طلع لي بينهم واحد صحاب

---

(١) اي إن كنت

قلت كتروا بيكتروا ما بنوهم مثل الحصيدة لحقتهم ع بو جنب
لجرم خوري كسروان ودّا خبر . . . . . .

عاود سقاني الدهر كاسات الحمام والبسط صار ممنوع عني وانحجب
ربّي عليّ من نعامو كان نعم بغصن شامخ مكتمل عايق مهاب
ظليت ربي فيه ت شهّل وقام وصرت آكل من جناه ع اهون سبب
مثلما ربي طعم عاود حرم وانقطع حبل الرجا والظن خاب
غاب الضيا من ناظري جاني الظلام والبحر من دمعي تلاتين ميل راب
يا ريت اني مت من عشرين عام والف قلمة يكون فوق راسي التراب
كنت مت واسترحت من الالم ما كنت لا انهمّيت ولا ظهري انحدب .

قصيدة ايضاً يعترض فيه على حكمة الله ثم يعود فيستسلم :

يا خالقي همّيتني ما حلّني وحلّني للهم ما حلّ الفقاد
وان كنت خاطي يا الهي حِلّني واجعل مقامي في مقامات الرقاد
البين في امرك ضربني وحلّني قطّع خرز ظهري وفكّفك للعقاد
اعطيتني يا خالقي فقر الدني قيراط ما خلّيت منه للعباد
انت يا ربي والهي خلقتني يمّا صنعني السنكري في بلاد رواد
قال لي الهي حاج تكتّر دندنة هذا نصيبك ما بقا عندي مزاد
خالقك مسكين ما خلقتك غني من كلامك مش رح تستفاد
قال لي كلام الجهل حاجي تلهجو العمر لو حدّ ولو ايام عدد
لو عاش ابن آدم ٣٠٠ سنة بظرف ساعة ما كانو انوجد

وكان عفيف اللسان يترفع عن الكلمة النابية . فانه لم يجرح احداً في قوله رغم انه كان في المحافل والاعياد والاعراس هدفاً لسهام القوالين لكي يثيروه . ولكنه كان يحتفظ ابداً برصانته ووقاره .
يقولون ان احد القوالين من البقاع هجاه فردّ عليه الياس البدوي :

في أمل بيشيب راسك يا غراب قبل ما اهل البقاع يتمدّنوا !

وفي عرس وجيه في راس المتن (سلمان صالحة) تآمر عليه جماعة القوالين لانهم قالوا لا نستطيع قهره الا اذا اتحدنا ضده . ثم انه اخذ الدف ونقره وقال على البداهة :

لا تقولوا دقني شابت ولا تقولوا انه قصر
ان شابت دقني وما شابت ما راح بطل هالكار
يا ولاد الفن كونوا مأدبين ولا تقولوا صار في سن الكبر
بعد مني الارض بتزيد العنين وان ضربت الصخر بذريه غبار
ما زالها شمالي بتوقف ع اليمين ما بداري لا كبار ولا زغار

يا ولاد الفن انتوا رايدين ان تقهروا انسان عمرو ما اندقر
انا عليكم بالهي مستعين ان كنتو على عد الحصى وموج البحار .

وقال يصف شوقه وعذابه :

ان بكيت ما في مطرح للدموع بحر العميق من كتر دمعي دح يضيق
ان سحت راح الناس يدعوني هبيل وان صبرت القلب ما عاد يطيق
احترت في امري وحيرني الزمان والفراق تقيل ع جسم الرقيق
ايوب سبع سنين ضمو في البلا والدود ينهش في ضلاعو ما حمق
ايوب كانت بلوته في مفاصله لحمو اهترى حتى نتر ضلعو الرقيق
ع كتر احتمالو ع المصايب والبلا عاود اله العرش ع حالو شفق

بعد الكدر والهم آتاهو الفرج بحيث انه بالخطايا ما علق
اما بلايي لا وجاع ولا مراض فقدكم والشوق ضانيني حقيق
لا عاد خلاص الصبر ت نال الشفا ولا بقت من يسر نفسي بتنعتق
احسبوا للارض شو بتجمع تراب وفوق التراب حجار شوفو شو لحق
واحسبوا للرمل شو بيجمع حبوب من حد شط البحر للوادي العميق
والسما قديش ما تجمع نجوم والشتا والبرق والريح الغريق
شوقي اليكن زاد عنها كلها وصار قول الشعر عن وصفو يضيق

وكان الياس البدوي شاباً في «حركة الستين» المشهورة وكان شاهد عيان، وقد دوّن اخبار «الحركة» شعراً لا يزال شيوخ القرية يرددونها. وقد استطعنا جمعها من بو يوسف حبيب فريحة من راس المتن ومن بعض شيوخ بيت مري – واليك نماذج منها

قال :

كانت الدني في عزّ ونعيم   وعايشة في رغد فاضي بالها
والسلاطين حاكمة في الاعتدال   والارض تعطي ثمارها وغلالها
كان ولاد بلادنا عايشين معاف   والسلاطين ماينة ع موالها
فريضة وميرة بَسّ في دور السنة   ما يقدّوا للبلاد عمالها
يطلع على الانسان ست قروش فقط   يحطها وياخذ ثماني بدالها
ما كان حدا يرتضيها في البشر   بتضمّ هالدني تحلّي بحالها
حالة الدني دهرها طوع لها   وراد دونها يعتلي فوق عالها
صابنا متل المشي من غير بصر   الارض توطالو وهو يعلالها
صابنا متل المتاجر ما ربح   ضيّع التجرة وخسر رسمالها
صابنا متل الذي باصر منام   بيدو جواهر راجحة متقالها
صابنا متل البهيمة مع بعير   كانوا بنقلة ممرجة لحالها
عمال يرعوا في امان وفي اطمنان ....

اوّل فتوح الشر كانت بيت مري   صاحت صليبا ما احد يوعالها
صار عركة بينهم يوم الاحد   شيّبت روس الصغار اهوالها
دخان بارودهم عقد متل الضباب   غطّت على وديانها وجبالها
ورصاصهم محشور ما ياخذ مداه   والارض قدّ الدم كرهت حالها
راح منهم يومها صربة شباب   كلها تنقّت نخب من شبانها

ويتابع الياس البدوي في وصف المذابح والمواقع التي وقعت بين الدروز والنصارى فيقول عن موقعة زحلة ويسمونها «شرّ زحلة»

والدروز تقسّمت وتفرّقت — عشرين بيرق حرب ع زحلة انتشر
علّقت من كل ناح نار الوغى — والجوز عنّ في بعضو انحشر
نزلت بيارق حمر من خلف الجبل — ومبيّنة الصلبان في راسها جهر
قالوا النصارى هي لنا هي مسعفة — يوسف كرم لمّن درى فينا حضر
ناري الدروز هي حاملة الصلبان حرف — في مناديل زرق وشراريب كبار
عرفوا النصارى وحققوا انهم دروز — نزلوا عليهم بالقواس من الحصار
فوق زحلة في سهلة واسعة — مزروع كيلين لو دلّ البذار
صار فيها قتل من ربع الدروز — مسطّحة متل الزبيب تبقى البشر
والدروز مقرّحين وهجموا — والنصارى خايفين من الضرر
هجموا عشرين بوصل اربعة — بالرصاص والموت مين عاد افتكر ؟
اهل زحلة يومها سوّوا العجب — تبقى تشوف رصاصهم متل المطر .

وينتهي بذكر دخول الجيش الافرنسي وباستتباب الامن . ونحن لا نشك ان سرده حوادث الستين مبني على ما شاهده وما سمعه في تلك السنوات من عظائم الامور . ولكن الغرض من ذكر هذه الامثلة هو تعريف القارىء الى قوال الضيعة البسيط .

وقال معاتباً ربّه على فقره وبؤسه[١] نقتطف منها بعض ابيات :

يا خالقي بريد اسألك هالمسألة — وبدّي الافادة بحق منّك معتلي
كل شي يا خالقي خالق بشر — هالفقر كفتا ما وهبتش غير الي
غيري عطيتو قد موجات البحار — عطيني ولتو بس قدّ الخردلة
عطيني ولتو بس قد الحمّصة — حاجي معابي مقبّعة ومحمّصة
بستّي الغني يا ربّ ما برد المسي — وان ردّ بيتمهزل علي مهزلة
وبصير يتمسخر علي مسخرة — تخمين ما انا خلقتك يا هل ترى
قيلني من ها المعاش القهقرة — يمّا ع كيسي سكّر ديار البلي

---

(١) اثبتها منير الياس وهيبه في كتابه « الزجل » ص ١٨٢ وعزاها الى سعد ناضر من برمانا . وقد تحققنا من شيوخ راس المتن وبيت مري فوجدنا انها للبدوي وتنطبق على حاله اكثر مما تنطبق على ناضر .

عندي رسومات للديانة والصّلا
عامل شوبي من الخطايا والحرام
المجد لاسمك دوم وعليك السلام
يا خالق الدنيا وظاهر للحقوق
يا حنون ويا رحوم ويا شفوق
قلّلي اله العرش خذ مني الصحيح
رزقك وصلّك زود عن هيك ما الك

عامل شوبّي من الخطايا الساهلي
وفيه متلي كثير خاطين في الامم
يا خالق الدنيا بحكمة كاملة
يا رب ع جبلة يديك حلّك تفوق
لابمّـــا بظلّ عبدك مبتــــلي
رزقك وصلّك لا تكتّر قلقلة
لا بقيت تسأل ولا انا بسألك .

حزورة البير المشهورة :

وقد اشتهر الياس البدوي ، وكانوا يعرفونه بلقبه بو حماسة ، بحزّورة تحدّى بها « اهل الذكا » او « رباب الفن » (اي القوالين) ليحلوا رموزها . وقد قبل التحدي جمهرة منهم نادر دانيال من بيت مري وخايل الصايغ من الشوير ومحمد السلطان من العبادية وبعثوا بحلهم للحزورة شعراً ولكنهم اخطأوا الحلّ . والحزورة مشهورة لا يزال القدماء يروونها ويعجبون من رجل امّي ينظم حزورة يعجز عن ادراكها كبار اهل الفن .

والحزورة متكافة فيها صنعة وفيها اغراق يخرجها عن نطاق الحزّورة . وبعد ان عجز الناس عن حلّها حلها لهم بو حماسة في بيتين من الزجل هما بحد ذاتها حزّورة ! وسنذكرهما بعد ان نذكر نماذج من الحزورة .

الحزورة هي احرف الهجاء ال ٢٨ . يتخيل البدوي احرف الهجاء بئراً يسع الدنيا والكون والانسان والجنّ وكل ما يقع تحت لمس او حس . وقد حشر كل شيء في هذا البير ، وطلب الى الناس ان يقولوا ما هو هذا البير . والحق انه لو لم يحل لنا الحزورة لبقيت حزورة للآن . قال :

الياس ابن شاهين ظهر فنّو
وفي هالمعاني ترجم لسانو

بير ال حفرتو الف قامة نزول
من لواح بولاذ حيطانو

بير ال حفرتو الف قامة نزول
طول الابد والدهر ما بزول

وعملت فيه لاهل الذكا منزول
حطيتهم في بنوة ركانو

حطيتهم في بنوة ركانو
وقلت عمرهم ما بقا يكونوا

من الطلاسم عامل دهونو
داود والمزمور سجّانو

داود والمزمور ع بوابو
والموارد[1] حاسب حسابو

والقمر فيه والشمس غابو
والنجوم قدامهم كانوا

بيد موسى صار مفتاحو
حارسو ع القمر ما خانو

ثم يتابع ليحشر في البير كل شيء يخطر ببال معتاز يرعى قطيعه ! واخيراً حلّ لهم الحزورة بحزورة اشد غموضاً ! قال :

من امور البير والتدبير
اهل الذكا بعقولهم ضاعوا

سابع الدنيا بكاملها
وربع الورق يا ناس بساعو .

(١) جمع مارد .

الفصل الرابع عشر

في العين والخط (الكتيبة) والجن والقضاء والقدر

ان من يقرأ في سفر التثنية ١٨ : ١٠ – ١١ « لا يوجد فيك من يجيز ابنه او ابنته في النار ، ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر . ولا من يرقي رقية ولا من يسأل جاناً او تابعة ولا من يستشير الموتى . . . » يدرك ان المقصود نهي العبرانيين عن الاخذ بمعتقدات سكان البلاد الاصليين ، ويدرك ايضاً ، اذا كان يعرف القرية اللبنانية القديمة ، ان هذه المعتقدات التي نهى يهوه شعبه عنها لا تزال حية شائعة بين الناس الى يومنا هذا . ونريد ان نؤكد ان الاعتقاد بالعين الشريرة وبالخط (اي كتابة التمائم والاحراز) وبالجن وبالقضاء والقدر شائع يأخذ به الناس على مختلف نحلهم . ويجب الا ننظر الى هذه المعتقدات انها « بقايا » (= Survivals) بل امور لصيقة بحياتهم يلجأون اليها زمن الشدة والضيق .

العين :

الاعتقاد بأن للعين اثراً سحرياً مؤذياً قديم جداً ومنتشر على صعيد عالمي ، وبقاياه لا تزال في كل مجتمع وفي كل ادب . وهو من الاعتقادات الراسخة التي لا يستطيع العلم والعرفان استئصالها من نفوس

الناس . ولا تزال عامة الناس في لبنان تفسّر وقوع كل مصاب غير منتظر وقوعه انه «عين» . فان المصيبة والمكروه والمرض والفقر والبؤس والموت الغير المنتظر وغيرها من ضروب الاذى - لا سيا اذا اصابت التقيّ الورع والغني والطفل البريء - انما تحصل بفعل العين الشريرة . في العين قوة سحرية هائلة . يقول اللبناني في احد امثاله : العين بتفلق حجر الرحى فلقتين . وهذا لا يختلف عن قول ابن خلدون عند كلامه عن البعّاجين حيث يقول انه شاهد بعض الناس اذا نظر الى خروف او نعجة نظرة خاصة اصابها بالبعج « فاذا امعاؤها ساقطة من بطونها الى الارض[1] » .

يقوم هذا الاعتقاد على اساس من الايمان الشائع عند عامة الناس ان هنالك افرادا ذوي قوة شيطانية سحرية يستطيعون بواسطتها انزال الاذى في الحيّ والجماد . وليست هذه القوة فيهم اختيارية ، اي لرغبة عندهم في ايقاع الاذى والشرّ ، انما هي قوة فيهم خارجة عن نطاق الارادة . فانهم يعينون ولا يدرون انهم قد عانوا[2] . ولكن هذا لا يعني انّ اناساً فيهم هذه القوة الشيطانية السحرية يستنكفون عن استخدامها في ايقاع الاذى في الاعداء والمبغضين .

ومن الطبيعي ، ازاء هذه القوة المخيفة ، ان يحرص الناس ، **اولاً** على معرفة من يُعان ، **ثانياً** معرفة الاشخاص الذين في عيونهم هذه القوة ، اي الذين يعينون ، **وثالثاً** معرفة الطرق التي بها يتّقون اثر العين ، **ورابعاً** معرفة شخص العائن وطرق المداواة من اثر عينه .

اولا - من الذي يعان :

ان الذي يُعان ، اي يقع عليه فعل العين الشريرة ، سواء أكان

(١) مقدمة ابن خلدون طبعة بيروت ١٩٠٠ ص ٤٩٩ .

(٢) عان الرجل يعين اي اوقع الاذى والشر بواسطة عينه الشريرة .

حياً ام جماداً ، هو كالعائن (الذي يوقع الاذى بواسطة عينه الشريرة) من حيث خروجه عن النورم [١] . ولذلك نرى ، مثلاً ، ان اكثر ما يقع فعل العين على الجميل الخارج عن نورم الجمال ، وعلى الغنيّ ، والغني خارج عن النورم ، وعلى الممتاز لان الممتاز خارج عن النورم . ودليلنا على صحة هذا التعليل ، كما سترى ، هو ان الناس في حرصهم على اتقاء شرّ العين يلجأون الى اظهار الجميل والغني والممتاز وغيرهم من الخارجين عن نطاق النورم بمظهر عاديّ بسيط لا يستلفت النظر ولا يثير الحسد ولا يبعث حب ايقاع الاذى . فاذا كانت الام ترى في طفلها جمالاً خارجاً عن النورم ، جمالاً يستهوي ، فانها تحرص ان يظهر هذا الطفل بمظهر عادي فتلبسه اسمالاً ، وتترك وجهه قذراً عليه آثار التراب وبقايا الاكل فان هذا يردّ اذى العين . يقولون « الوسخ يِرُد العين » .

وقد ذكر كاترمر وفلهوزن ان الرجال الجميلي الصورة في بلاد العرب القديمة كانوا يتحجبون اتقاء اذى العين [٢] ، ومنهم الذين كانوا يُعرفون بلقب المُقنّع . وقد يكون في هذا تفسيرٌ لمنشأ الحجاب عند المرأة .

خلاصة القول ان اكثر الناس ، حسب زعم القرويين الذين يؤمنون بالعين ، عرضة لاذى العين ، لا سيما الناس الذين هم موضع الحسد او التغبيط . ولكن اكثر ما تؤذي العين الشريرة الاطفال ، الاطفال الجميلي الخلقة او الاطفال الممتلئين صحة وعافية . وتعليل ذلك ان الاولاد عرضة لامراض طارئة فجائية . فقد يكون الطفل متمتعاً بالصحة نشيطاً يقضي نهاره لعباً ومرحاً ، ولكنه فجاة يذبل وتصيبه حمى او اعراض امراض اخرى تنتابه . فلا يجد الآباء تعليلاً لهذه الظاهرة الغريبة المزعجة سوى العين الشريرة .

---

(١) النورم تعريب لفظة norm وهو المألوف العادي والمثال الشائع العام .

(٢) E. M. Quatremère : Journal Asiatique, Serie III, vol. V, 1838, p. 242.

Julius Wellhausen : Reste arabischen Heidentums, p. 196.

وكذلك تؤذي العين الشريرة الصبايا الجميلات ولا سيما الصبايا اللواتي يُكثِرن من رفض الزواج تدللاً وغنجاً وطموحاً . ويحدث ان كثيرات منهن يندمن على تنكبهن عن الزواج فيصبحن عانسات تاعسات ، وهل احسن من العين عند اهل القرى تعليلاً لحالتهن ؟

وكثيرة هي القصص المنتشرة في القرى اللبنانية عن اطفال يصابون بالعين وصبايا جميلات حلوات اصبحن عوانس ذابلات . مثال على هذه الاقاصيص القصتين التاليتين اللتين تسمع شبيهاتها في قرى كثيرة .

منير ولد في الثانية من عمره ، جميل المنظر حسن الصحة طويل الشعر الذهبي . نذرته امه لمار جريس قائلة انها لن تقصّ شعره الا في دير مار جريس « على طباق[1] الثلاث سنوات » ومنير مرح لعوب كله نشاط وحيوية . لكن امه تنسى ان تعلّق في عنقه خرزة زرقاء ، او حجاباً يقيه شرّ العائنات . تعود به امه مساءً واذا به مصاب بحمى قوية : « بيغلي بالحمّى » ويتقيأ . فتضطرب الام ويجزع الاب . ولكنهما لا يعدمان عجوزاً في الحيّ تقول : « عين ، عين خبيثة ! ارقوا لو ، بدّو رقوة » . ولا تعدم القرية من راقٍ يرقيه ضد اثر السحر . فتذهب الام بابنها المريض للراقي او الراقية او يُحضرون الراقي او الراقية الى البيت .

وشبيه بهذه القصة القصة التالية :

جميلة فتاة على شيء من الجمال وعلى كثير من الصحة ، ممتلئة نشاطاً وحيوية . جميلة في لغة اهل الضيعة متغطرسة متكبرة « والعجب ما بيعجبها » . كثر طلابها فكانت تتغنج . تمر الايام واذا بوجه جميلة يشحب واذا بحيويتها تفارقها فتشعر بالانهاك والسأم . وبعد ايام تصاب بلقوة في وجهها (او عينها) فتنقلب سحنتها انقلاباً كلياً وتصبح الجميلة

(١) اي عند اتمام

قبيحة . فيقولون : « عين ، عين خبيثة اصابتها ! حسّادها كثيرون والذين « قرصتهم » كثيرون . « بتستاهل » ، ما في شجرة معها علت بتوصل لعند ربّنا ! »[١] .

ثانياً — من الذي يعين :

يعين الشخص الخارج عن النورم . الخروج عن النورم نتيجة قوة خفية ، شيطانية او الهية . وهذه القوة الشيطانية او الالهية تستطيع بواسطة النظرة ان توقع الاذى تعمّداً او عن غير قصد . ولذلك نجد ان قائمة الاشخاص الذين يعينون تضمّ عدداً كبيراً من اصناف الناس : الجميل الذي جماله خارق (العروس مثلاً) ، والقبيح المنظر الذي قبحه منفّر ، وصاحب العين العميقة ، والذي حاجباه غليظان مقرونان ، وصاحب « العيون الزرق والسنان الفرق » والعجوز القصيرة الهزيلة الشاحبة ، والشخص البدين الضخم ، والقزم ، والاعور ، والاحول والاجرودي والمشعرانية[٢] ، والاحدب (صاحب حردبّة) والمشلول ، والمولود في نقصة القمر . وانت ترى ان جميع هؤلاء خارجون عن نطاق النورم . ولكن بعض العامة لا يحصرون فعل العين في الخارج عن النورم بل نجد انهم يعزون احياناً لكل عين فعلاً سحرياً مؤذياً كما يظهر من الاحجبة التي عثرنا عليها . فانهم ، حسب نص هذه الاحجبة ، يخشون فعل عين الام والاب والضيف والمعجب والمحب وغيرهم . واليك نموذجاً من حجاب يجمع الاشخاص الذين يُخشى عينهم :

« باسم الله اولاً ، وباسم الله ثانياً ، وباسم الله ثالثاً ، لا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم . حوّطتك (يا فلان او يا فلانة) بالله من عيون خلق الله ، من عين امك ، من عين ابوك ، من عين الّلي بحبّوك ، من

---

(١) قد يعزون مرض الصبايا وسوء حالهن الى الحظّ كما سيجيء .
(٢) المشعرانية المرأة التي يكثر نمو الشعر في جميع انحاء جسدها .

عين الجار احدّ من النار ، من عين الضيف احدّ من السيف ، من العين الزرقا والسّن الفرقا ، من الاجرودي والمشعرانية ، يا الله المجير ، يا الله احرسه من كل اذى انك السميع المجيب » . ويضاف الى هذه القائمة الحسود . ولذلك يحرص الناس ان يتقوا شرّ عين الحسود . وانك لترى في اسواق بيروت سيارات عديدة كتب عليها (تحت صورة عين) « عين الحسود لا تسود » . وقد يفسّر منشأ عادة الاصرار على المشاركة بالاكل (المجابرة في عامية لبنان ، من قولهم جابرنا) انه نوع من ردّ عين الحسود عن الأكل والآكل حتى ولو كان مراقب الاكل حيواناً ، كلباً او قطة . فان عامة الناس تلحّ ان يشاركهم القادم او المتفرّج او المراقب على الاكل لانهم يخشون ان يكون في نظراته شيء من الحسد او الشهوة . وقد يكون للعين اثر مباشر في الاكل الذي يدخل اجسادهم فيؤذيهم . وقيل لي ان الحيوانات تعين لاسيما الحيوانات من ذوات العيون البرّاقة المخيفة كالحية التي تنوّم فريستها ، وكالقطة التي تلمع عينها في الظلام .

ثالثاً — كيف تتقى العين :

يسبّب العين : (١) الحسد (٢) التعجب والاطراء غير المقرونين بلفظ « يكسر » مفعول العين . ان الحاسد يتمنّى (وان لم يفه بتمنياته ، وان لم يعبّر عن حسده تعبيراً نطقياً) زوال النعمة عن المحسود ، وبمجرّد ان يمرّ هذا الخاطر العابر في ذهن الحاسد فانه يوقع الاذى في المحسود ، لا سيا اذا كان من صنف الناس الذين يعينون . وكذلك اظهار الاعجاب او الاطراء اذا لم يكن مقروناً بلفظ يردّ اذى العين فانه يسبب الاذى . على المعُجَب او المُطري ان يُردف اعجابه او اطراءه بعبارات كهذه :

أَنعمَ الله ؟

يا ذِكْرَ الله !

يتمجّد اسم الله ، يتبارك اسم الله .
يجزي العين عنّك او عنّك او عنهم . . . . الخ .
يردّ العين عنّك .
ما شاء الله .
بعيد الشرّ .
لا سمح الله .
الله يردّ عنّك .

وفي كل قرية لبنانية يقصون عليك قصصاً بعد قصص ليبرهنوا لك صحة المعتقد بالعين . واكثر هذه القصص شيوعاً هي من نوع القصتين التاليتين ، وقد سمعناهما (او امثالهما) مرارا وتكرارا .

. . . . كنا جالسين تحت العريشة ذات العناقيد الجميلة والاوراق الخضراء النضرة . فمرّ غريب (او احول او عجوز او . . او . . .) والتفت نحو العريشة ولم يسمّ (اي لم يذكر اسم الله) بل قال : « شو ها العريشة ! شو هالعناقيد ! » ولم يكد يختفي عن انظارنا حتى رأينا العناقيد تتساقط ، وبعد ايام ذبلت العريشة وجفّ ورقها ويبست .

وامثال القصة الثانية :

. . . . كان لاحدهم ساعور[1] ماعز جميل المنظر ، سمين ، مرح . . . فطلب اليه احدهم (ويصفونه : احول اعور حسود عيونه زرق . . . . الخ) ان يشتري الجدي منه اولاً وثانياً . ولكن صاحب الساعور ابى عليه ذلك . وبعد يومين التفت صاحب الجدي فرأى على خاصرته « عقرا » اي جرحاً عميقاً بقدر العين ، واللحم فيه متهرّئ .

---

(١) جدي ماعز ، واحياناً يجعلون القصة تدور حول بغل او عجل او بقرة واحياناً حول قطعة ارض مشجّرة فتيبس بعد زمن .

فعلم انه نتيجة عين الذي ساومه على شرائه . فذهب خلسة الى بيته واخذ خرقة من ثوبه وبخّر بها الجدي فشفي . وسنذكر طريقة الشفاء من العين فيما بعد .

يستنتج مما مرّ ان اول وقاية طبيعية ضدّ العين هو **الترفّع عن الحسد وذكر اسم الله عند الاعجاب والاطراء والاستحسان** . وهذا قانون ادبي معنوي ليس له شكل خارجي . ولكن الى جانب هذا يحترسون ضدّ العين بما يكسر العين . وكسر العين يتم بتعليق ما يردّ العين : اللامع والوضّاء والبرّاق والمُشِعّ وذي اللون الفاقع (احمر) . ومن هنا ربما كانت نشأة لبس القلائد والحلى والمجوهرات والخرز الازرق والودع . ومن الامور التي ترد العين كيس صغير فيه جريش ملح الطعام . يوضع داخل حرز ويعلق في عنق الذي يُخشَى عليه من العين . وهنالك وسيلة اخرى لردّ اذى العين وهي ان تقع العين على عين مرسومة ومعلقة على صدر الشخص . وانك لترى في كل قرية لبنانية عيوناً من زجاج يسمونها «العين الزرقا» تعرض في واجهات الدكاكين فتشتريها الامهات ويعلقنها على صدور الاطفال . ومن اعتقاداتهم الشائعة انه اذا كانت امرأة تحمل طفلاً تخشى عليه اذى العين فانها تدخل الابهام بين السبابة والوسطى فتظهر كأنها عين تردّ العين . ووسيلة اخرى ان تقع العين على ما تشمئز منه النفس . وعلى هذا الاساس يعللون وجود تماثيل كثيرة تمثل الاعضاء التناسلية : الذكر والفرج . ويرجح انها كانت اشبه بتعاويذ يعلقونها على صدورهم لدفع اذى العين . ومن الملاحظ ان الاحجبة والتعاويذ توضع في غلاف جلديّ او قماشي على شاكلة مثلث وهـذا المثلث كان يمثل ربما العانة . ومن قائل ان نجمة داود عانتان متداخلتان .

ومما يقي من العين الشريرة الاسمال والخِرَق الوسخة القذرة تعلّق على ما يخشى عليه من العين . وكذلك يعلقون نيوب الذئب وقرون الحية[1] .

---

(١) ليس للحية قرون كما نعلم ، ولكن العامة تصرّ على ان للحية المسنة قروناً . ويقول لك كثيرون انهم رأوا حية كبيرة ذات قرون ! غير اني لم استطع التأكد من حقيقة هذه القرون .

وعلى حيواناتهم الداجنة التي يخشون عليها من العين يعلقون جرساً او خرزة زرقاء او قطعة قماش احمر . اما اشجارهم المثمرة كالعريشة والتفاحة التي عليها موسم جيد فانهم يعلقون فيها خرقاً من القماش الاحمر .

اما احسن وقاية من العين فالاحجبة والتعاويذ والتمائم والاهلّة . يكتب هذه الاحجبة شيخ يدّعي التقوى والمعرفة وعلم الاقدمين ، او طبيب مغربي (وهم كثر يتجولون في القرى منادين : مغربي ، دوا المحبة ، دوا للربّة دوا للعين !) او منجّم او ضارب الرمل . ويطلقون عليهم لفظاً عاماً : الحجّاب او الراقي . ويجدر بنا ان نذكر حقيقتين عن هذه الاحجبة :

اولاً :

نلاحظ في لغتها عنصر الايهام والتهويل سواء اكان ذلك من جهة غرابة الاسماء التي يذكرونها ووقعها على الآذان (مثل صبئوت ، اسرافيل ، ميكائيل ، ادوناي[1] .... الخ) او من جهة تعقيد الخط وابقاء الكثير من الكتابة رموزاً يصعب حلّها . ونلاحظ ايضاً انه يكثر فيها ورود الاحرف العبرية ونجمة داود .

ثانياً :

ويندرج تحت الايهام والتهويل الحقيقة الثانية وهي ان هذه الاحجبة والمثلثات كثيراً ما تكون فارغة او محتوية على خرقة او على قصاصة ورق من جريدة ، او ورقة يُكتب عليها شيء من السخرية والهزء . وكثيرة هي القصص التي يروونها لك عن احجبة فتّقها اصحابها بعد ان

(١) ادوناي لفظة عبرية معناها سيدي ومولاي وربي ويكنّون بها عن لفظ « يهوه » اسم الاله العبري ، لانه ، حسب طقوسهم الدينية لا يجوز ذكر اسم الآلهة ، فعندما يصل القارىء الى كلمة « يهوه » ينطقها ادوناي ، وهذا يعرفه طلاب العبرية .

يئسوا من قوتها على الشفاء فوجدوها فارغة او محتوية على اشياء تافهة . ولكن يتعزّى الناس فيقولون : « المهمّ الايمان ، آمن بالحجر تبرا ! » وهذا الايهام والتهويل واللعب على سذاجة ايمان الناس يفسح المجال لاقاصيص لا حدّ لها عن نكات طريفة (واحياناً قذرة) قام بها من يدّعي معرفة كتابة الحجاب او التعويذة . مثال على ذلك القصة التي تسمعها في كل قرية تقريباً :

« ...... استضاف مكار مارّ في قرية احد ابناء القرية . وكانت امرأة المضيف في حالة المخاض وقد تعسّرت ولادتها . فادّعى المكاري انه يكتب الرقى والاحجبة وان رقاه واحجبته تشفي . فاحضروا له ورقاً وحبراً فكتب على الورقة :

« تعشّينا وعشّينا الحمار ، ان ما خلّفت بالليل بتخلّف بالنهار » او حسب رواية اخرى « عشّينا الحمار وِتْبَيْبَتْنا بِتخلّف ولاّ لذنبنا »

وشكل آخر للرواية :

« .... غريب في قرية اراد ان يبيت في احد البيوت فلم يدعه احد . واخيراً قال انه يكتب الاحجبة واحجبته تشفي وتجعل العاقر تحبل وتلد . فاخذه الى بيته رجل امرأته عاقر . فكتب لها حجاباً فتّقته بعد زمن ، وبعد ان كانت قد ولدت ابناً ، فوجدت مكتوباً فيه :

كتبنا ما كتبنا   كتبنا لَسَبَبْنا[١]
بتحبل آمنة (عايشة فاطمة)   ولاّ لذنبنا

وظاهر ان روح هذه الاقاصيص تعكس الشك في قيمة الاحجبة عند بعض الناس .

---

(١) اي لفائدة نرجوها او لكسب نطمع فيه .

رابعاً — معرفة العائن وشفاء المعيون :

معرفة العائن شرط اساسي لشفاء المعيون . في احوال قليلة يشعر ذوو المعيون ان فلاناً من الناس عانه بناء على ما قد يكون بدر منه من حسد او بغض او حقد او حب للأذى ، او على ما قد يكون بدر منه من استحسان وتغبيط غير مقرونين بذكر اسم الله او ذكر عبارة اخرى تردّ العين ، او بناء على ان العائن مصاب بعاهة جسدية ، او انه يتصف بصفات العائن[١] . وفي هذه الحال (حال معرفة العائن) يذهب احدهم فيحتال على العائن باقتطاع اثر من ثيابه — خرقة صغيرة — تؤخذ هذه الخرقة وتُحرَق مع شيء من البخور في اناء او في مبخرة في غرفة المعيون ، وتُدار المبخرة حول المعيون ثلاث مرّات . او ان المعيون يدور حول الدخان المتصاعد من المبخرة ثلاث مرّات . والافضل ان يحرق القطعة راقٍ فيتلو آيات ربّانية وادعية وصلوات يتمتمها[٢] .

اما اذا لم يُعرَف العائن فانهم يذهبون الى الراقي . يأخذ الراقي رصاصاً ويذيبه ويرمي بالسائل الى اناء فيه ماء بارد . ثم انه يدثّر نفسه (وبعضهم يأخذ من جيبه او عبّه كتاباً يضنّ به على الآخرين) ويحني رأسه فوق الاناء ويدعو ويتمتم (لغة لا يفهمها الناس) ثم يبدأ باعطاء العلامات . يقول لهم مثلاً : العائن امرأة هزيلة طويلة صفاتها كيت وكيت ، او العائن رجل عمره كيت وكيت شكله كيت وكيت ، قامته ، وجهه ، عيونه ، اسنانه .... الخ . بقي على اهل المعيون ان

---

(١) راجع الفقرة السابقة « من يعين » ص ٢٩٢

(٢) لم نستطع ان نحصل على نماذج من هذه الادعية والصلوات . وجدنا انه من اصعب الامور ان نحصل على هذه المعلومات من الرقاة والمؤذين انفسهم . فانهم مع من لا يؤمن بهم جدّ حذرين يعتصمون بالصمت فلا يعطونك شيئاً من صنعتهم .

يقدّروا من هو العائن . فيبدأون بغربلة الناس ليروا على من تنطبق هذه الصفات . وكثيراً ما يكون الراقي ذكياً خبيثاً فيعطي اوصافاً يسهل تطبيقها على من كان في القرية يتصف بصفات العائن . فيقر رأيهم على ان العائن فلان او فلانة . ولنذكر ان فلاناً او فلانة قد تكون عائت الشخص عن غير ارادة . فاذا عرفوها او عرفوه ذهبوا خلسة الى بيته واقتطعوا خرقة من ثيابه وجلبوها الراقي ليبخّر المعيون على النحو الذي وصفناه آنفاً . امّا اذا لم يستطيعوا ان يطبقوا الصفات التي ذكرها لهم الراقي كما تراءت له من شكل الرصاص المذاب فانهم يلجأون الى ما يسمونه « الامانة » اي انهم يؤمنون ويسلمون ان احد الناس قد عانه وان هذا الشخص الذي لا يعرفونه سيحرقون من اثره شيئاً ، وان هذا الدخان المنبعث من اثر العائن الذي سيتبخّر به المعيون سيكون له اثر السحر في شفاء مريضهم . هذا الايمان او التسليم يسمونه الامانة او « على الامانة » . يذهب احدهم فيلتقط سبع قشّات من سبعة معابر او ازقة او طرق ، ثم تؤخذ اربع قشّات من اربع زوايا الحصيرة ، ايّ حصيرة (على اساس ان العائن يمرّ على الطرقات وان العائن يجلس على حصير .) تؤخذ هذه الآثار معاً وتُحرَق مع البخور في اناء او مبخرة ويُبَخَّر بها المعيون ثلاث مرات ، او يدور المعيون حول الدخان المتصاعد ثلاث مرات ، والافضل ان يقوم بالتبخير راق يتلو مع التبخير آيات وادعية .

وهنالك وسيلة اخرى للشفاء وهي الرقية . ويكون الراقي شيخاً عجوزاً او امرأة متدينة ، وقد يكون ، او تكون ، من مختلف الطوائف . الشيء المهم ان يؤمن الناس بتقواه وبقدرته على الشفاء . والرقية على نوعين : يرقى المعيون او المريض ذاته ، او قد تكون الرقية ، في حال تعذر حضور المعيون ، على قطعة من قماش ملوّثة بالزيت ، او على شيء من القطن ملوّث بالزيت ، او على قطعة من السكر تذاب في الماء فيشربه المعيون ، او على ماء صاف ليشربه المريض . او على حزام او زنّار يضعه المريض على وسطه .

تأخـــذ الراقية (واكثرهن من النساء) القطعة من القماش الملوّث بالزيت (او قطعة السكر او الماء . . .) وتبدأ بالتثاؤب والتمتمة وتلاوة الادعية التي لا يبوحون بها لكل الناس . ثم انها تعطي الرقية لاهل المعيون .

امـا اذا كان المعيون حـاضرا بالذات فان الراقية تمسك المرقي له وتنظر في وجهه وتقرب وجهها من وجهه ثم تأخذ بالتثاؤب الشديد الى ان يبدأ المرقي له بالتثاؤب عن طريق العدوى ، فاذا تثاءب استبشروا وقالوا انه سيطيب . ثم انها تتلو الادعية والصلوات على طريقة التمتمة . ثم انها تتلو بصوت عال مفهوم الرقية الاتية : « حوّطتك يا فلان بالله (وتدير يدها بشكل دائرة فوق رأسه) والنابت الله ، ورجال الله ، وسبع كلمات من كلام الله ، حوّطتك بالله تصرف كل بلا وبليّة ، وحق حكمة الربّانية » . [١] وهذه رقية اخرى : « بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك ، ارقيك من كل حاسد ، باسم الله ارقيك والله يشفيك من كل نفس ومن كل عين » . تُرَدّد هذه التحويطة سبع مرات . وتختلف الرقية والادعية والصلوات باختلاف الراقي . ويصعب على المرء جمعها. لان الراقين يضنون بها على من لا يؤمن بقدرتهم خوفاً من التهكم والازدراء .

واليك رقية اعطانيها راق طلب الينا كشرط الا نذكر اسمه وفيها كلمات عبرية كثيرة بعضها ظاهر وبعضها غامض نسبة للتشويه الذي طرأ عليها من انتقالها رواية" من راق جاهل الى راق جاهل :

الصبؤت ادوني ال شدّاي[٢] . اصباؤده (كذا) ١٢ [٣] . لله

(١) حصلنا على هذه التحويطة من امرأة من راس المتن مشهورة برقاها وتعويذاتها .
(٢) الى هنا عبري صرف مفهوم . ومعنى العبارة إله الجنــد مولاي والهي شدّاي . وشدّاي اسم من اسماء يهوه .
(٣) عدد الابراج .

الناظر الاغماق (كذا) الناظر الجبار نسخة جميع الخلايق الخـافين والظاهرين . الله الذي ينجيني من الارواح الشريرة الشيطانية ومن اولاد آدم وحواء ومن سحرهم وغدرهم وكيدهم وعينهم وحسدهم . باسمك يا الله المرهوب الذي تفزع منه السموات والارض ، سلوانا سلوانا فدينا كم واورغت (كذا) الحطط بجمع وهراث اشمخ شماخ برها بيهنان بيوث[١] (كذا) غلقت بها الجبارة » .

واليك وصف مبدأ من مبادىء كتابة الحجـاب ضد العين او المرض . يؤخذ اسم المرقي له واسم امه وتجمع احرف الاسمين (اسم المرقي له واسم امه) على حساب الجمل . ولنفترض افتراضاً ان القيمة العددية لاحرف الاسمين هي ١٥٠ . ثم انهم يفتشون في اسماء الله الحسنى (وعددها ٩٠) ليجدوا بعض اسماء منها (مثل رحوم شفوق شافي كافي جبّار . . . . الخ) قيمة احرفها العددية تطابق القيمة العددية لاسمي المرقي له واسم امه . فاذا وجد مثلاً ثلاثة اسماء من اسمائه الحسنى قيمتها العددية تطابق القيمة العددية للاسمين فانهم يسمون ما يسمونه خاتماً مثلثاً (كما ترى في الرسم) .

شديد	قوي	جبار
جبار	شديد	قوي
قوي	جبار	شديد

يضعون في كل خانة اسماً من اسماء الله الحسنى . واضلاع المربع او المستطيل تكون اسماء الملائكة جبرائيل اصرافيل (اسرافيل) ميكائيل وعزرائيل ، هكذا :

جبرائيل

ميكائيل اسرافيل

عزرائيل

الحط (او الكتيبة)

الحطّ او الكتيبة اعتقاد شائع في لبنان بين جميع طوائفه . وملخّص

(١) لم يستطع الراقي ان يفسّر لي هذه المفردات بل كان يقول انها عبرية . اذا كانت عبرية الأصل فانها قد تشوّهت وتغيرت كثيراً حتى انه يصعب علينا الآن معرفة الأصل العبري .

الاعتقاد ان في مقدور بعض الناس ان يكتبوا ادعية شيطانية لها فعل السحر في المكتوب لاجله . وللخط او الكتيبة دافعان : الاول ايقاع الاذى والشر والمرض والبرسام والهوس العقلي ، والثاني تمكين اواصر المحبة ورفع الاذى والشر . ولكن اكثر ما يكون الخط لايقاع الاذى والشر . والكتابة لايقاع الشر والاذى أسرع مفعولاً من التي للخير والصلاح . هكذا قال لي اكثر الذين يدعون انهم يخطون . والذي يقوم بالخط اناس يعتقدون فيهم قوة السحر .

وفي قرى لبنان اقاصيص واقاصيص عن اناس ُخطّ لهم ، واقاصيص واقاصيص عن اناس خطّ لهم اعداؤهم فذهبوا الى من يزيل الخط بخط آخر . وهذه الاقاصيص متشابهة فكأنّ نواة القصة واحدة يضاف اليها شيء هنا وشيء آخر هناك . اما في حقيقتها فانها واحدة . وسنذكر قصتين سمعناهما في قرية نعرفها وقد سمعنا مثيلاتها في قرى اخرى[1] .

قال مخبّري في .... « بين سلمى وهند صداقة ومحبة نشأت بينهما في الصغر وازدادت على مر السنين عمقاً ورسوخاً . ولكن الحاسدين لم ترق لهم هذه الصداقة فاكثروا من القال والقيل واستغابوهما بلاذع الكلام . وقيل ان الصداقة بينهما تطوّرت الى علاقة مريبة . فشاء اهل الواحدة منهما ان يفصما عرى الصداقة لا بل رغبا في ان تحلّ البغضاء بينهما محل المحبة . فقرّروا ان يلجأوا الى فعل الخط ، لا سيا وان في جوار بلدتهم شيخ اشتهر بفعل الخط حتى ان الناس قصدوه من كل صوب . فذهبوا الى بلدته وقصّوا الخبر وقالوا انهم يرغبون في فصل هذه المرأة عن تلك وايقاع البغضاء بينهما . فكتب لهم خطاً على قصاصات ورق ُمغرّاة الواحدة بالاخرى عرضها ١٥ سنتيمتراً وطولها متران . ثم انه لفّ الخط وجعل منه درجاً او طوماراً صغيراً . ثم

(١) كان بودنا ان نذكر القرية والاشخاص ولكن المعنيين من كلا الطرفين لا يزالون احياء . وقد يكون في هذا بعض الاساءة . والقصة التي نرويها وقعت فعلاً وذلك بشهادة جماعة ممن اثق بصدق روايتهم .

انه اخذ شعر امرأة لونه اسود فاحم وعمل منه خيطاً « معربساً » وعلى غاية من التعقيد[١] وربط به الدرج وقال لهم ان يضعوا هذا الخط في مكان تلامسه المرأة المخطوط لها ، او في مكان تخطو من فوقه ، او في مكان تمرّ من تحته ، وافضل مكان له في فراشها اذا امكن ذلك . ولكن اضاف انه اذا شعرت به مزّقته فيذهب اثر السحر .

قال الراوي : اخذوا الخط واخفوه في مكان ما من بيت المرأة يتفق مع توصيات الخاطّ . فبدأت المرأة المخطوط لها ان تشعر بشيء من الضجر والسأم والميل الى هجر صاحبتها . وصاحبتها كفّت عن زيارتها التي اعتادتها يومياً . فخشيت الامر وظنت سوءاً . وجاء من اسرّ في اذنها ان اهل صاحبتها قد خطّوا لها . فقامت تفتّش عن مكان الخط لحرقه . وظلّت اياماً تنبش هنا وتحفر هناك وتفتش في هذا الثقب وفي ذاك ، في الخزائن ، بين الثياب ، في الفراش ، في السقف ، في المدّ ، تحت العتبة ، في بطانة ثيابها ، في الكواير ، وفي كل مكان يخطر على البال فلم تعثر له على اثر . واخيراً نصحوها ان تنزل الى الساحل الى .... حيث يقيم فلان[٢] المشهور بقدرته على ازالة فعل الخط . فنزلت مع صديقة لها وقصّت الخبر عليه . قال لهما الشيخ مزيل فعل الخط : لقد خطّوا لك والخط في مكان ما من المد المظلم العتم تحت الغرفة التي تنامين فيها ولن يستطيع احد العثور عليه . ويجب ان يزال من مكانه ويحرق ويذاب رماده بالماء ويرمى الماء في ماء جار او في البحر . فألحّت عليه ان يصعد معها ودفعتا له اجرة الطريق ومبلغ ٢٥ ليرة لبنانية . فصعد مزيل الخط المشهور الى قرية المخطوط لها . وقيل لي ان اكثر من واحد رآه في القرية ، والغريب في القرية يُلحَظ سريعاً ويُكتَشف امره سريعاً .

---

(١) للون الاسود اثر سيء فانه مجلبة لسوء الطالع والمصيبة ، والتعقيد يورث التعقيد والتعسير والعيش الكدر .

(٢) ان الرجل المشار اليه لا يزال حياً ويقصده الناس من كل صوب لازالة الخط وقد طلب الينا ان لا نذكر اسمه .

قال الراوي : ما ان وصل مزيل الخط حتى وجد سبيله الى المد العتم وأثار شمعة وبدون تردد سار بخطى ثابتة نحو ثقب في الجدار عند زاوية من زوايا المد . ازال مدرة صغيرة وسحب ملفاً مربوطاً بخيط شعر معربس اسود . فاحرقه واخذ رماده وأذابه بالماء وسأل عن ماء جارٍ فقيل له ليس في البلدة ماء جار . فوعد ان يرميه بالبحر عند رجوعه في الغد . ثم انه كتب في ذلك الليل خطاً مضاداً ، خطاً روحانياً لا شيطانياً[١] ، وطلب اليهم ان يضعوا الخط في منزل صديقتها في مكان تلامسه او يلامسها او في بطانة ملابسها او في فراشها او مخدتها .

قال الراوي : ان الخط المضاد وضع داخل مخدتها وبعد ايام رجع الصفاء وحلّت المحبة محلّ التجافي . وهما الان على خير ما يكون عليه الاصدقاء الخلّص .

قصة اخرى لها شبيهاتها في كل قرية لبنانية :

تزوّجت سلمى على غير رضا ابن عمها (او ابن خالها او الذي طلبها اولا فرفضته ..) وكانت سعيدة على احسن ما يكون السعداء عليه في الزواج . وكانت تنعم بصحة وعافية . كانت مرحة لعوبة طروبة. ولكن هذه الحال لم ترق لحسّادها الكثيرين . فذهب احد الذين استاءوا منها (ابن خالها بنت عمتها ... الخ) الى عين دارا وهناك خط لهم الشيخ ... الشهير خطّاً خبّأوه خلسة تحت عتبة الباب (او تحت بلاطة تحت سريرها او في حشيّة تلقي رأسها عليها .... الخ) وبعد ايام بدت عليها دلائل الضعف والانهاك : تثاؤب مستمر ، فقدان شهية ، قلق . وادهى من هذا بعد ايام بدت عليها دلائل البرسام والوهم . واصبحت تتخيّل وترى رؤى غريبة مخيفة وتتكلم كلاماً متقطعاً ليس فيه ارتباط . وكانت عند رؤية زوجها ترتجف ويتصبب منها عرق

---

(١) يسمّى الخط للاذى والشر شيطانياً ، واذا كان للخير والمودة والتحابّ روحانياً .

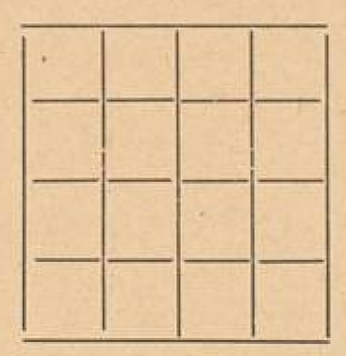
بارد وتصاب «بجمدة» اي الوقوف دون حراك مذهولة . فيضطرب الزوج ويضطرب اهلوها ويقرّر المجمع العائلي ان المرأة قد خُطّ لها . خَطّ لها حسادها ومبغضوها او الذين «قرصتهم» واساءت اليهم . وليس من وسيلة للشفاء سوى مقابلة الخط بخط اقوى منـــه يزيله . فتذهب امها او اختهـا او ابنة حميها الى خطّاط يزيل الخط . ولا تُعدَم القرى من خطاط يزيل الخط . فيكتب لهم خطاً ويهديهم الى مكان وجود الخط الاول (تحت عتبة غرفة النوم) لابادته حرقاً واذابة رماده بالماء وطرحه في البحر او النهر . وهكذا شُفيت سلمى من «العارض» (حسب زعم اهل القرية الذين يعرفون الحادثة) .

وقصة ثالثة لها شبيهاتها في القرى اللبنانية :

فدوى فتاة جميلة رشيقة القوام ممتلئة صحة وعافية . كانت فدوى في الثالثة عشرة عندما كانت تلعب بالقرب من عين مهجورة، واذا بها تلمح في ثقب قشرة بيضة وفي داخل البيضة نقود . سُرّت بالنقود كثيراً ولكنها اخذت القشرة وكسرتها ورمتها وعادت الى البيت . وفي ذلك المساء اصيبت فدوى بلقوة شديدة في صفحة خدها الايسر وتهدّل جفن عينها اليسرى . واصيبت بشحوب وذبول . وبعد مدّة اخذت تنتابها نوبات عصبية . جاء راقي الحي ليرقي لها فقال لهم — بعدَ ان اخبر قصة قشرة البيضة والنقود — ان القشرة والنقود التي لامستها مسحورة ومرقيّ عليها . وقد وضعت هناك لشخص آخر ليلامسها فيصاب بما اصيبت به فدوى . وقد تحققوا من صحة مزاعم الراقي . ذلك انهم أخبروا ان بالقرب من العين المهجورة تسكن عائلة من ضمن افرادهـا فتاة جميلة لم ترض بفلان عريساً لها . فذهب الى خطاط خطّ لها على قشرة البيض، ورقى النقود ووضعها هناك على امل ان تمر بها المخطوط لها . ولكنها لم تمرّ بل كان فعل الخط من نصيب فدوى . وقد حاول اهل فدوى شفاءها بواسطة خط يزيل الخط . ولكن لم ينجح الخط . وتفسيرهم ان الخط على قشرة البيضة خط شديد الفعل لا يزيله

خط آخر . وفدوى لا تزال على هذه الحال في القرية تنتظر الشفاء تارة عن يد الراقي وطورا عن يد الخطاط .

واليك صورة حجاب فيه خط للمحبة والالفة . يكتب في خاتم مربع هذ شكله :



« والقيت عليكِ محبة مني يا فلانة . يحبونهم كحب الله . والذين آمنوا اشد حب الله . ولو انفقت ما في الارض جميعها ما الفت بينهم، ولكن الله الف بين قلوبهم انه عزيز حكيم » . واذا كانت الكلمات اكثر عدداً من المربعات كتب الباقي تحت الخاتم . ثم انهم يرسمون تحت الخاتم ما كان مرسوماً على خاتم سليمان الذي به ملـك الانس والجن : ✲ ‖‖ م # |||| ه و ✶

واليك صورة اخرى لحجاب للتفرقة والبغضاء يكتب في خاتم مربع : « يا شديد يا جبار البطش يا منتقم » . بهذه الكلمات الاربع تملأ المربعات ثم تحتهـا صورة الزلزلة : اذا زلزلت الارض ... ثم النقش الذي كان على خاتم سليمان :

يا شديد	يا منتقم	يا جبار	
يا جبار	الخ	الخ	
البطش		الخ	
يا منتقم			

هذه الاحجبة التي للالفة او للتفرقة يجب اما ان تشرب او تؤكل (اي ان الورق المكتوب عليها يجب ان يحرق ويمزج رماده بالماء

ويشرب او ان يمضغ مضغاً ويؤكل) او اذا كان هذا غير ميسور فيجب على الاقل ان يلامِسَ المكتوبَ له .

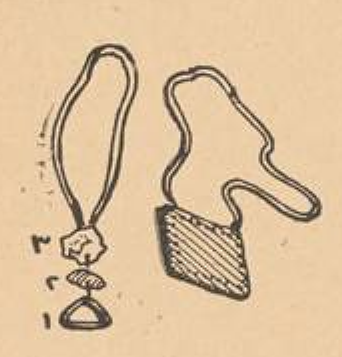
الجن والارواح :

لا يزال الاعتقاد بوجود جنّ او ارواح شائعا في جميع انحاء القرى اللبنانية . وانك لتسمع في كل قرية لبنانية من يقص عليك قصصاً لاثبات وجود الارواح او الجن .

واكثر ما تظهر الجن بشكل امرأة طويلة هزيلة مسترسلة الشعر ، او عجوز محدودبة شمطاء شعرها ابيض منبوش . وقد لا تظهر هذه الارواح باشكال مرئية بل يسمع لها اصوات . واكثر ما تسمع ليلًا عندما تجتمع الجن في حفلات أكل وانس .

واما مساكن الجن فهي : المقابر ، المغاور ، الآبار ، العيون (المهجورة منها والجافة) الخرب النائية ، الشجرة العظيمة المنفردة ، النواويس ، وحيث توجد كنوز دفينة في الارض تحرسها ارواح . وهذه الارواح التي تحرس الكنوز الدفينة يسمونها رصدا ، لانها ترصد اي تحفظ وتراقب الكنوز .

وسنذكر بعض الاقاصيص التي لها شبيهاتها في قرى اخرى . قد تختلف التفاصيل ولكن المعتقد واحد . وسننتقي هذه المرة اقاصيص الجن والارواح من بلدة عبادات في قضاء جبيل . وقد قصها علي احد سكان القرية بحضور جمع من وجهاء القرية في بيت شكري العدوان . ويقصونها على انها امور وقعت بالفعل ويعرفون الاشخاص .



حجاب
١ - حرز - ٢ - خرزة زرقاء
٣ - شبّة زرقاء

شكل الجنية :

قال مخبري في عبادات : « ذهب فرحان الحبّاقي قبل انبلاج الفجر ليملأ جرّته من ماء الشرب في وادٍ بعيد عن بيته يسمى وادي البواليع . وعند منتصف الطريق عند صخرة كبيرة منبسطة تعرف بالبلاطة رأى وجها لوجه شبح امرأة مديدة القامة وشعرها كثيف مسترسل يغطي وجهها واعالي كتفيها وهي تمشّطه . فوقف مرتعباً وتسمّر في مكانه . وبطريقة عفويّة رسم علامة الصليب على وجهه وقال « باسم الاب والابن والروح القدس ، يا عذرا ! » ولم يتم كلامه حتى اختفى الشبح .

ويقول مخبّري ان عند هذه البلاطة بالذات رأى الجنية اناس غير فرحان الحباقي . ولا تختلف صورة هذه الجنية عن جنية اخرى شهيرة في بلدة حمّانا اسمها « كفكوف » وعشرات من الناس رأوا « كفكوف » الجنية ذات الشعر الكثيف . وموطنها في واد بالقرب من حمانا حيث توجد طاحونة وبالقرب من الطاحونة مقبرة . قال مخبري من حمانا : خرج ابو طنوس ليرعى ماعزه حسب عادته . وعلى الطريق رأى جدي ماعز تائهاً ، فامسك به ووضعه في عباءته وأخذه . وبعد قليل سمع صوتاً ينادي : كفكوف ! كفكوف ! فردّت كفكوف من تحت عباءته . فعلم الرجل ان الجدي انما هو كفكوف بالذات اتخذت شكل الجدي عندما رأته . فذعر وقذف بالجدي وهرب .

قد تؤذي هذه الاشباح احياناً :

قال مخبري في عبادات : « شعر مفرّج الحباقي بالتعب الشديد فنام على حجر قرب مقبرة بيت حبّاق وهو في طريقه رجوعاً الى بيته . كان ذلك اثناء الليل . وفيما هو نائم سمع صوتاً يناديه « قوم روح لبيتك ! » فحسب انه حالم . فتح عينيه ثم عاد يغط في نومه ، واذا

بيد قوية تلكده في خاصرته وسمع الصوت يقول ثانية : « قوم روح لبيتك ! » . فظن انه حالم . غير انه في المرة الثالثة هوت عليه اليد القوية وصفعته على خدّه صفعة قوية فافاق مذعوراً مرتجفاً واذا به يرى مارداً رأسه يصل السماء ويداه كمذراة طويلة وعيناه تقدحان الشرر . فارتعب ورُبِط لسانه . ولكنه عن غير وعي رسم علامة الصليب على وجهه ثلاثاً فاختفى الشبح .

وبعد ان استعاد بعض وعيه قام وسار الى البيت . دخل البيت مربوط اللسان مرتجفاً شاحب الوجه . كلّموه فلم يجب بل سار تواً الى فراشه وبقي بضعة اشهر طريح الفراش لا يستطيع نطقاً . واخيراً تعافى بواسطة الصلوات والرقى والنذور . عندها باح بالسرّ .

شبح المقابر :

وهذه قصة سمعتها في عبادات ، غير ان هذه القصة ذاتها قُصَّت علي مرارا في راس المتن وسمعتها في حمانا ، ولست اشك انها قصة لبنانية شائعة . تفسيرنا لها انها قد تكون حادثة وقعت بالفعل لاحدهم في قرية من القرى (اهل راس المتن يصرون انها وقعت في راس المتن كما يصر غيرهم انها وقعت في قريتهم) ثم شاع خبرها فادّعاها كثيرون . اما في عبادات فيروون القصة عن رجل من دلبتا ويقولون انه ذهب الى سنديانة مار سركيس في بيت حباق . وقد اراني مخبري المقبرة والسنديانة واضاف : « هون سَكّ الخنجر » .

« في ليلة مظلمة ذات رياح عاصفة باردة اجتمع شباب القرية فلان وفلان . . . حول الموقد يتندّرون ويتباهون باعمال البطولة والفروسية . وبعدها ربدأ التعجيز[1] . قال قائل : « من يتجرأ ان يذهب الآن

---

(١) التعجيز سلوى مستحبة في القرى اللبنانية، وهو انواع مختلفة من التحدي والرهان على امور تتطلب شجاعة روحية وقوة بدنية .

الى دار الخشخاشة ويشك الخنجر في السنديانة (الزنزلخته ، الصنوبرة ، السروة .. الخ ؛ ورواية اخرى يدق وتدا ويعيّنون الوتد لكي يسدّوا على قابل التحدي ابواب الكذب والادعاء) ؟ مَن يستطيع هذا فله منا ريال مجيدي[1] . فقال . . . . (وفي كل قرية يذكرون لك شخصاً في لسانه حبسة من جراء المغامرة) « أنا لها » فقام والتف بعباءة واخذ الخنجر (الوتد) وذهب وبعد مدّة عاد اصفر اللون مرتجفاً لا يتكلم . فدثروه واسقوه شراباً سخناً ولم يستطيعوا ان يعرفوا السبب ، لانه لم يستطع الكلام .

وبعد ايّام ، وعندما استعاد وعيه وفُكّت عقدة لسانه اخبرهم الخبر. قال : بينما انا اشك الخنجر (الوتد) شعرت بيد شبح قوية تشدّ بعباءتي . أنا اشد بها وهو يشدّ بها فخفت خوفاً شديداً . لم استطع رؤية الشبح انما رأيت شهبين من النار . (وبعضهم يقول انه رأى مارداً رأسه في السماء وعيناه تلمعان كعيون القطّ ليلاً) .

اما الذين لا يؤمنون بوجود الجن والارواح فيفسدون سذاجة القصة بالاضافة التالية :

« ذهب بعض الشبان صباحاً ليروا ما الخبر واذا بهم يجدون طرف العباءة مشكوكاً بالخنجر الى جذع السنديانة ! فان الريح أطارت طرف العباءة فجاءت ضربة الخنجر على طرف العباءة فرُبِط بالجذع ، وعندما جاء ليقفل راجعاً تخيّل يداً قوية تشدّ بعباءته ! »

وتظهر هذه الاشباح احياناً لتحاسب الناس عن خطأ او عن اثم . ذهب رجل ليسرق حملة قنيبلة (او جربان) من حرش بخص جاره . وهو عائد مرّ بالمقابر وكان الوقت ليلاً فانزل حمله (او اسنده الى شوار) ليستريح واذا بشهب نار يخرج من بين رجليه فيترك الحمل مذعوراً ويهرب . وعن بعد التفت واذا بحمل القنيبلة قد احترق .

(١) قطعة نقود فضية تركية كانت قيمتها ٢٣ غرشاً .

والارواح تدخل الناس فتصرعهم :

والروح الشريرة تدخل جسد الانسان فتسبب له مختلف الامراض اكثرها شيوعا الصرع . يعللون اعراض هـذا المرض بقولهم « روح بتصرعو » ويسمون هذا المرض « داي النقطة » (اي داء) ويقولون بيوقع بداعي النقطة . لان المصاب يصرع ارضاً وتتشنج اعصاب جسده مدة ثم يفيق منهوك القوى فيقولون « فارقته الروح » .

اخبرني احد سكان عبادات اسمه اوسابيوس القصة التالية التي جرت لابن عمته يوسف المصاب بالروح الشريرة . وكان اوسابيوس شاهداً عياناً ! قال ما معناه بالحرف الواحد (ويقسم ان ما يرويه صحيح) :

« كان يوسف ابن عمتي يصاب بنوبات يغيب فيها عن الوعي وتتشنج عضلاته وتعتريه رعدات وهزّات جسم قوية . واذا كانت النوبة خفيفة كان يتصرّف تصرّف الذاهل الحالم ويقوم بحركات واشارات تدل على عدم وعي ، ويظهر على وجهه دلائل البله والخبـــل . ولم يستطع مغربي ولا طبيب قانوني ان يشفيه ، ولم ينجع فيه دواء . ويوسف هذا من بلدة حجولا واكثر سكان هذه القرية مسلمون شيعيون (متاولة). ويسكن هناك شيخ يستطيع اخراج الشياطين[1] اسمه سليمان عسّاف . واشتهر سليمان بقدرته الفائقة على اخراج الشياطين وشفاء المصابين بها فآمن به خلق كثير . والذين آمنوا شفوا ، اما الذين تسرّب الشك الى نفوسهم فلم ينجح فيهم طبه . وتعليلهم الامر ان شرط الشفاء الايمان لانه قد جاء في الانجيل « الّلي بآمن بالحجر بيبرا » . ويوسف متألّم معذّب ، والمتألم ، على حد قولهم ، يتعلّق بحبال الهواء . فآمن يوسف بقدرة سليمان عسّاف وسلّم امره اليه .

---

(١) اقرأ انجيل متى ٨ : ٢٨ — ٣٤ .

عندما احضروا المريض يوسف الى الشيخ سليمان امره ان ينام ارضاً على بطنه وان يسترخي ويسلم امره اليه . ثم ان الشيخ تدثّر بعباءة واخرج كتاب صلوات وادعية[1] وأخذ يتمتم . ثم انه اخرج من تحت الطرّاحة قضيب لوز اخضر (ويجب ان يكون لوزاً) واخذ يضرب به الارض ويقول «اخرج منه !» .

قال مخبّري «فكنت اسمع صوتاً يقول : من اين اخرج ? هل اخرج من عينه ? فيجيب الشيخ سليمان عساف : كلاّ ، بل تخرج من ابهام رجله . اخرج يا ملعون وادخل في الدجاجة السوداء ! وكان الى جانبنا في الدار امام البيت دجاجات تنقد وتنقب في الارض آمنة . وما هي برهة حتى انتفضت الدجاجة السوداء ودارت في حلقة كالمجنونة تضرب بجناحيها ونقاقي ثم اختفت عن انظارنا . فتشنا عنهـــا ولكنها اختفت . وعندما رفع الشيخ عنه الدثار رأينا العرق يتصبّب من جبينه . وكذلك وجدنا المريض مسترخياً وجسمه مبللاً بالعرق البارد . تلفتنا ناحية الابهام واذا هناك بقعة مستديرة لونها ازرق . فعلمنا ان الروح خرجت من هناك ودخلت الدجاجة . ويوسف ابن عمّيَ رجل حي يرزق ويتمتع بصحة كاملة ، واذا كنت تشك في صحة الخبر ناديناه حتى يروي لك الخبر هو نفسه» .

الرصد :

والرصد روح تحرس كنزاً دفيناً . يعتقد الناس في منطقة الشرق الادنى — حيث تكثر الخرائب والآثار القديمة — ان الاقدمين طمروا كنوزهم الثمينة في الخرائب القديمة . والتفتيش عن الذهب والفضة عادة

---

(١) سألت مخبري عن الكتاب قال ما معناه «رأيته اخرج كتاباً معلقاً في عنقه الى تحت ابطه . فتحه واخذ يتمتم ويذكر اشياء ربّانيه روحانية ، ولست ادري اي كتاب هو . انما رأيت كتاباً بين يديه . يقولون انه كتاب فيه اشياء شيطانية وروحانية»

قديمة تعود الى زمن البابليين والفراعنة والفينيقيين . فقد ورد في نقش اشمون عزر ابن تبنيت ملك صيدا ان ليس في قبره كنز دفين ، وعليه يطلب الى المنقبين عن الكنوز والى سرّاق ما في القبور الاّ يزعجوا عظامه . وقد جاء في سفر ايوب ٣ : ٢١ « ..... ويحفرون عليه اكثر من الكنوز » . وفي سفر الامثال ٢ : ٤ « .... ويبحث عنها كالكنوز » وفي انجيل متى ١٣ : ٤٤ « .... يشبه ملكوت السموات كنزاً مُخفىً في حقل .. » هذه وغيرها كثير تدل على ان الاعتقاد بوجود كنوز ثمينة دفينة والتفتيش عنها امران قديما العهد .

في كل قرية لبنانية اخبار لا حصر لها عن الكنوز الدفينة التي خلّفها الاجداد الاغنياء والملوك والامراء . وفي كل قرية خبر عن رجل او امرأة او ولد عثر على « مسمنة » او خابية ملآنة نقوداً ذهبية ، وفي كل قرية لبنانية اخبار عن رجال قضوا العمر وهم يفتشون عن كنز مخبوء .

اخبرني والدي ، (وقد سمعت هذا من عِدّة شيوخ من عائلتنا) قال : كان فلان رجلاً فقيراً يفلح الارض فداست رجل الثور حافة الشوار فهبط الجدار وبانت « مسمنة » . اخذها الرجل الى بيته سرّاً وفتحها واذا هي ملأى بقطع من الذهب حجم الواحدة حجم الريال الفضي المجيدي . وكانت من عادة الرجل ان يذهب في الصيف الى بلدة كفرزبد في البقاع حيث للرجل اقارب فيساعدهم في الحصاد ويعفّر[1] ما يستطيع تعفيره ويعود الى بيته في اواخر الصيف ومعه من الحبوب ما يكفيه مؤونة الشتاء . قال : واخذ من المسمنة بضعة قطع وباعها في زحلة . وفي الصيف ذهب الرجل في رحلته الصيفية ، رغم الغنى العظيم الذي وجد نفسه فيه ، ليساعد في الحصاد . ولكنه لم يعد . مات الرجل هناك . وكان قد حفر حفرة ، اما في ارض بيته او في الحديقة حول بيته (وبيته في مزرعة نائية عن القرية) وخبأ فيها

---

(١) راجع ما قلناه عن التعفير ص ١٠٩ عن زراعة القرية

المسمنة . فقام اولاده من بعده يفتشون عن المسمنة ، ونقبوا الارض وهدّموا الشوارات وركشوا ارض الغرف وكشفوا عن الجدران السميكة في البيت فلم يعثروا على شيء . وتصدّى للتنقيب عن الكنز شيخ العائلة وانفق الدراهم الكثيرة ولكن بدون جدوى . شبيه هذه القصة شائع في جميع انحاء لبنان .

وتعليل الناس ان الكنوز لا يعثر عليها ولا يمكن استخراجها من قلب الارض ومن المغاور والنواويس لان رصدا يحرسها . والرصد روح ، وشبح ، وجسم ، واحياناً يتخذ الرصد شكل حيوان صغير : فارة ، شمّوسة ، حيّة ، عقربة ، حرذون ، ام اربعة واربعين وغيرها . والصعوبة قائمة في معرفة الحيوان الذى اتخذه الرصد جسما يتخفّى وراءه . واصعب من هذا - بعد تعيين الحيوان - ان تعرف الحيوان بالذات فقد يكون بالقرب من الكنز اكثر من عقرب واحد او حيّة او حرذون .

ولا تعدم القرى من يستطيع « فك الرصد » ولا يعدم فكّاكو الرصد بسطاء بلهاء يدفعون ثمن معرفة مكان الكنز وثمن فكّ الرصد . وفكّ الرصد رقية او خط يتدرّع به المفتش عن الكنز وبه يستطيع ان يقضي على قوة الروح التي تحرس الكنز ، اي الرصد . ويخبرونك اخباراً لا حصر لها عن النواويس والخرائب التي فيها كنوز وعن الصعوبة التي يلقونها في التفتيش عن الكنز . فانهم مثلاً يسمعون في الليل صفيراً او غناء او عزفاً على المزمار او قرع الطبول والصنوج ، فاذا ما اقتربوا من المكان اختفى كل شيء وبدا طبيعياً .

حدّثني مخبري في عبادات عن واد بالقرب من حصارات تكثر فيه النواويس . يسمع المار ليلاً في ذلك الوادي غناء عرس فكأن الارواح في عرس دائم . وكثيرون من اهل المحلة سمعوا العزف والغناء . وقد استطاع احدهم ان يحفظ شطراً من الشعر الزجلي الذي كان يكثر ترداده :

بنت شنتر لابن عنتر

وتفسيرهم ان شنتو اسم روح وله بنت تزّف الى ابن روح آخر اسمه عنتو .

قال مخبري في عبادات : « في جوارنا مغارة مرصودة (اي يحرسها رصد او روح) فيها كنز قارون . وقد اخبرنا آباؤنا نقلاً عن اجدادهم ان كثيرين حاولوا الوصول الى الكنز فلم يفلح احد باخراج شيء منه خارج المغارة . قال : وفي المدة الاخيرة حاول بعضهم اقتحام المغارة بالقوة والبأس . فدخل بعضهم المغارة راكبين الخيل وبعضهم مشياً . وقد شاهدوا القطع الذهبية . ولانهم كانوا يعلمون مسبقاً انهم لا يستطيعون اخراج شيء منها فانهم لجأوا الى حيلة : بيطروا خيلهم بنعال من ذهب خالص وخرجوا . ولكنهم عندما خرجوا الى النور وجدوا ان نعال خيولهم استحالت الى حديد . انما كان هنالك بين المقتحمين امرأة مرضع وقد اصطحبت ابنها الطفل اذ لم يكن عندها في البيت من يحرسه . التقط هذا الطفل « كمشة » من ليرات ذهبية وعندما خرجوا الى النور وجدوا في يده ليرات ذهبية ، فكأن الرصد رضي عن هذا الطفل الذي هو كالملاك في الطهر والقداسة فسمح له « بكمشة من ليرات ذهبية » . ويؤكد مخبري ان الحادثة وقعت فعلاً . وفي قرى لبنانية اخرى من يروي لك احاديث عن الكنوز شبيهة بهذه القصة ويؤكدون لك ان الاخبار صحيحة .

وفي بلدة كفر حزير مغارة يعتقد اهل البلدة انها مرصودة لان في داخلها كنزاً دفيناً لا يستطيع احد ان يصل اليه . وترامى الخبر الى جماعة من الارمن الذين يفتشون عن كنوز . وذهب الارمن الى موقع المغارة واخذوا يكشفون التراب عن مدخلها . وهم على وشك الدخول ترامى الخبر الى اهل القرية ان غرباء يفتشون عن الكنز في المغارة التي في خراجهم . نقل الناطور الخبر الى المختار والمختار اعلم الحكومة فارسلت دائرة الآثار بعض افراد الجندرمة للتحقق من الخبر ظنّاً من قبل مديرية الآثار ان الامر يتناول التفتيش عن آثار تاريخية . وقد اوقف

الارمن عن العمل . ولكنهم أخبروا عن ظهور عبد مارد مكشّر عن اسنانه . وكذلك كلّموا اهل القرية عن ظهور شبح قيل كان يتراءى لهم داخل المغارة ويختفي . وقد احدثت هذه الحادثة ضجّة في كفرحزير وفي القرى المجاورة . كان هذا منذ اشهر قليلة .

القضاء والقدر :

ايمان الناس في القرى اللبنانية على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم ثابت راسخ : اقدار الناس مكتوبة على لوح عند الله منذ ولادته حتى مماته . كل خير يناله فمن الله وكل شر ينزل به مقدّر له . وهو ايمان يبعث في نفوسهم شيئاً من الاطمئنان والرضى عند وقوع المكروه . فان اللبناني تجاه الشدائد وفي النوازل رصين يحتفظ بكثير من الجلد والوقار والثقة .

ولكن هذا الايمان الساذج الاعمى لا يصرفهم عن الجدّ والسعي كما يُتوقّع في الجماعات التي تستسلم للقضاء والقدر . فـان اللبناني نشيط دؤوب يعمل ليومه ولغده . يزرع الشيخ البالغ من العمر الثمانين اغراس الزيتون ويبذر حب الصنوبر مدركاً انه لن يعيش ليرى لغرسه ثمراً .

وهذا الايمان بالقضاء والقدر ينجم عن رسوخ عقيدة اللبناني ، على مختلف مذاهبه ، بوجود اله حيّ كائن به توجد الاشياء وبه تتحرّك . الريح من الله ، والمطر من الله ، والقحط من الله ، ونبع الماء من الله ، واذا جفّ فمن الله . الزلزال بارادة الله وبقوة الله . وهذا الايمان بوجود اله حيّ كائن في جميع اجزاء الوجود يظهر في لغة اللبناني وفي امثاله وفي اقواله الشائعة . فاذا همّ بالشيء قال « يلا » (= يا الله) واذا وعد قال ان شاء الله او بسملّي ، واذا حيّا ذكر اسم الله ، واذا ردّ السلام ذكر اسم الله ، واذا عدّ كنى عن الرقم الاول بقوله بركة ، واذا قتل احدهم قتيلاً قالوا « هيك مقدّرلو » (للقاتل والمقتول) واذا

اراد خزي العين ذكر اسم الله ، واذا تعجّب قال ما شاء الله ، واذا عزّى او قبل التعازي ذكر اسم الله ، واذا شتم او سب او لعن فانه يدعو الله فيقول الله يلعن او يحرق او يخرب . . . . . .

ويظهر ايمانهم بالمقدّر في كلامهم وامثالهم وتعابيرهم ، فانه اذا امطرت قالوا الله كريم ، واذا اصاب البلاد قحط قالوا ارادة الله ، واذا اصيب احدهم بمكروه قالوا المقدر كاين لا بد منه . والقضاء لا يـدفع والطبيعة لا تحارب . وهل يستطيع احد محاربة الطبيعة ؟ ومن يراجع كتاب الامثال العامية[1] اللبنانية يجد عشرات الامثال والحكم التي تعكس معتقدهم بالقضاء والقدر .

---

(١) « الامثال العامية اللبنانية » انيس فريحة ، منشورات الجامعة الاميركية في بيروت.

الفصل الخامس عشر

خرافات ومعتقدات

وهي كثيرة وتختلف من قرية الى اخرى ومن بيئة الى اخرى . وقد حرصنا ان نذكر في هذا الفصل ما نعتقد انه مشترك عند اكثر العامة في لبنان . ونرجو القارىء الكريم الا يعتبر ما سنذكره من خرافات ومعتقدات هو جميع ما يعتقد به اللبنانيون انما هي محاولة لجمع الشائع المتعارف ولاثارة الموضوع في نفس القارىء الكريم .

وقبل ان نأتي على ذكرها نودّ ان نذكر بعض الحقائق التي لمسناها عندما كنا نعنى بجمعها :

(١ً) في ثنايا هذه المعتقدات والخرافات بقية عقلية قديمة ساذجة تحدّرت الينا من الازمان السحيقة في القدم عند ما كان الانسان يأخذ بالسحر . فانه كان يوم كان السحر فيه علم الانسان ، فبالسحر يردّ الاذى ، وبالسحر يفوز بالخير ، وبالسحر يرمي عدوه بالمرض ، وبالسحر يُشفَى من المرض .

(٢ً) تعكس لنا هذه الخرافات والمعتقدات ايمان الانسان القديم بان العالم المحيط به تسكنه ارواح لا عدّ لها ولا حصر ، وكائنة في جميع مظاهر الوجود . وهذه الارواح على نوعين : الاول منها للخير والثاني للشر . وهمّ الانسان ان يتقي الارواح الشريرة او ان يسترضيها لتكف عنه اذاها .

(٣ً) تظهر في هذه المعتقدات والخرافات محاولة الانسان الاول البريئة لتعليل الكون والوجود ولمعرفة الاسباب والعلل . فان الجنون روح شريرة ، والصرع روح شريرة تدخل الانسان ، والمرض قصاص وتأديب وافتقاد . وفي هذا التعليل عزاء واطمئنان .

(٤ً) يظهر في هذه المعتقدات والخرافات ايمان الانسان بثلاثة مبادىء ساذجة : اولها ان هنالك تعاطفاً او تجاوباً سحرياً بين الاشياء المتشابهة . فاننا اذا التقينا بغنم صباحاً فان يومنا سيكون يوم غُنم وفوز ومسرّة ، واذا التقينا صباحاً بماعز ، والماعز يشبه الشيطان في حركاته وسكناته ، فان يومنا سيكون يوماً اسود ، يوماً شؤماً علينا . والالتقاء بالجرّة الفارغة شؤم وبالملآنة غُنم . واذ كتبنا خطاً لاحد الناس لاذيته (كما مرّ الكلام عنه في الفصل السابق) فاننا نربط الخيط بشعر اسود معقّد (مُعَرْبَس) لكي تتعقد الامور فلا تلين لحلّ . وقص الشعر لا يكون في نقصة القمر بل في زودته . والمبدأ الثاني ايمان الانسان البدائي ان الامور في الدنيا تحدث عكس ما يتوقعه الانسان ، لذلك يحاول ان يفسّر الحوادث وان يتكهّن بان الامور ستكون على نقيض ما يراه او يدركه او يتعاطاه . فان الحلم المبهج معناه شؤم ، والحلم المزعج المخيف معناه فأل واستبشار . اذا ضحك الانسان قال « يا رب تسترني من هالضحكات » كأنه يريد ان يقول : سيعقب هذا الضحك بكاء مرير . وهو اعتقاد شائع بين الناس .

والمبدأ الثالث الذي يأخذ به الانسان البدائي القديم هو ايمانه بانه يستطيع ان يقهر الطبيعة وقواها باعمال السحر المختلفة . يستطيع ان يشفي بقرته المريضة بتجريعه البقرة ماء رقاه له راق ، ويستطيع ردّ اذى العين الشريرة بتعليق عين زرقاء على ما يخشى عليه البؤس والاذى . وهذه ظاهرة بعيدة الانتشار في جميع انحاء العالم . فان ساحر القبيلة في المناطق الفقيرة بالشتاء يستطيع انزال المطر اذا صعد الى شجرة ورش الماء برشّة تقليداً لعمل الطبيعة ، فكأن بين عمله هذا وبين الطبيعة

تجاوباً او تعاطفاً سحرياً (Sympathetic magic) . ولكنه يتعلم ان اعمال السحر لا تسفر عن نتيجة يرضى عنها . ولكن الانسان البدائي محافظ لا يتخلى عن قديمه وعن معتقده وعن تقليده حتى وان ظهر له فساد السحر .

تسهيلاً للقارىء جمعنا هذه المعتقدات والخرافات في ابواب سبعة :

اولاً – باب التفاؤل (وتقول العامة عند الاستبشار : فال[1] مليح) اي ما يُتفاءَل منه ، او ما يُرَجى منه الخير والغنم .

ثانياً – التشاؤم ، اي ما يُتشاءَم منه وما يدعو الى التطيّر وترقب المكروه . وسنسمي هذا الباب باب الشوم اتباعا للعامة في تليين الهمزة .

ثالثاً – الطقس . ويندرج في هذا الباب جميع الخرافات والمعتقدات التي لها علاقة بالطقس واوجه القمر والشمس .

رابعاً – المرض والشفاء .

خامساً – الموت والدفن .

سادساً – معتقدات زراعية .

سابعاً – متفرّقات . ويندرج في هذا الباب معتقدات وخرافات متفرقة لا يمكن ادراجها في باب معين بل يجوز ادراجها في اكثر من باب واحد .

اولا – التفاؤل (ما يتفاءل منه) :

انه بالنظر الى حرص المرء على ان ينال الحسن والجميل ، وبالنظر الى شدة تفاؤله بالخير والرضى ، فانه يرى ، او يحب ان يرى ، في كل ما يزعجه او يخيفه او في كل ما يمكن ان يؤذيه سبباً او مقدّمة لخير سيناله .

---

(١) تستعمل العامة هذه اللفظة بمعنيين مختلفين : الفال هو الشؤم ، يقولون « طلع علي فال » والفال التفاؤل ، يقولون « ان ما كان صحيح فال مليح » .

١ - اذا افاق امرؤ من نومه وتـذكر حلماً تألم منه ، او اذا تذكر انه بكى في حلمه فانه يستبشر ويفرح لان يومه سيكون يوم خير . واذا حلم ان وحشاً ضارياً صادفه فانه يستبشر بلقيا من يحب . وعلى هذا النمط يجري تفسير الاحلام عند عامة الناس .

٢ - اذا خرج امرؤ صباحاً الى عمله ووقع نظره اول ما يقع على غنمٍ ، بيضاء كانت ام حمراء ام سوداء ، فانه يتفاءل بالغنم والخير . يقولون الغنم غنيمة . واذا التقى بامرأة راجعة من العين تحمل جرّة ماء ملأى فانه يستبشر . واذا تصبّح بمن يحب او بمن يهوى فانّ نهاره سيكون نهار هناء وسعادة .

٣ - اذا ولد طفل وكانت كفّه مفتوحة قالوا انه سيكون كريماً سخياً .

٤ - رفّة الجفن الايسر واختلاجته بشير بالخير وبرؤية الجميل . وكذلك أكلان الجفن الايسر (اي اذا استحكّ وعلى لغة العامة اذا رعى) فانّ معناه رؤية من يحب .

٥ - اذا حامت حول السراج او زجاجة القنديل فراشة صغيرة بيضاء او رمادية اللون استبشروا وتفاءلوا : قبض مال ، قدوم ضيف منتظر ، خبر سار .... الخ . ويسمون هذه الفراشة « بشورة » لانها تبشّر بالخير .

٦ - اذا قامروا ليلة راس السنة وربحوا فان السنة بكاملها خير ، واذا خسروا تشاءموا وانتظروا الخسارة والغبن .

٧ - اذا عثر احدهم على نضوة (نعل فرس) فانه يستبشر ويعلّق النضوة فوق الباب (ربما لان النضوة تشبه الهلال) او لان « الخير معقود بنواصي الخيل » .

٨ — اذا ارادوا تفصيل القماش لصنع الملابس اختاروا الخميس ، ومنه قولهم : الخميس فصّل وقيس (ربما لان خميس تلائم القافية !) .

٩ — اذا كُبَّت القهوة قالوا خير ، وكذلك اذا انكسر فنجان القهوة ونال احد الحضور رشاش من القهوة فتلطخت ملابسه فانهم يقولون له ستنال خيراً .

١٠ — من استعمل متاعاً لاول مرّة ، كأن يشرب من ابريق لم يشرب منه احد قبله ، او ادخل مسماراً بطرقة لم يستعملها احد قبله ، او نام في فراش لم ينم فيه احد بعد ، قالوا له انك ستعيش طويلاً وستنال خيراً .

١١ — اذا سقط رجيع الطير على راس مارّ او على ثيابه فلطخها قالوا له هذا « فال مليح » اي ستنال خيراً اليوم .

١٢ — الاكتحال يوم عيد البربارة بسِناج شمعة تُنْذَر لمريم العذراء مجلبة سعادة وخير . والاكتحال يوم اربعاء البراقطة يكسب العين صحة ولمعاناً ، وكذلك تمشيط الشعر في هذا النهار في تبّان مظلم فانه يكسب الشعر قوة ولمعاناً .

١٣ — اذا شاهدوا هرّة تغسل وجهها بكفها ، اي تلحسه ثم تمسّد وجهها ، استبشروا بقدوم ضيف . ومنهم من يتمنّى في اللحظة ذاتها ان يأتي ضيف معيّن بالذات فيقولون : « فوق ذينتك ، فوق ذينتك ، اذا اجا فلان منطعمك حلويتنك ! » .

١٤ — اذا استحكّت كف اليد اليسرى تفاءلوا بالقبض او بنوال خير .

١٥ — اذا طنّت الاذن اليسرى استبشروا بسماع خبر سار .

١٦ — اذا اختلج جفن العين اليمنى استبشروا برؤية جميل سار او ترقبوا ما يسرّ ويفرح .

١٧ – رؤية الهلال لاول مرّة فرصة للتمني والاستبشار ، ولهم في ذلك اقوال وعادات . منها انهم يتمنون الخير عند رؤية الهلال فيقولون :

« نُهِلّك ويستهِلّك ويجعلك علينا شهر مبارك »

واذا صدف رؤية الهلال على وجه احدهم وكان ممّن يحبونه او كان وسيماً جميل الطلعة قالوا « شفنا الهلال على وجّك » اي اننا نترقب خيراً . ومنهم من يضع فضة او ذهباً في الكتف اليسرى (القريبة من القلب) ويتمنّى او يردد : نُهِلّك ويستهِلّك ويجعلك علينا شهر مبارك » .

١٨ – اذا اتمّوا بناء جديداً علّقوا فوق الباب ما يردّ العين الشريرة : خرقة بالية او حذاء عتيقاً ، وكذلك فانهم يعلقون ما يجلب الخير : نضوة فرس ، او هلالاً ، او رسموا علامة الصليب (عند النصارى) . وكذلك يعتقدون بالذبح عند اتمام البناء . ينحرون خروفاً او جدياً على العتبة ويضع صاحب (او صاحبة) البيت يده في الدم الحار ويلطخ به العتبة فوق الباب او جوانب الباب . وقد يفعلون هذا عند انتقالهم الى مسكن جديد .

١٩ – عند فتح اساسات بيت جديد ينحرون . يقولون « ما بتجمد الاساسات حتى تبتلّ بالدمّ . » فينحر صاحب البيت ويسكبون الدم في الاساس قبل وضع الحجر . والذبيحة تُطبخ او تُشوى ويُعطى منها للعمال ، فيدعون لصاحب البيت بالتوفيق وطول العمر .

٢٠ – اذا انكسر اناء يقولون « انكسر الشر » اي انتفى ما يمكن ان يحصل من شرّ او اذيّة . وعبارة « انكسر الشر » تقال دوماً بعد ان يقع اناء زجاجي او فخاريّ فيتكسّر .

ثانياً — الشؤم :

١ — يتشاؤمون كثيراً من نعاب البوم قرب البيت ، لا بل يرتجفون احياناً خوفاً . منهم من يجرؤ على طرد الطير ومنهم لا يُبدي حراكاً بل يتقبلون نعابه المنذر بشرّ كأنه شيء محتّم مقدّر . نعاب البوم نذير الموت او المصيبة الكبيرة . منهم من يردّد عند سماعه النعاب « سكّين ! ملح ! » سبع مرّات ، ومنهم من يرسم علامة الصليب ، وبعضهم يصلون ويستغفرون او يقرأون المزمور الحادي والخمسون : « ارحمني يا الله حسب رحمتك ....

٢ — إهلال الكلب او عواؤه بالمقلوب ، كما تسميه العامة ، نذير شؤم وكارثة . ووقع اهلال الكلب كوقع نعاب البوم قرب البيت . يتوقعون موتاً او مصيبة ، واذا اهلّ الكلب قرب بيت مريض خافوا جداً . منهم من يجرؤ على القيام لطرد الكلب ومنهم من يتقبّل الامر على انه واقع لا مردّ له .

٣ — قتل الكلب والهرّة مجلبة للشر والاذيّة والموت . والمؤلف يعرف امرأة اتهمت زوجها بانه كان سبب موت ابنها الشاب وذلك لانه كان قد سمّم لكلب عاث في خضاره فساداً .

٤ — اذا عطس احدهم في مأتم عليه ان يمزّق كمّ قميصه ليدفع عنه الاذى .

٥ — لا يُطفأ المصباح في غرفة المحتضر اذا مات المحتضر ولو بقي مضاء النهار التالي كله . إطفاء مصباح المحتضر شؤم ونذير ان امرءاً آخر من افراد العائلة سيتبعه . ولذلك يتركون هذا المصباح مضاء الى ان يفرغ الزيت فينطفىء من تلقاء ذاته .

٦ — لا يُفشَخ فوق الميت . من فشخ ميتاً مات .

٧ – العدّ ، عدّ اي شيء « بِطَيّر البركة منّو » ولذلك يتشاءمون من العدّ . لا تسمح امرأة ذات اولاد كثيرين لاحد من الناس ان يعدّهم . فانها تتشاءم واحياناً تجفل وتغضب اذا لحظت ان احد الناس يعدّ اولادها . من يجمع دراهم في « قجة » لا يعدها فان البركة تطير . واذا اجبر الفلاح على العد يبدأ بقوله : بركة ، بركتين تلاتة (اي تلات بركات) والغنام لا يعطيك عدد قطيعه بل يقول : بركة . واذا سألت احد الناس عن عدد اي شيء : اولاده ، اشجاره ، ماله ، بيوته ، فانه لا يعطيك العدد لئلا « تطير البركة » بل يجيب : بركة من خير الله ، الله كريم .

٨ – اذا مرّت جنازة من امـــام بيت وكانت ابواب هذا البيت او نوافذه مقفلة اسرعوا الى فتح باب او نافذة ليطير الشؤم من البيت . وانتفاء للشؤم يرشون ملحاً عـــلى الطريق الذي مرّت عليه الجنازة ، او انهم يذيبون الملح ويسكبون الماء فيجري الماء وبجريانه ينتفي الشؤم .

٩ – النيزك روح صاعدة الى السماء ، وكل مرّة يرون فيها نيزكاً يرسمون علامة الصليب .

١٠ – اذا رأى احدهم في نومه حلماً مفرحاً مبهجاً تشاءموا منه ، وزعمهم ان في النهار يحدث عكس ما يحدث في الليل . فاذا ضحك في نومه بكى في يومه ، واذا قبض في نومه مالاً دفع في يومه مالاً ، واذا حضر عرساً فانه سيحضر مأتماً ، وهكذا يفسرون كلّ مبهج في الحلم انه شؤم في الواقع .

١١ – التصبّح بالاعور او الاحول ، او الاحلط وبالجرة الفارغة (اي امرأة ذاهبة الى العين لتستقي) وبقطيع المـــاعز ، وبالجنازة ، وبغراب اسود شؤم وتوقع مصيبة او اذية . ولذلك نجد ان كثيرين وكثيرين من الناس اذا قاموا الى اعمالهم صباحاً ووقعت العين اول مـــا تقع على شيء من هذه التي ذكرناها فانهم يتشاءمون ويترقبون الشر . ومنهم من يعدل عن سفر او عن عمل كان ينوي القيام به .

١٢ – اذا ابتدأت السنة الجديدة بحادث شؤم فالسنة كلها شؤم . ولذلك يحرصون على معرفة حظهم في السنة الجديدة . منهم من يلعب القمار ليلة راس السنة ولو كان لا يقامر ، وذلك ليعرف مبلغ حظه ، وليعرف اذا كانت السنة سنة خير او شؤم . فاذا ربح استبشر واذا خسر تشاءم . وكذلك اذا بدأت السنة بداية حسنة (كأن يفرح او يبتهج او ينال خيراً) فان السنة كلها خير . والامر على نقيض هذا اذا بدأت السنة بحزن او مرض او اذية فان السنة كلها شؤم .

١٣ – يتشاءمون (النصارى منهم) اذا وقع الصومان معاً : صوم النصارى والاسلام .

١٤ – يتشاءمون من صياحِ الدجاجة صياحَ الديك . من يسمع دجاجة تصيح يقلب حذاءه فينتفي الاذى . ومنهم من يذبح هذه الدجاجة ، ومنهم من لا يأكلها بل يقتلها قتلاً ويرميها .

١٥ – الغراب (القعق) نذير شؤم . والغربان الطائرة فرادى شؤم. وقد ذكرنا ان التصبح بالغراب نذير شؤم . ومنهم من اذا رأى غراباً في صباحه عدل عن عمل كان يرجو منه الخير او عن سفرة عزم على القيام بها .

١٦ – اذا حامت حول السراج فراشة سوداء تشاءموا وحاولوا قتلها (عكس البشورة البيضاء) .

١٧ – اذا كانت امرأة ذاهبة الى العين لتملاء جرّتها وصادفت احد الناس على الطريق فانها اما ان تحيد عن الطريق لانتفاء الشؤم او انها تسد فم الجرة بيدها او بطرف ثوبها (اخفاء للفراغ) ومن التقى بالجرة فارغة عدل عما كان ينوي فعله .

١٨ – لا تُفصّل الملابس ليلاً فان صاحبها يُصاب بسوء . وكذلك لا تُفصّل الملابس يوم الثلاثاء فيقولون : التلاتي وراتة .

١٩ – كبّ الزيت نذير شؤم . الزيت مقدس واذا كُبّ فان حدثاً ما غير مرضيّ سيحدث في البيت . ويقولون « كبّ الزيت خراب البيت » .

٢٠ – يتشاءمون من النظر في مرآة ليلاً .

٢١ – يتطيّرون من امرىء يلبس ثوباً جديداً قبل ان يلبسه صاحبه، كأن يجرّب احدهم جاكيت جديدة لا تخصه، او كأن تلبس امرأة ثوباً على سبيل التجربة اذا كانت صاحبته الاصلية لم تلبسه بعد . يعتقدون ان صاحب الحاجة سيموت ويرث ملابسه آخر .

٢٢ – لا يُكنس البيت ليلاً . تطير مع كنسه البركة .

٢٣ – اذا سافر احد افراد البيت فانهم لا يكنسون البيت ويحرصون على الا يُكسر اناء .

٢٤ – لا يُكنس البيت في اسبوع الآلام او على الاقل يوم الجمعة العظيم .

٢٥ – اذا اصيبت كف يد اليمنى بالاكلان (اذا استحكّت) فانهم يترقبون ان يدفعوا مالاً او ان يخسروا شيئاً .

٢٦ – اذا طنّت الاذن اليمنى فانهم يترقبون سماع خبر مزعج .

٢٧ – اذا اختلج جفن العين اليسرى فان الاختلاجة نذير شؤم وحزن .

٢٨ – الملح والخبز مقدّسان . فلا يداس على الملح ولا على الخبز ، ومن داسهما عن غير قصد توقع بعض الشر . الخبز يُرفع عن الارض ويقبّل ويوضع في مكان لا تطأه رجل . والملح يجمع من على الارض ويرمى في مكان لا يداس .

٢٩ – يتشاءمون كثيراً من ضياع محبس الخطبة او الزواج

او الاسوار الذي يقدمه العريس . يترقبون الا يكون الزواج زواجاً موفقاً . وكذلك اذا سقط المحبس من اصبع المخطوبة وقت الخطبة او في الاكليل .

٣٠ – سقوط صورة الرجل وتحطمها نذير شؤم اذا كان صاحب الصورة لا يزال حياً .

٣١ – لا يعطون مولوداً جديداً اسم اخيه الميت .

٣٢ – ظهور مذنب نذير شؤم . ظهر مذنب هالي قبل الحرب العالمية الاولى فتوقع الناس شؤماً . وعندما وقعت الحرب خيّل اليهم ان حدسهم تحقق . كسوف الشمس وخسوف القمر نذير شؤم . وعندما يحدث كسوف او خسوف تدق الاجراس وتقرع الطبول ويقرقع على التنك وخلافه . وتعليلهم في ذلك انهم يخيفون الذي يحاول ابتلاع الشمس والقمر .

٣٣ – للهرة سبع ارواح فهي من نوع الشياطين . تقع على الارض من علو شاهق فلا تصاب باذى . والهرة السوداء منها نذير شؤم . اذا مرت فجأة من امام امرىء فانه يترقب شراً .

٣٤ – لا تُحطَّم المرآة . في المرآة يختفي ظلّ المرء . وتحطيم ما يختبىء ظل المرء نذير شؤم .

٣٥ – المرور تحت سُلَّم موضوع في الطريق نذير شؤم ، ولذلك يحيد الناس عنه ويمرون الى جانبه .

٣٦ – اذا فقدت امرأة ولداً فانها لا تخيط ملابس طفلها الثاني . واذا كانت حاملاً فانها لا تمس ملابس الطفل بل تطلب الى جيرانها ان يهيئوا ملابسه .

٣٧ – لا يُعار القدر ليلاً ، ولا يخرج قدر من البيت ليلاً . خروج القدر يُقرن بخروج تابوت من البيت .

٣٨ – لا توقد ثلاثة اسرجة معاً وتوضع في مكان واحد او في غرفة واحدة .

٣٩ – اذا خلع احدهم حذاءه في المجاز (والمجاز هو المربع المبلط عند مدخل البيت او العلية حيث يخلع الناس احذيتهم لانه لا يدخل رجل البيتَ منتعلاً) وانقلب الحذاء على وجهه فانه يتشاءم . وكذلك يتشاءم معه اهل البيت . الحذاء يجب ان يبقى قائماً على نعله .

٤٠ – لا تقلّم الاظافر ليلاً ولا يقصّ الشعر ليلاً .

ثالثاً – الطقس واوجه القمر

(١) النقصة والزودة :

ويريدون بالنقصة المدة الواقعة بين تكامل ظهور وجه القمر ، اي عندما يصبح بدراً كاملاً ، الى محاقه . ويريدون بالزودة المدة الواقعة بين ظهوره هلالاً الى يومه الرابع عشر . ويعلقون كثيراً من الاهمية في اعمالهم على اوجه القمر ، فان للقمر اثراً في حياة الناس والنبات . فانهم مثلاً لا يقصون شعر طفل منذور في نقصة القمر بل في الزودة (ليتزايد) ولا يشحلّون الشجر في نقصة (باستثناء الكرمة) بل في زودة ، ولا يجمعون حبّ الزيتون في نقصة بل في زودة (ليزيد الزيت فيه) ولا يقتلعون البصل في نقصته بل في اول الهلال . وعلى هذا قس امورا اخرى . والمبدأ العام هو اعتقادهم بان في زودة القمر زيادة ووفراً وفي نقصة القمر نقصاناً وخسارة[١] .

---

(١) ولكننا لحظنا ان هذه القاعدة لا تُتبع في جميع القرى . وسبب اختلافهم هو انهم يختلفون في تفسير زودة ونقصة . فقد يرغب مزارع ان يزداد شيء بينما يرغب آخر في نقصانه . انما المبدأ واحد : الزودة توحي الزيادة والوفر ، والنقصة النقصان والخسارة .

(٢) الملان والفارغ :

يقسمون الشهر القمري ، ومدته عندهم ٣٠ يوماً . الى ايام ملآنة وايام فارغة ويسمونها « ملانات وفوارغ » . اول خمسة ايام من الشهر ، بدءاً من الهلال ، ملانات يعقبها خمسة ايام فوارغ . ثم يتلوها ٤ ملانات و ٤ فوارغ ثم ٣ ملانات و ٣ فوارغ ، ثم يومان ملانات ويومان فوارغ ثم يوم واحد ملان ويوم واحد فارغ ، وعدتها ٣٠ . يتشاءمون من الزرع في الفوارغ ويتفاءلون من الزرع والحصاد في الملانات .

(٣) البواحير :

والبواحير تنبؤ عن حالة الطقس مدار السنة بدءاً بالرابع عشر من شهر ايلول حتى ٢٦ منه . وكثيرون من الفلاحين ، ولاسيما في منطقة البقاع ، يعتمدون في زرعهم وبذرهم الحب على ما يقوله لهم المبوحرون اي الذين يتنبأون عن حالة الطقس كما سيجيء وصفه .

والبواحير مجموعة ايام عدتها ١٢ يوماً تبتدىء باليوم الرابع عشر من شهر ايلول ، وهو يوم عيد الصليب حسب التقويم الغربي وتنتهي يوم عيد الصليب حسب التقويم الشرقي (الفرق بين التقويمين ١٣ يوماً) . ومنهم من يعتبر البواحير الشرقية اي ابتداء من ٢٧ أيلول حتى ٨ تشرين الاول ، ويسمونها البواحير الشرقية . ويعتقدون ان طقس كل يوم من هذه الايام ينبىء عن الشهر الذي يقابله ، اي ان طقس اليوم الاول من البواحير (١٤ أيلول) ينبىء عن حالة الجو في شهر ايلول ، وطقس اليوم التالي (١٥ أيلول) ينبىء عن طقس تشرين الاول ، والتالي (١٦ أيلول) ينبىء عن طقس تشرين الثاني ، وهكذا دواليك حتى آخر يوم من ايام البواحير الذي ينبىء عن شهر آب . وجلّ ما يريدون معرفته هو سقوط المطر في اشهر الشتاء واشهر الربيع . اما فيما يتعلق بالاشهر الصيفية فلا اعتبار له على اساس ان الجو معروف مسبقاً : حار جاف .

يستمدون تكهناتهم عن حالة المطر والبرودة والجفاف والارياح من ملاحظتهم طبيعة الجو في ايام البواحير. وتكون الملاحظة دقيقة وتتناول حالة تقلبات الجو ليلاً ونهاراً . ويعتبرون حالة جوّ ذلك النهار خلال الساعات الست الاولى معادلة لحالة الجو في الاسبوع الاول من الشهر الذي يمثله ، اي انهم يعتبرون الشهر ٢٨ يوماً (كل ست ساعات تمثل اسبوعاً) . والباحورة تبدأ من الساعة الثانية عشرة ليلاً الى الثانية عشرة من اليوم التالي . والمبوحر يراقب عن كثب الامور التالية :

(ا) الريح : هبوبها وشدتها وبرودتها ورطوبتها ومصدرها واتجاهها ، هل هو من الشمال ام من الجنوب ، من الغرب ام من الشرق .... الخ .

(ب) عليه ان يراقب الغيوم التي تظهر : لونها بيضاء كانت ام سوداء ، وعلوها ، وطريقة تجمعها واشكالها .

(ج) على المبوحرين في البقاع ان يراقبوا جبل الشيخ (حرمون) مراقبة دقيقة فيسجلون نوع الغيوم التي تظهر عليه بقطع النظر عن حجم الغيمة ، ومواقعها وانواعها والوانها . اما في منطقة المتن والشاطئ الذي يظهر منه صنين فعلى المبوحرين ان يراقبوا صنين وما يظهر عليه من غيم ، واما مبوحرو الشمال فعليهم ان يراقبوا ظهر القضيب .

ولنأخذ مثلاً باحورة واحدة ، ولنأخذ يوم ١٨ أيلول كمثل عـــلى طريقة التبحير . حالة الطقس ذلك اليوم ما بين الساعة الثانية عشرة ظهراً الى الخامسة مساء : غيوم بيضاء خفيفة عالية . بعد قليل يهب هواء على شيء من الشدة من جهة الشمال ويبدد الغيوم فتنقشع السماء. الرطوبة على الملح[١] قليلة . فيكون معنى هذا ان الاسبوع الثالث

---

(١) يعتمدون مقداراً من الملح لدرس معدل الرطوبة في الهواء . اذا تبلـــل الملح تكهنوا ان المطر سيكون غزيراً ، واذا بقي جافاً انتظروا ان يحدث جفاف في الطقس وانحباس في المطر .

من شهر كانون الثاني سيكون غائماً قليلاً وبدون مطر . اما آخر الاسبوع او نصفه على الاقل فصاحٍ وعلى شيء من البرد القارس الشمالي.

على هذا النمط يدوّن المبوحرون ملاحظاتهم عن الجو وعن الرطوبة كما تظهر في الملح ويبنون عليها تكهناتهم للسنة المقبلة . وحري بالذكر ان اناساً كثيرين يعتقدون بصحتها ، وبعضهم يؤكد لك ان تبحيره او تبحير الثقة الفلاني تحققت تماماً .

(٤) المستقرضات :

يتوقعون في اواخر شهر شباط واوائل آذار عاصفة شديدة عنيفة باردة . وفي المناطق العالية يتوقعون سقوط ثلج كثير وهبوب رياح عاصفة باردة . ويسمون هذه الايام « عيانة[١] المستقرضات » .

يعتقدون ان شهر شباط شهر شؤم على العجائز . فانه (شهر شباط) يجهد في القضاء على كل طاعن في السن . يروون خرافة شائعة في جميع انحاء لبنان (وفلسطين وسوريا) عن عجوز ابدت فرحها عند نهاية شهر شباط فقالت « راح شباط وبقفاه مخباط » فسمع شباط استهزاءها بقدرته على القضاء عليها ، فعزم على استقراض بضعة ايام من ابن عمه آذار ليميت العجوز برداً . فقال لآذار : « آذار يا بن عمي اربعة منك وثلاثة مني لنوقّد العجوز دولابها » . فأعاره آذار اربعة ايام وكانت عاصفة شديدة باردة أماتت العجوز . ولذلك سميت هـــذه الايام الاربعة بالمستقرضات[٢] .

---

(١) العيانة في عامية لبنان بضعة ايام عاصفة ماطرة دون انقطاع ، فيقولون « عيانة قوية » او « لازمها عيانة » اي ان الارض بحاجة الى مطر شديد .

(٢) تُروّى القصة على اشكال عديدة ولكن روح القصة ومغزاها واحد وللمستقرضات شبيه بها في الادب العربي القديم : برد العجوز : صن وصنبر ووبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفيء الجمر .

(٥) عيانة نقلة الشمس :

يتوقعون في اواخر آذار عاصفة شديدة ماطرة باردة ويسمونها عيانة نقلة الشمس . وسبب هذه العاصفة انتقال الشمس من برج الحوت الى الحمل . وهذه العاصفة تقع عند مقدم الربيع (بعد ٢١ آذار) .

(٦) في السنة الكبيس التي يكون فيها شباط ٢٩ يوماً يخافون على المواشي من الاوبئة والجوع ، فيقولون « سنة الكبيس خلّيك على مواشيك حريص » .

(٧) اذا رأوا الجلد مغطّى بغيوم صغيرة عالية بشكل اثلام او ادراج ترقبوا سقوط المطر ويسمون هذه الغيوم « متدرّجة » ويقولون : درّجت سماها قرب مياها .

(٨) اذا غابت الشمس وكان في الافق البعيد حيث تغيب غيوم سوداء كثيفة مستطيلة واعترضت هذه الغيوم قرص الشمس قالوا : غايبة بعقدة ، واذا غابت الشمس في عقدة ترقبوا المطر (هذا يصدق على موسم الامطار او عندما يشعرون في اول الخريف واوائل الربيع بشدة الحاجة الى مطر) .

(٩) اذا غابت الشمس وكان الافق حيث تغيب شديد الاحمرار صافياً ترقبوا الحرّ في اليوم الثاني .

(١٠) في ايام الشتاء الصاحية ، ويسمونها « ناقية » اذ سمعوا هدير السواقي بصورة لافتة قالوا غداً سيكون المطر غزيراً او قريباً من الطوفان .

(١١) اذا كان الطقس ماطراً عاصفاً وسمعوا في الليل عواء الثعلب استبشروا بالصحو والدفء .

(١٢) اذا لحظوا ان الدبابير في الصيف كثيرة ترقبوا شتاءً قاسياً ومواسم حسنة .

(١٣) اذا كان الصيف قاسياً شديد الحر ترقبوا شتاءً عنيفاً شديد البرد كثير الزوابع . وكذلك اذا كثرت الثلوج في الشتاء وهبت الريح الشمالية كثيراً – ويسمونها « سماوي » – ترقبوا صيفاً شديد الحر .

(١٤) اذا امطرت يوم عيد البشارة شكوا في صحة الموسم ومنه قولهم « يوم عيد البشارة اذا كان بالسماء غيمة دور الكارة ما بيطلع من القزّ ولا اشارة » وعيد البشارة يقع في ٢٥ آذار .

(١٥) الريح الشرقية الحارة ويسمونها « شلوق » او « شرقية » تستمر ثلاثة ايام يترقبون بعدها « عدان غربي » اي ريحاً رطبة باردة تهب من جهة البحر . واذا لم ينته « العدّان الشرقي » بعد ثلاثة ايام عرفوا ان الطقس سيبقى حاراً ٤ ايام اخرى . واذا هبّت الشرقية في ايام الشتاء ترقبوا بعدها سقوط مطر غزير .

(١٦) اذا ظهرت حول القمر دائرة من الغيوم « هالة » ترقبوا المطر في اليوم التالي .

رابعاً – المرض والشفاء :

لا نرى ضرورة ان نذكر في هذا الباب بقايا الطب القديم ، الطب الذي يسمونه الطب العربي بما فيه من تشخيص ووصفات طبية ، لان هذا الطب العربي القديم (مقابلة له بالطب العلمي الحديث[1]) معروف

(١) وقد تقدم الطب الحديث في لبنان تقدماً ظاهراً في الخمسين سنة الاخيرة . وقل ان تجد اناساً لا يؤمنون بالعلم حتى في قرى لبنان المنعزلة النائية . غير ان قولنا هذا لا يمنع لجوءهم الى وصفات طبية عربية قديمة يقولون عنها : « ان ما نفعت ما بتضرّ ! »

ومدوّن ، وفي بقاع كثيرة من لبنان لا يزال بعض الناس يأخذ به . ولذا لن نتعرّض لهذه الناحية . انما نحرص على ان نذكر من اخبار المرض وشفائه ما هو في طريق الزوال بفعل تقدم الطب الحديث . وعليه لن نذكر شيئاً عن الامور التالية الشائعة الى يومنا هذا :

(ا) الكي
(ب) الفصادة
(ج) تعليق العلق لامتصاص الدم
(د) تجرّع المسهل عند اقل انزعاج صحي
(ﻫ) التمسيد
(و) التحميل
(ز) الحجابات او كاسات الهواء

فانها امور باقية ، بل سنقصر الكلام عـلى معتقدات في المرض وخرافات في الشفاء لا تزال معروفة شائعة في كثير من قرى لبنان ومدنه[١] .

(١) الاحجبة والتمائم والتعاويذ والرقى والنذور جميع هذه وسائل شفاء . واذا كانت المرأة كثيرة الاجهاض علقوا لها في عنقها حجاباً يسمونه « الماسكة » .

(٢) المصاب بمرض السل يسقى حليب اتان .

(٣) مداواة الجرح : يعتقدون بقوة البول على شفـاء الجرح ، ومنها قولهم في البخيل الشديد البخل « ما بشخّ على اصبع مجروح » ويعتقدون كذلك بقوة روث الخيل والحمير والبغال (= فشكة) فانها تُدق وتوضع على الجرح فيطيب . ومن طرقهم في مداواة الجرح دهنه بمرهم من ورق الطيّون المجبول بالعرق . ومرهم آخـــر من مسحوق

---

(١) تسميتنا لهذه الوصفات او وسائل الشفاء « بالخرافات » لا يعني انها ليست ذات فائدة على الاطلاق .

اوراق حشيشة القزاز . ويضعون على الجرح ورق المشمش فانه يمنع الالتهاب ويبقى الجرح « بارداً » .

(٤) لفقأ الدمل يضعون على الدملة عجينة يلوثونها بالزيت ، وبصلة سخنة ، ولبخ[1] حارة من بزر الكتان .

(٥) المصاب بالحبوب الجلدية يأكل خميراً (وهو دواء ناجح في كثير من الاحيان) .

(٦) من انواع المسهل التي يأخذونها بزر اليقطين يؤخذ على الريق ، وماء جوز الهند يؤخذ على الريق ، وبعضهم يتناول شيئاً من ماء قثاء الحمارة ، ويقال لي انه سام .

(٧) يداوون الملاريا بدواء من ماء حشيشة القنطاريون والعرق . تؤخذ حشيشة القنطاريون بكاملها (ساقها واوراقها) وتنقع بالماء اياماً . ثم يؤخذ هذا الماء ويمزج بالعرق ويضيفون اليه قطعاً من الحديد ويترك اياماً اخرى . ثم يعطى للمريض كدواء للشرب : ثلاث مرات كل يوم قبل الاكل ، ومقدار الجرعة فنجان قهوة . وهو سائل شديد المرورة . ومن خرافاتهم ان الملاريا تسببها فاكهة الصيف (لان الملاريا تفشو في الصيف) ولذلك يمنعون المريض من تناول العنب . والمؤلف يذكر انه حرم العنب عدة سنوات كان يصاب فيها بالملاريا .

(٨) المصاب بالتهاب اللوزتين يمسدهما له امرؤ خنق خلداً بيده وسال دم الخلد على يده .

(٩) المصاب بالحازوقة « الفواق » يُغضَبُ ويُثار فان الحازوقة تفارقه حالاً .

---

(١) ومفردها لبخة ويقابلها في الانكليزية Compress

(١٠) يكثر بينهم ذكر الوتّاب وهو في اعتقادهم عضلة « وعند بعضهم شريان » في الكتف تتشنّج وتسبب الماً حاداً في الراس . وهنالك في كل قرية من يدّعي بانه ثقة في « شيل الوتاب » اي انه يستطيع ان يمسك هذا الوتاب بيده ويمرته او يمسده بعنف مسبباً للمريض الماً حاداً يسفر عن تصبّب عرق كثير . ثم ان المريض يشفى حالاً[1] .

(١١) العارض : ويتحدثون كثيراً عن مرض يصيبهم يسمونه العارض. ويقولون عن المصاب بالعارض انه عورض وهو معروض . ويدخل تحت العارض انزعاجات جسدية عديدة : سوْ هضم ، نوبة ازما ، لفحة هواء ، الم رأس .... واحسن دواء للعارض ان يعرق المريض عرقاً شديداً فيكثرون له من شرب الساخن : ختميّة ، خبّيزة ، نعنع بابس ، يانسون ، ويدثرونه تدثيراً شديداً ، ومتى عرق وتجشأ كثيراً يقولون زال عنه العارض .

(١٢) من يعدّ النجوم باصبعه يظهر له في اصبعه (او في يده) ثالول . وشفاء الثآليل يتم بترداد هذا القول مراراً عند رؤية الهلال في يومه الاول .

« هلّك هلّك يا هلّول »
عا وّجك زال الثالول »

ومنهم من يداوي الثآليل بربطها بخيط حرير في نقصة القمر .

(١٣) يسمون الرعدة او الارتجاف او الخوف الشديد الذي يصاب به النائم « روباص » والذي يصاب به « مرَوْبص » ويشقون فعلا :

---

(١) سألت صديقاً طبيباً عن حقيقة الوتاب فقال ان الذي يشيل الوتاب يمسك بعضلة او بعرق من عروق الرقبة عند اسفل الرقبة ويسبب للمريض الماً اشد من الم الاول ، والالم يطرد الالم . اما سبب الصداع الشديد فقد يكون ، كما اخبرني الطبيب مسبباً عن سوْ هضم او عن سبب آخر .

روبص . للشفاء من هذه الآفة المزعجة ، الروباص ، (وهي القرينة) ان يضع المرء حذاءه تحت مخدته . ومنهم من يداويها باضاءة سراج او وضع سكين تحت المخدة ، او بالرقية او بكتابة حجاب يعلق في العنق او تحت الابط . ومنهم من يمر رأسه تحت الكاس المقدس عندما يمر به الكاهن اثناء القداس . ومنهم من يطلب الى الكاهن ان يمس راس الذي يصاب بالروباص بالكأس المقدّسة .

(١٤) يتشاءمون من ليلة الاحد فانها عند المرض الشديد ليلة شؤم ، فان النفس تفضّل الرجوع الى خالقها صباح الاحد . فاذا انقضى ليل الاحد على المريض ولم يمت استبشروا بانه سيطيب ، لان الخطر يكون قد زال . ومنهم من يضيئون شمعة او سراجاً ليلة الاحد ويضعونه عند راس المحتضر فاذا خبا نوره او اذا انطفأ تشاءموا ، واذا شعّ وحسن ضياؤه فانهم يتفاءلون .

(١٥) البثرة الحمراء التي تصيب الجفن تدعى الشحّاذ ، ويداوون الشحاذ بالاستعطاء والاستجداء من ٧ مريمات . وعلى المصاب بالبثرة ان يذهب بنفسه ويستعطي . وما يجمع من طعام يعطى لفقير (وهو الافضل) او لكلب اسود .

(١٦) يداوون عضة الكلب بحرق خرقة من الصوف او من الصوف الخام ووضع الحرقة او الصوف ، وهي لا تزال بعد حارة ، مكان العضة وربطها .

(١٧) المصاب ببرقة ظهر (تشنّج عضلات في الظهر) يوصف له ان تدوس ظهره عذراء ثلاث مرات . تدوسه من جهة ثم تنزل وتصعد لتدوسه من جهة اخرى ثم من الجهة التي بدأت بها . واذا لم تكن عذراء فشاب او حدث بكر لوالديه .

(١٨) الذي يصاب برجفة ورعدة من جرّاء صدمة مخيفة او حادث

مخيف يُلبس طاس الرجفة او طاس الرعدة (وقـد وصفها باسهاب الدكتور توفيق كنعان (راجع ص ١٩٦)

(١٩) يعتقدون انه اذا عضّ كاب كَلِبٌ انساناً فانه يموت ليلة الاربعين . فاذا اتت الليلة رقصوا وعزفوا وطبلوا وغنّوا ابعـاداً لشبح الموت .

(٢٠) من الناس من اذا مشى حكّت عظمة الكاحل عظمة الكاحل الاخرى فتسبب عن هذا التحاك جرح . فاذا اراد احدهم ان يبرأ من هذا العيب في المشي ، واذا احب ان يشفى مما اصابه من جرح فانه يبني في قارعة الطريق « قعقور » . والقعقور في لغتهم حجارة صغيرة منضدة الواحدة فوق الاخرى في شبه عمود صغير (٢٥ - ٤٠ سنتيمتراً) واول واحد يمر ويهدم هذا القعقور تنتقل اليه هذه العادة ويبرأ صـاحب القعقور مما به . والمؤلف يذكر انه بنى مثل هذا القعقور عندما كان صغيراً .

(٢١) من اصيب ببحة في صوته ، او من فقد صوته لمرض ما ، او من اصيب بالتهاب في الحنجرة فانهم يصفون له ان يبلع شيئاً من قفص بلبل او حسّون غريد (حب القنبز ، او بقية طعام ، وليس رجيع الطير) وكذلك يعتقدون ان سبب البحة احياناً تغيير الماء الذي يشربه الانسان ، ولذلك اذا سافر امرؤ من بلد الى آخر وضعوا له قليلاً من العرق يمزجه بماء الشرب « حتى لا تغيّر عليه الميّ » .

(٢٢) يعتقدون بأن للبصل قوة على دفع اذى « تغيير المي » المشار اليه آنفا (نبذة ٢١) وكذلك يمنع الرشح او الزكام او العدوى ولذلك يقولون للمسافر : « البلد اليّ بتدخلها كل من بصلها » .

خامساً — الموت والدفن :

(١) عندما يقرع جرس الكنيسة قرعة حزن يرسم علامة الصليب كل من يسمعه .

(٢) اذا تفرّست عاقر في وجه رجل ميت فانها تحبل .

(٣) اذا تكرّر موت الاطفال في عائلة فان احد الجيران او الاصدقاء او الاقارب « يشتري » الطفل الذي سيولد لهم ، والدراهم هذه تعلّق في عنق الطفل فلا تعود القرينة تمسه بسوء لانه مشترى وهو ليس لوالديه . هو نوع من التضليل !

(٤) تبقى غرفة الموت مضاءة اياماً لان روح الميت تعود الى الغرفة التي مات فيها ، ويتطيّرون اذا اقفلت نوافذها او اقفل بابها للسبب ذاته .

(٥) لا تدخل روح الميت السماء حتى يكفّ الباكون عن البكاء .

(٦) يوقد للميت في الليالي الاولى سراج ويوضع في طاقة صغيرة في جدار المقبرة .

(٧) يتشاءمون من فتح المقبرة للدفن فيها اذا لم يكن قد مرّ بعد زمن على دفن ميت فيها ، ولا سيما اذا كان الميت الاول والثاني من العائلة نفسها . يعتقدون انها اذا فتحت ثانية فانها ستفتح لتضم ثالثاً . ولذلك يطلبون من الاصدقاء او الجيران او من العائلات الاخرى ان يسمح لهم بالدفن في مقابرهم .

(٨) لا يعرّج المشيّعون للميت على زيارة احد الناس . في ذلك شؤم على المزور . وبعضهم لا يتقبل زائراً راجعاً من مأتم اذا كان هذا الرجل سهوا قد نسي انه كان في مأتم .

(٩) يُشقّ الكفن عن وجه الميت عند فمه وانفه .

(١٠) حضور مأتم وتشييع جنازة أجر وواجب . وفي قرى كثيرة يسمون المـأتم « أجر » « وواجب » يقولون « اليوم في اجر بالضيعة الفلانية » او « عندنا واجب » .

(١١) لا يدفن بعد الغياب . اذا غابت الشمس دخل النهار في الليل ، والمسيح دفن قبل وقوع الليل .

(١٢) لا تجوز الصلاة على من انتحر لانه قتل نفساً والنفس من الله ولله .

(١٣) رشّ التراب على الجثة بعد صلاة الجنازة اشارة الى اقوال في التوراة والانجيل مفادها ان الانسان جبل من تراب والى تراب يعود .

(١٤) مسح وجه الميت او سكب نقط من الزيت على جبهته ، ويسمونها « المشحة[١] » ترمز الى السلام والطمأنينة . فان نوحاً تلقى من الله عهداً بالرحمة بواسطة غصن الزيتون الذي حملته اليه الحمامة[٢] .

سادساً — معتقدات زراعية :

(١) كل شجرة مثمرة وكل حقل او حديقة جميلة مزهرة عرضة للعين الشريرة . ودفعاً للعين يعلّق عليها خرقة او خرق حمراء ، واحياناً خرقة عليها صورة عين .

(٢) اذا كان لاحدهم شجرة كبيرة حسنة النمو تزهر ولكن لا تعطي ثمراً فانه يعلق فيها خرقة قدّت من ثوب امرأة ولود تنجب ذكوراً .

(٣) عندما يشبّحون القز (اي عندما يضعون لها اغصاناً لتحوك عليها شرانقها) يمتنعون عن طبخ السوائل والا كانت الشرانق رخوة سيئة الحياكة . وكذلك يمتنع الرجل عن حلق ذقنه مدة العشرة الايام التي تكون فيها الشرانق على الشبح .

---

(١) لفظة سريانية ܡܫܚܐ ومعناها الزيت والدهن .
(٢) هكذا فسرها لي اكثر من كاهن اورثوذكسي .

(٤) الخضار التي لا تسقى صيفاً تسمى خضار بعلية فيقولون بندورا بعل ولوبي بعل وتين بعل اي بعيد عن مجاري المياه . ويعتقدون ان الفاكهة البعل والخضار البعل الذ طعماً واحسن حلاوة . واذا سألناهم عن سبب تسميتها بالبعل قالوا لان الله يسقيها من ندى الليل .

(٥) اذا دخل غريب او مارّ كرم عنب او بستان فاكهة وأكل منه حتى الشبع فلا حرج عليه . واذا رآه ناطور القرية فلا يردعه . انما للناطور ان يعترض اذا رآه يحمل في جيبه او كيسه . وهذه عادة سامية قديمة لها مقابلها في التوراة . (راجع سفر تثنية ٢٣: ٢٤-٢٥ .)

سابعاً – معتقدات مختلفة متفرقة :

(١) يقولون « الدني وجوه وعتاب » اي ان لبعض الوجوه تأثير خير على الآخرين ، ولوجوه اخرى اثراً سيئاً . وقد يعزو بعضهم الخير الذي ناله لمصاحبته او لرؤيته او لمشاركته او لاستشارته او لاستضافته شخصاً ما . يقول له : « شفت الخير على وجك » قد يتزوج امرأة وبعد زواجه يأتيه الرزق والمال وحسن الحظ فيقولون « وجّها خير عليه » . وكذلك يعزون الشر وسوء الطالع لبعض الوجوه فيقولون « وجّو نحس او طلع وجو نحس على فلان . » وكما ان للوجوه اثراً في حسن الطالع او سوئه فان للبيوت كذلك اثراً في الخير والشر . قد يسكن امرؤ بيتاً فيأتيه الشر ، ينتقل الى آخر فيأتيه السعد فكان لعتبة الباب اثراً سحرياً على الداخل والخارج .

(٢) عندما يريد احدهم ان يأخذ على نفسه عهداً او عندما يريد ان يقسم يميناً معظمة انه فعل او قال كيت وكيت (او لم يفعل ولم يقل) فانه عادة يخطو ثلاث خطوات الى الامام (واحياناً يعدها : واحد تنين تلاتة) ثم يأخذ عوداً من الارض او قشة ويقول : وحياة هالعود والرب المعبود ..... ومنهم من يأخذ حجراً بيده ويقول وحياة هالحجر .....

(٣) يعتقدون بالاستخارة او اخذ خيرة . والاستخارة نوع من الاستئناس بما قد يكون خبأه لهم القضاء والقدر في عمل او سفر حزموا امرهم عليه . هو نوع من محاولة معرفة الغيب . اذا كان مسلماً اخذ قرآنه واذا كان مسيحياً اخذ توراته واظن ان الدرزي يأخذ احد كتبه المقدسة وفتحه بصورة عفوية . ثم انه يقلب ٧ ورقات وبعد سبعة اسطر من الصفحة التي تلي السبع ورقات وبعد سبع كلمات من السطر السابع ويرى فيها . فاذا كان في هذه الكلمة معنى جميلٌ او فيها ما يشير الى الخير والصلاح والنجاة والهدى والفلاح او اي معنى آخر فيه حسن وجمال استبشر وأقدم على عمله او على سفره بعزم وايمان . واما اذا كانت الكلمة السابعة تشير الى الخيبة او الشر او الفساد او الى اي معنى من معاني السوء والقبح فانه يحجم . ومن الطبيعي ان يتوسعوا في التأويل وان يغالوا في التفسير .

(٤) يعتقدون بان في البئر روحاً تسكنه ويرمزون اليه بقولهم « شيخ البئر » الذي به يخيفون الاولاد لكي لا يقتربوا من بئر . والظاهر انه بقية اعتقاد بان العيون والآبار (ولا سيما القديمة منها والمهجورة) مسكونة (اي تسكنها ارواح) .

(٥) من يولد يوم الاربعاء والسبت يلاقي في عيشه نحساً وشؤماً ، ومن كان مولده الاحد او الاثنين كان ذا سعد وحظ .

(٦) الشعر الذي يسقط من رأس المرأة عند تمشيطه يلف ويوضع في مكان لا تطأه الاقدام . يوضع في نقرة في حائط عال . وكذلك قصاصات الاظافر عند قص الاظافر لا ترمى . وقد يكون منشؤها التخوف من وقوع اثر ما من الانسان في يد عدوه الذي قد يؤذيه بأذيّة بقية او اثر من آثاره .

(٧) الخبز لا يرمى على الارض ولا تطأه الاقدام . هذا حرام.

من رأى فتات الخبز مرمياً على الارض رفعه باحترام وقبّله ووضعه في مكان بعيد عن وطأ الاقدام .

(٨) الضائع الذي يصعب العثور عليه يقولون عنه : « فتح الشيطان ثمو وبلعو » . او استعارته الشياطين .

(٩) يعتقدون ان « العين محروسة » اي ان قوة الهية او عناية الهية خاصة تحرس العين من كل اذى . فقد يصاب الوجه بلطمة او ضربة او قد يصيبه رشاش من زجاج متكسّر او ما شابه ولكن يخرج صاحبه بعين سليمة لان « العين محروسة » .

(١٠) للهرة سبع ارواح . فقد تتعرّض لاخطار جسيمة ولكنها تنجو كل مرّة باعجوبة . تقع من مكان عال فينتظر الواحد ان يتحطّم جسمها واذا بها تقع على يديها ورجليها سليمة . تصاب بحجارة الاولاد التي قد تصيب منها مقتلاً ولكنها تنجو لان لها سبع ارواح . ولذلك يتشاءمون كثيراً من قتلها .

(١١) لكل طفل ملاك حارس يحفظه من كل اذى . وكما ان له ملاكاً حارساً له « قرينة » تؤذيه .

(١٢) اذ ارادوا ان يتملصوا من ضيف ثقيل ذهب احدهم الى المجازة[١] وقلب حذاء وتمنّى ان يصرف الله عنهم ضيفهم الثقيل . ومنهم من يذهب الى المكنسة فيكنس بها قليلاً ويوقفها خلف الباب . واذا ذهب الضيف كسروا اناء فخار وراءه ، او قد يرمي احدهم بشيء : حجر او عود او ورقة او خرقة ويقول : « درب السّد ما تردّ »

(١٣) اذا اراد احد المتفرجين على خصام او قتال بين متخاصمين

---

(١) المجازة المربع المبلط عند مدخل البيت ، والذي سطحه منخفض قليلاً عن ارض البيت ، حيث يتركون احذيتهم عند دخولهم البيت .

او متقاتلين ان يزداد الخصام حدة والقتال شدة يذهب الى الصفوة[١] ويحركها كي يتعكّر المـاء ويتمنى ان « تحمى » او يقول يا ربّ تحميها . ومنهم من يقلب حذاءه ويقول يا رب تحمّيها .

(١٤) يشيرون على المرأة ، اذا التقت بحيّة ، ان تفتل شعرها ، او اذا كان مرسلاً ان تجدله . الجدل والفتل يذهب عن الحية شرّها . واما الرجل فانهم يشيرون عليه ان يفتل خيطاً او منديلاً ، او ان يأخذ صوفاً او شعراً ويجدله فانه اذا اقدم على قتلها استطاعه .

(١٥) اذا تشردق احدهم بطعام او شراب ، او اذا غصّ في البلع ، فان احد الناس يفكر به في تلك اللحظة ، او ان احداً يذكره بسوء او بشرّ .

(١٦) تلاوة قانون الايمان عكساً يبطل عمل السحر .

---

(١) الصفوة برميل او خلقين يضعون فيه الرماد ثم يضيفون اليه الماء ويتركونه ليروق . وهذا الماء صالح للغسيل .

الفصل السادس عشر

في التحية والتهنئة والتعزية والمسبة

من الامور التي هي في طريق الزوال فن الكلام في التحية والتهنئة والتعزية . وكنا نتمنى ان تكون المسبة والشتيمة والكلمة البذيئة في طريقها الى الزوال ، ولكن . . . غير اننا نستطيع القول ان معجم المسبات والشتائم في القرى اللبنانية اصغر حجماً مما هو عليه في المدن اللبنانية . ولا يعني قولنا هذا ان اللبناني الجبلي القروي لا يسب ولا يشتم ولا يفوه بالبذيء من الكلام ، وانما نجزم ان اللبناني القروي اعفّ لساناً — على العموم — من ابن المدينة . ومن المعروف ان الدرزي عامة والعاقل منهم خاصة رصين قليل الكلام حذر حريص على الا تكون الكلمة التي يتفوه بها قيداً يقيّده او عهداً يربطه او مأخذاً يؤخذ به . فهو « يزين » الكلام على حد قولهم او « يعرف طعم فمه ». يريدون بذلك انه يعرف ماذا يقال ومتى يقال . كنّا ونحن صغار في المدرسة نقول لاحد رفاق الصف من الدروز : تهجأ ‹خَرَجَ› فكان يرفض رفضاً باتاً لكي لا تخرج من فمه كلمة نابية . وكان غيره من الاولاد الدروز يتهجأ هكذا : خ فتحة خَ ر فتحة رَ خَرَ ج فتحة جَ خَرَجَ ! ويجاري الدرزي في حذره وعفة لسانه الشيخ الجبلي النصراني . فانك اذا اصغيت الى حديث فيه قيل وقال وفيه نميمة واغتياب فانهم لا يشتركون فيه . واذا ما خوطبوا او سئلوا او طلب اليهم ابداء رأي يقولون من جملة ما يقولون : « الله عليم . ما بحط بذمتي . ما بآثم . حرام الحكي على الناس . الله يستر على الناس .

الاحسن ان يظل الواحد ساكتاً . . . . الخ » وغير هذا من الالفاظ والعبارات التي تنم عن ترفّع وحذر وحفاظ على اقدار الناس ومقاماتهم .

ان اللبناني شأنه في التحية والتهنئة والتعزية وعبارات المجاملات شأن الانسان في المجتمعات البدائية حيث نجد ان المرء يعتمد على «كليشايات» كلامية متوارثة اكثر مما يعتمد على استنباطه وابداعه . وليس هـذا بمستغرب فان من كانت ثقافته اللغوية محدودة يعتمد على ما سمعه وتعلمه من الكبار في مجتمعه . وعلى عكس هذا نجد المثقف في المجتمعات الراقية يعتمد على قوة ابداعه وعلى حسن تصرفه في الذخيرة اللغوية . لا شك اننا جميعاً نتوارث الكثير عن القدماء ولكن الفارق بين ما يتوارثه البدائي وبين ما يتوارثه المثقف هوة شاسعة . فقد يكتفي ابن الجامعة ، عند مقابلته صديقاً قديماً لم يره منذ زمن ، بان يقول له : اهلاً اهلاً ، مشتاق جداً لرؤيتك كيف الحال اين كنت . . . . وما شابه . بينما نرى القروي يتبع اسلوباً معيناً تعلمه من ابيه او جده او تكون امه قد علمته اياه في الصغر . ويظن الرجل البدائي خطأ انه كلما اكثر من التحيات والتسآل وترداد الكليشايات فانه يكون قد قام بما عليه واجب الاحترام واللياقة . ويخشى انه اذا اقتصرت التحية والسلام على عبارة او عبارتين يكون قد قلّل من احترام مخاطَبِهِ . بينما يستطيع المثقف الافصاح عن شعوره بكلام اقلّ ولكن بشعور اعمق واحياناً اصدق .

يحب اللبناني اللَّسِنَ والمحدِّثَ اللبق . يقولون عن رجل هـذه صفته انه حسن المسايرة . وعلى نقيض هذا فانهم لا ينظرون نظرة الرضى الى السكوتِ الذي يجبن عن ان يتكلم في حضرة الناس . واعرف اناساً عديدين يحرصون ان ينموا في اولادهم الشجاعة على مجابهة الناس والتكلم اليهم بجسارة وطلاقة . ويعتقدون ان الحديث فن وان على الاب والام ان يعلما اولادهما فن « المسايرة » والحديث . وهذا مما يساعد على استمرار هذه المصطلحات وبقائها حية من جيل الى جيل .

وقد تبدو هذه الكليشايات الكلامية في التحية والتهنئة والتعزية ، ولا سيا اذا تُرْجِمت الى لغات اجنبية ، على شيء من الرياء والتكلّف البادي ، واحياناً على شيء مما يمجّه الذوق العصري . ولكن الامر يتوقف على الاشخاص المتخاطبين . فاننا احياناً نلمس الاخلاص ونشعر انه كلام صادر عن القلب .

قلنا آنفا ان المرء كلما تثقف وكلما اتسعت معارفه وارتقت مداركه زاد تكلانه على قدرته في ابتداع التعابير التي تناسب المقام . فانه ليس من الضروري ان يكرّر ما سمعه من ابيه او امه . انه يعتمد على فنه في التعبير وعلى ذوقه في المخاطبة . فاننا قد بدأنا نرى تغيّراً كلياً في آداب المآتم ، فان المعزّين الوافدين على اهل الميت يكتفون بالمصافحة المخلصة وعبارة : « تبقى حياتكن » . وكذلك في الاعراس فان الواحد منا يقول : « مبروك ، اطلب لك السعادة والتوفيق » . ولكنّ للمآتم مصطلحات ، وللاعراس مصطلحات وللآداب مصطلحات معيّنة يتعلمها الجيل الطالع من الجيل السابق . وبما ان كثيراً من هذه الكليشايات اللغوية في طريقها الى الزوال آثرنا ان نسجل بعضها قبل زوال الجيل الذي يستعملها .

« الصباح والمسا لالله »

التحية فرض واجب ، والتحية عبارة فيها طلبة ودعاء الى الله . وهذا معنى قولهم الشائع : « الصباح والمسا لَألله » . اي انه ليس مجرد فرض او عرف يجب قضاؤه بين فرد وآخر ، انما هو فرض يفرضه الدين . ويلاحظ ان تركيب التحية اللغوي (حتى والمسبة والشتيمة) هو جملة تامة - احياناً بتقدير اسم الجلالة - الفاعل فيها الله . فاذا قال القروي « صبّحك بالخير » يريد بذلك دعاء الى الله ان يجعل صباحك خيراً . وكذلك الامر عندما يمر امرؤ بفَعَلة يعملون في الحقل فيحييهم بقوله : « العوافي » فانه يريد ان يقول : اطلب الى الله ان يمنحكم العافية . وجواب الفعلة يكون : « الله يعافيك » .

وفي القرية يحيّ الناس بعضهم بعضاً وان لم يكن هنالك تعارف بينهم . وليس في آداب السلوك عندهم اقبح من ان يمر رجل بقوم فلا يؤدّي التحية ، فانهم ينظرون الى هذا الامر انه اخلال قبيح بابسط قواعد السلوك والتهذيب . وان المرء ليشعر باهانة اذا مرّ به احد ولم يصبح او لم يمسّ . واقبح من هذا ان لا تُرَدّ التحية . هذا دليل صارخ على عداوة بمينة! وفي القرى يحيّون الغريب المار ويبادرونه بالسؤال عن هويته وعن شأنه في قريتهم . وقد يؤخذ الغريب بشيء من المفاجأة عادّاً هذا تدخلاً او ازعاجاً . والواقع ان ابن القرية يأمل ان يكون في عون الغريب . اذ ليست التحية فرضاً مقدساً بين اهل القرية وبين اهل القرية وحسب انما التحية ايضاً للغريب المـــار في قريتهم .

وسنذكر في الفقرات التاليه نماذج[١] متعارفة من التحية والتهنئة والتعزية والمسبة سمعناها صغاراً وحيّينا بها وهنّأنا وعزّينا وشتمنا بها .

صباحاً : يقول المارّ او الداخل او الصغير للكبير :

« صبّحك[٢] بالخير ، الله يصبحك بالخير ، صباح الخير ، نهارك سعيد[٣] » .

فيجيب المحيَّى : « صبحك بالخير ، صبحك بالف خير ، يسعد صباحك ، الله يسعد هالصباح ، صباح النور ، نهارك سعيد ومبارك » .

اثناء النهار : « الله معك ، نهارك سعيد ، مرحبا (بين الاصحاب) ، العوافي او الله يعطيك العافية (وتقال لمن يعمل بيديه) » .

---

(١) نقول « نماذج » اذ قد يكون هنالك بعض الاختلاف بين تحية فرد وآخر ، او بين مجتمع وآخر .

(٢) لقد اخترنا ان يكون المحيّي والمحيّ مفرداً مذكراً اختصاراً لذكر مختلف الاشكال الصرفية .

(٣) لا يتبادرن الى ذهن القارىء الذي لا يعرف القرية ان تحية الصباح هي جميع هذه التي ذكرناها . كلا ، انما يُقتصر على واحدة منها ، غير اننا ذكرنا مختلف التحيات الشائعة .

فيجيب : « الله يحفظك ، نهارك سعيد ومبارك ، مرحبتين ، الف مرحبا ، الله يعافيك ويقوّيك » .

مساء : « مسّيك بالخير ، سِيك بالخير (بحذف الميم) ، مسا الخير ، ليلتك سعيدة » .

فيجيب : « مسيك بالف خير ، سيك بالخير ، يسعد هـالمساء ، سعيدة ومباركة » .

عند الافتراق صباحاً ونهاراً : « بخاطرك ، استودعناك » . فيجيب : « مع السلامة ، بالامان ، بحفظ المولى » . واذا كان المودّع مسافرا قالوا : « الله يوصّلك بالخير ، الله يكون معك ويحفظك ، بالتوفيق » .

عند خروج الزوار يقول المضيف : «شرّفتونا وآنستونا، عيدوها» فيجيب الزائرون : تشرفنا الله يديمكن .

عند الافتراق ليلاً : « تصبحوا على خير » فيجيب : «وانتو بخير» .

الدخول على اناس يأكلون : «ع البركة» فيجيب : «يبارك بعمرك ، اهلا وسهلا ، تفضل جابرنا ، ما لحنا ، خلّ يصير بينا خبز وملح ، مساقبة ، خلّيها تحلّ البركة» .

فيجيب الزائر الداخل : « صحتين وعافية ، ان شاء الله بيمرّوا ، سبق الفضل » (يريد ان يقول سبق واكل قبل مجيئه) .

بعد تناول الطعام : يقول الضيف : « سفرة دايمة ، عامر ، بالافراح ، ان شاء الله مناكل عندكم بالفرح ، فرحة العرسان ان شاء الله » . واذا لم يكن للمضيف ولد قالوا : « فرحة عريس » . فيجيب الضيف : « يا مية اهلا وسهلا ، صحتين وعافية ، حضرتوا وما حضر واجبكم ، لا تواخذونا ، ما في شي من قيمتكن » . فيجيب الضيف : « خير كن فايض ، كفّيتوا ووفّيتوا » .

بعد شرب القهوة : « قهوة دايمة ، بالفرح ، عامر » . فيجيب المضيف: « اهلا وسهلا ، شرفتوا ، الله يديم حياتكم » . واذا طلب احد الحضور ماء وشرب قال له الحاضرون : « هنيئا » فيجيب : « الله يهنيكم ، او هنّاكم الله » .

بعد الحمام او الحلاقة يقال للمستحم والحالق : « نعيماً » فيجيب : « ينعم عليكن » .

العطسة : اذا عطس صغير قالوا له : « تنشو » . اي عسى ان تكبر وتنشي .

في السلام :

اذا التقى رجل بصديق له او باحد معارفه ، واذا كان قد مرّ على لقائها زمن فان هنالك عرفاً في التحية والسلام . يقول بعد التحية : « كيف حالك ، كيف صحتك ، كيف عافيتك ، اشتقنا لك ، طوّلت الغيبة علينا ، كيف حال بنت عمك وولادك ، كيف حال الاهل والعيال ؟ وقد يعود الى التسآل فيقول : انشا الله مريض ، انشا الله موفّق باشغالك ان شاء الله ما عندكن حدا ساخن ، كيف حال من فارقتوا ؟

وعند الافتراق يقال : مع السلامة ، الله يوصلكن بخير ، ان شاءالله منشوفكن بخير ، منكلفكن بالسلام .

في الاعراس :

يقال للعريس : « ان شاء الله بتتهنا يا عريس ، مبروك ، الله يوفقك ويهنيك . »

يقال للعروس : « ان شاء الله بتتهني يا عروس ، مـبروك الله يوفقك ويهنيك . »

للحضور يُقال : « ان شاء الله كل ايامكن فرح ، ع قبال العزَّابي ، ع قبال العاوزين ، تجوّزوا الكل بحياتكن ، ان شاء الله كل ايامكن فرح ، تفرحوا من ولادكن » .

في التعزية :

عندما يدخل المعزّون يقف اهل الفقيد وذووهم لتقبُّل التعزية . ينتظر المعزّون ليدخل الجميع . ثم ينتظمون نصف دائرة ويتقدمهم كبيرهم بالكلام فيقدّمون التعزية جماعياً . (وقد اشرنا الى هذا عند كلامنا عن الموت والدفن ، الفصل التاسع ص ١٩٩ فلتراجع) . والى جانب ما ذكرناه سابقاً فان هنالك تعزية واظهارَ شعور في غير حالات الموت يُعزّى فيها مَنْ اصيب بمكروه ، او مَن فقد مالاً ، او جُرح ، او اصيب بمرض .... الخ فيقال له من جملة ما يقال :

إلّي بيتعوّض ما هو خسارة
بالمال ولا بالرجال
الّي مالو ما بروح لو
نشكر الله الّي ما هي اعظم
لا تكبّر مصيبتك بتزغر
كبّرها بتكبر وزَغرها بتزغر
هيك الله رايد
كل شيء من الله مليح
بدّها صبر ، والصبر مفتاح الفرج
بدّها رحمة الله ، شو بيقدر يعمل العبد
المكتوب ما منو مهروب .... الخ

في الشتائم والسباب :

ومعجم عامة الناس في الشتائم والسباب في البلدان العربية غني واسع . غير اننا لحظنا ان اللبناني الجبلي (لا الساحلي ولا البقاعي) بصورة عامة والدرزي بصورة خاصة حصين اللسان يترفع عن الشتيمة ويعد الكلمة البذيئة النابية امراً شائناً . والحقيقة ان الشيخ اللبناني ، النصراني والدرزي على السواء ، لا يتفوّه بكلام جارح ، بـل يضبط اعصابه بشكل يثير الاعجاب . وفي التقليد الديني الدرزي ان بذيء الكلام لا يُرحم في مماته ولا يمكن ان يعتبر عاقلاً جويّداً اذا لم يكن « دافي الكلام » وقد اشرنا الى هذا في اول الفصل .

اذا غضب اللبناني شتم واذا هـاج وثار سبّ . ونستعمل لفظة الشتيمة بمعنى الكلمة النابية الجافة التي تتناول الشخص نفسه ويقصد منها التحقير . ونستعمل لفظة السباب للكلام البذيء الذي يتناول عرض الرجل ودينه وعائلته . ووقع السباب اشد ايلاما واعنف اثارة للغضب والذب عن الشرف المكلوم .

اما الفاظ الشتيمة : يا كلب تقال للجبان ، يا حمار (وقليلا بغل) للغليظ العقل ، يا رزيل ، يا بلا ناموس ، بلا مشمة ، يا عيب الشوم عليك ، يا عيب الشوم على شرفك .

امّا السباب فيتناول الدين والاب والام والاخت والزوجة واحياناً عائلة الرجل ، ولمسبة عرض الرجل — امه واخته وزوجته وابنته — اثر عميق في النفس وقد يثير احياناً الى درجة القتل .

معتقدات العامة في اثر اللعنة :

اللعنة مخيفة . فان الام قد ترتجف خوفاً وغضباً اذا قيل لها « ان

شاء الله بموت ابنك ، واشد اللعنة اثرا لعنة الام على ابنها او ابنتها لانهم يعتقدون انها لعنة تستجاب ، والملعون يستحق اللعنة والا لما لعنته امه . وكذلك لعنة الاب فانها شديدة الوقع على الملعون . ويتشاءمون كثيراً من لعنة المُسِنّ والمحتضر والقديس . واجمالاً اللعنة الخارجة من فم المرأة اشد اثرا وايلاما .

في القسم : يتقدم ٣ خطوات وبعدها ١ ، ٢ ، ٣ ويقسم : « بشرفي ، بديني ، بولادي ، ربتني موت ، قبّر ولادي اذا كنت كذا وكذا ..... او انه يتناول عوداً من الارض ويقسم به قائلا :

« وحياة هالعود والرب المعبود .... »

او قد يأخذ حجراً او حصاة صغيرة ويقول : وحياة هالحجر ...

الفصل السابع عشر

عقلية اللبناني كما تتراءى لنا في فولكلوره

لنا ، بعد ان سابرنا عامة اللبنانيين الجبليين القرويين في معتقداتهم وخرافاتهم والعابهم وافراحهم واتراحهم ومعايشهم ومكاسبهم ، ان نسأل : ترى هل يعكس هذا الفولكلور اللبناني عقلية خاصة وطابعاً روحياً خاصاً ؟ هل نرى خلل هذا التراث الاجتماعي ذهنية خاصة هي ذهنية اللبناني الجبلي ؟

ذكرنا في فصل سابق الفضائل اللبنانية[1] وجئنا على ذكر السجايا الحميدة كالنجدة والكرم والعفّة والأمانة واحترام الكبير وفعل الخير. وقلنا ان اللبنانيين بشر يستوي فيهم الخير والشرّ . ولكننا حرصنا في ذلك الفصل على ذكر الخصائص الروحية التي كان ولا يزال يتميّز بها اهل القرى . اما في هذا الفصل فاننا سنأتي على ذكر الناحية الثانية : نقائص الخلق اللبناني .

ان الحكم على صفات شعب ما وعلى اخلاقه من الامور المحفوفة بالمزالق . فان الامة مجموعة افراد ، وتختلف الافراد خلقاً وذوقـاً

(١) الفصل الثاني .

وتعقلاً واستعداداً . وعليه يحرص المرء على ان يكون متئداً في اصدار احكامه العامة . والى جانب هذا المحذور يأخذ المرء بعين الاعتبار قضية التربية والبيت . فان اكبر عدوّ للفولكلور هو المدرسة . المدرسة والبيت والصحيفة والنادي والكنيسة جميع هذه المؤسسات تشنّ حرباً عواناً على الخرافات والتقاليد والاساطير وعلى اساليب العيش القديمة . ولبنان آخذ باسباب المدنية الحاضرة ومتمسك باهداب الثقافة الغربية . لبنان في حالة تطوّر اجتماعي وكل حكم على الشعب عامة عرضة لتحديدات واستثناءات كثيرة . فان ما يصدق على زيد من اللبنانيين لا يصدق على عمرو منهم . ونحن بدورنا نودّ ان نؤكد ثلاثة امور :

اولاً : ان ما سنقوله عن العقلية اللبنانية كما تتراءى لنا خلل الفولكلور اللبناني اقرب الى التعميم منه الى التخصيص . ما سنقوله مبنيّ على الشائع المشترك بين الجماعات لا على الخاصّ الذي تتفرّد الافراد والجماعات الصغيرة به .

ثانياً : ما سنقوله هو رأينا الخاص ، ورأينا الخص يبقى رأينا . قد نكون على وهم ، وقد نكون على خطأ في التقدير ، وقد نكون اننا ضللنا السبيل في التعليل الصحيح . انما رائدنا ان نخلص الى قول يكون مدار بحث ونقاش بين الذين سيتبعون خطواتنا ان شاء الله . ونرجو ألّا يعتبر بعض الذين لا يروق لهم هذا الرأي انها اساءة او انها تثبيط عزائم . سنحاول ان نكون مخلصين متجرّدين عن الغرض والهوى ما استطعنا الى ذلك سبيلاً .

ثالثاً : ما نسمّيه الخلق اللبناني قد لا يكون خلقاً يتميّز به اللبناني وحده بل خلقاً يتميّز به كل من كانت بيئته الطبيعية والاجتماعية البيئة ذاتها التي يعيش فيها اللبناني . فان الاخلاق واساليب العيش والعادات والتقاليد تتأثر الى حدّ بعيد بالجغرافيا .

العقل الجماعي :

نلحظ ، اول ما نلحظه ، ان عقلية اللبناني[١] (العقلية العامة) هي من النوع الجماعي . عقل الفرد اللبناني عقل الجماعة . فانه ليس من الافراد الذين يستقلون في تفكيرهم او من الذين يستطيعون الخروج على النورم القروي . فهو من هذا القبيل جامد اي ستاتيكي (static) لا حيوي خلاّق متطور او ديناميكي (dynamic) . هو عقل يعمل بفعل التقليد ويسير بوحي العرف .

نعم ، نحن جميعاً الى حدّ بعيد عبيد العرف والتقليد نعمل ونسير بعقل الجماعة . العرف يحدّد السلوك الى حد بعيد . والتقليد يفرض التصرف الى حد بعيد . فان الناس لا يجرأون على الخروج على النورم بيسر . الخروج على العرف والتقليد يحتاج الى جرأة واقدام ولا مبالاة لا تتوفّر في كل انسان . ولكن الحياة العقلية والروحية في القرية اللبنانية ترينا بوضوح عجز العقل القروي عن التطور التلقائي . تغيّرت اساليب العيش في القرية وتبدلت معالمها ولكنه تغيّر وتبدّل فُرِض على القرية من الخارج ولم يكن تطوراً او تجدداً من الداخل .

ان اللبناني القروي محافظ الى ابعد حدود المحافظة ، وتقديسه التقليد والعرف واضح تمام الوضوح في بيته واثاثه ومطبخه وفي زراعة حقله وفي نظرته الى جسده وما يصيبه من خير او شرّ . حكمته وفلسفته – اذا كان هنالك حكمة وفلسفة – تحجّرت في شبه كليشات كلامية يرى فيها دستوراً للحياة . تسمعه عند حلّ المشكلات يقول : « مش سامع شو بقول المتل ؟ » فان المثل عنده حقيقة أزلية وحكمة سماوية فيها القول الفصل .

---

(١) ليذكر القارىء انه ليس من الضروري ان تنطبق هذه الاحكام على جميع الافراد كما قلنا في غير مناسبة .

لا نكران ان هذه الاساليب في العيش وهذا التراث الاجتماعي الغني فرضها عليه المحيط الطبيعي وخلقتها الظروف التاريخية . ولا نكران ان الاختبار قدّس هذا التراث واحله دستوراً للحياة . ولكن هذا لا يغيّر من حكمنا بان عقل اللبناني عقل جماعي . فاننا نرى ، مثلاً في الجماعات المتطورة ميلاً تلقائياً للخروج من اطار التقليد وثورة على الاساليب القديمة لا تراها في الحياة اللبنانية التي تسير ببطء وثبات . فان المشحرة والاتون وسكة الفلاحة وزراعة القمح وصنع دبس العنب والخروب وعصر الزيتون وتحضير وجبة الطعام وغيرها كثير هي هي كما كانت في العصور القديمة . واغرب من هذا ان تظلّ معايشة للآلة في منتصف القرن العشرين[١] .

والقروي اللبناني ، بفضل قوة التقليد وسيطرة العرف على اعماله وتصرفاته ، لا يستطيع ان يكون مبدعاً بل ان عمله ينحصر في ابقاء القديم على قدمه وفي المحافظة على استمراره وانتقاله من جيل الى جيل . ولا غرو فان من كان ينشد القناعة ومن كان يطلب الرضى يكره التغيير وينفر من الطفرة ويخشى المجازفة . فانها امور قد تسبب له قلقاً روحياً وعدم استقرار واطمئنان .

تعوّد فلاح مثلاً على زراعة سليخه قمحاً وهو بفضل اختباره يعرف ان هذا السليخ – اذا لم يطرأ مفاجأة – يعطيه ١٠٠ كيلو قمح فيقول له قائل ان يغرسه عدساً او ان يحوّله الى كرم او بستان تفاح ، فانه يتلكأ مع العلم انه يقدر على القيام بهذا العمل ولكنه يخشى المخاطرة . طبيعته محافظة .

ولكننا بدأنا نشهد تغيراً في الآونة الاخيرة . وغرس التفاح افضل

---

(١) ولسنا نفاضل او نحبّذ او ندعو الى دعوة خاصة . فقد يكون دبس العنب الحمدوني المصنوع على الطريقة القديمة افضل من الدبس الذي يصنع على اساس انتاج تجاري اقتصادي . انما غرضنا تبيان شدة المحافظة .

شاهد على هذا . فان هنالك لبنانيين غرسوا التفاح منذ ٢٥ سنة واستغلوا وعرفوا امكانات الارض وادركوا مبلغ النفع الاقتصادي .

فقدان الذوق الفني :

ان الجمود المبتلى به القروي والقناعة في العيش والرضى بما قدّر له جميع هذه الصفات تفسّر لنا ، الى حد بعيد ، فقدان الذوق والتذوّق . فاننا قد لحظنا ان القروي رغم ان الجمال الطبيعي يحيط به من كل جانب فانه لا يستشعره ولا يحسه ، واحياناً لا يعبأ به او لا يراه . السطيحة الجميلة المسوّرة بتنكات تزرع فيها الورود والازهار والحبق والفل وشجيرات التفاح الصغيرة من النواحي الفنية الجميلة في البيت اللبناني . ولكن ابن المدينة يرتاح اليها وتسترعي انتباهه اكثر مما يرتاح اليها القروي . تذهب الى الجبل ايام نيسان فترى جلاً ابيض مجلّلاً بحلة من الاقحوان فتقف برهة مشدوهاً تبارك عظمة الخالق . وترى جلاً آخر احمر تكسوه حلة حمراء من شقائق النعمان فتكبر جلال الطبيعة وجمالها الفتان . غير ان الفلاح القروي اللبناني يمرّ بهذه المناظر يوماً بعد يوم فلا تأخذه دهشة ولا يعتريه شعور مـا . تجلس على سطحه تشاطره العشاء ، تتلفت يميناً وشمالاً فترى جلال لبنان ليلاً ، وقد تبدي دلائل اعجابك ، واذا شاطرك الشعور فانما يشاطرك مجاملة . نظن ، وقد نكون على خطأ ، انه لا يستشعر ما تستشعره انت . فكأن الذوق الجمالي ليس فطرة بل نتيجة الثقافة العقلية والروحية . وقد يكون ان هذا القروي قد أَلِف هذا الجمال فاصبح شيئاً عادياً لا يهزّه . وقد يكون انه لا يُحسن التعبير عـن اختلاجاته الداخلية فيعطينا فكرة انه لا يستشعر الجمال .

فقر الحياة فرض عليه الحرص والتخابل :

والقروي كريم في نواح بخيل حريص في نواح اخرى . وهو الى

الحرص والتقتير اقرب منه الى الكرم والبذخ . فاذا استضافه ضيف اكرمه ، واذا صعد اقاربه من المدينة احسن وفادتهم وفتح لهم العلية وارسل لهم السلال المملوءة بالخضار والفاكهة . ولكنه في اكله وشربه وملبسه حريص مقتصد الى حدّ التقتير . فاننا نعرف قرويين لا يملّون اكل الخبز والزيتون والبصل والمجدرة والمسلوق من الخضار السنة بكاملها رغم يسرهم المادي . اما اذا سئل القروي عطاء للخير والاحسان فانه لا يعطي عن طيبة خاطر . وقد نعذرهم بقولنا ان التربية الاجتماعية مسؤولة عن هذا النقص . ولكن عذرنا لا ينفي الحقيقة : اكثر القرويين مقتصدون الى حدّ التقتير ، وحريصون الى حدّ البخل .

التكيف :

يحسن القروي التكيّف ويجيد فنّ التلوّن والاخفاء[1] . قد يثور ويغضب في داخله ولكنه لا يريك ذلك ، وقد يفرح ويطرب فلا تظهر دلائل الفرح والطرب عليه . وجهه وجه لاعب البوكر المحترف . حذر في كلامه ، متأنق في حديثه حتى انه يظهر احياناً التصنّع والتكلّف . ولكن حسن التكيّف هذا اذا وُجّه الى الخير كان مصدر بركة ونعمة . فان اللبناني قابل للتطوُّر . وشاهد على هذه الحيوية نجاحه في الاعمال التي يتعاطاها عند هجره القرية . وسواء اكانت هجرته الى المدينة في بلاده او الى الخارج فانه برهن على مقدرة عجيبة في التكيّف والتطوُّر .

الصبر العجيب :

وقد علمته الارض الصبر والانتظار . يزرع الزيتونة ويعلم انه لن يأكل من ثمرها قبل سنوات لا تقل عن العشرة . ولكنه يتعهدها بصبر

---

(١) لا يقتصر مبدأ الأخذ بالتقية على الشيعة والدروز وانما يتعدّاهما الى النصارى .

وحنان . يحمل قفة التراب من مكان الى آخر ليضعها فوق الصخر ليزرع فيها كرمته ، يفتت الصخر ويدرّج السفح لتحتفظ الارض بالتراب لئلا يجرفه السيل ، يفعل هذا وغيره بصبر وجلد وايمان راسخ . ومن كان يؤمن بالقضاء والقدر ، ومن كان يؤمن بان الخير من الله وان الشر افتقاد للاتقياء لا يتذمر ولا يتأفف بل يتحمل المكاره صابراً حامداً . في الشدائد والضيقات تجد القروي اللبناني رصيناً محتفظاً برباطة جأشه .

الاجتهاد والتحسب :

واللبناني مجتهد بطبيعته دؤوب على العمل . فان هنالك اناساً يعملون ايام السنة كلها . وفي كل قرية شاهد على فقير معدم لم يخلّف له والداه سوى القلع ، فترك القلع بساتين موّاجة بالاخضر مكسوة بالاشجار المثمرة . فهو يختلف عن الفلاحين في الاقطار المحيطة به . انه لا يعيش ليومه بل يحسب حساب غده . وافضل شاهد على تحسّبه للزمن وطوارئه ادخاره المؤن احياناً لسنة واحياناً لسنتين اذ انه يحسب حساباً لمحل الموسم القادم .

قبلية :

وكما ان القرية تنشيء في ابناء القرية ، بفضل البيئة الزراعية ، نجدة وارتباطاً اجتماعياً يتجلّى في التعاون الذي اشرنا اليه عند كلامنا عن العونة [١] فانها تنشيء ايضاً في صدور ابنائها ضيق صدر وقصر نظر . للترابط القبلي فضائله في بيئة جبلية قروية معرّضة لاخطار انعدام الامن ، ولكن هذه القبلية تنتج تعصباً اعمى . ففي كل قرية لبنانية حزبان او ثلاثة احزاب متطاحنة . وقصة اللبنـــاني الفقير الذي اشعل اللحاف

---

(١) الفصل الثاني « الفضائل اللبنانية »

الوحيد الذي يملكه والذي يغطي به ابناءه الصغار ليلاً ابتهاجاً بفوز حزبه يعرفها كل لبناني . عندما سئل اذا كان يعرف الحاكم او النائب الذي فاز قال : « لا ، ولكن نكاية بجاري ! » والاغتياب والقال والقيل على العين والفرن والتنور وامام الموقد من صفات الناس الذين يسكنون محيطاً ضيقاً . فان قلة الاعمال وضيق الآفاق تجعل اهتمام الناس ينصبّ على امور الناس . ولو ان الامر يقف عند هذا الحد لعذرنا القرويين، ولكن اهتمامهم بأمر الجيران مدعاة للشجار والقتال والعداء المستحكم . وليس غريباً ان يرى الانسان في بعض القرى عائلتين متخاصمتين يقيمان « منشراً »[1] ، صباحاً ومساء . يصعد احدهم الى السطح وينتظر الى ان يظهر خصمه ثم يبدأان بالتراشق بالمسبات والشتائم . والمنشر مباراة في المثلبة والمفخرة ، وهذا من خصائص البيئة القبلية .

نواة خير :

ولكن الى جانب هذه الهفوات التي يتميّز بها المحيط القروي البدائي هنالك صفات واخلاق محبّبة . في اللبناني نواة خير ، نواة اذا تعهدناها بالتربية والتوجيه فانها تتفجّر ينبوعاً صالحاً . وفي هذا التراث اللبناني المشوب بشيء من البدائية غِنى يصلح ان يكون مادة لادب شعبي راقٍ ، وان يكون موضع درس من قبل الذين يهمهم تقدّم لبنان ورقيه روحياً واخلاقياً . لبنان مجموعة قرى ، ومستقبل لبنان في احياء هذه القرى التي يقطنها اناس فيهم نواة خير .

---

(١) المنشر عادة منتشرة في قرى لبنانية كثيرة . تصعد امرأة لسِنة بالسباب والشتائم الى سطح العلية وتنتظر الى ان تصعد امرأة من الاخصام . ثم تقام مباراة في السباب والشتائم ، في المفاخرة والمباهاة . تظلّ الحال هكذا الى ان يأخذهما التعب والانهاك فتنزلان عن السطح على ان تعودا اليه في المساء او في الصباح .

مراجع

تنبيه : ذكرنا في المقدمة (ص ج) ان جلّ المصادر التي اعتمدناها في هذا المؤلّف كانت اولاً معرفتنا الشخصية باحوال القرية ، وثانياً ذكريات شيوخها وعجائزها . ان المكتبة الغربية التي تعنى بالفولكلور عامة غنية واسعة . اما نحن فقد اقتصرنا على ذكر جملة قليلة من الكتب التي تعنى بفولكلور هذه البقعة فقط .

الاسود ، ابراهيم : تنوير الاذهان في تاريخ لبنان .
بيروت مطبعة القديس جاورجيوس
١٩٢٥ – ١٩٣٥

— — ذخائر لبنان .
بعبدا ، المطبعة العثمانية ١٨٩٦

بهجت ، محمد }
رفيق ، محمد } ولاية بيروت ، جزءان ،
بيروت ١٣٣٥ – ٣٦ه .

خاطر ، لحد صعب الامثال والاساطير اللبنانية المختصة باشهر السنة الشمسية (ظهرت مقالات في المشرق ثم جمعت كراساً)
المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٣ .

خاطر ، لحد صعب — العادات والتقـاليد اللبنانية (وهو لا يزال مخطوطاً)

الخوري ، شاكر : — مجمع المسرّات . بيروت
مطبعة الاجتهاد ، ١٩٠٨

الريحاني ، امين : — قلب لبنان . بيروت
مطابع صادر – ريحاني ، ١٩٤٧

الشدياق ، طنوس بن يوسف : — اخبار الاعيان في جبل لبنان .
بيروت ١٨٥٩ .

فريحة ، انيس : — الأمثال العامية اللبنانية ،
منشورات الجامعة الاميركية في بيروت –
مطبعة « الكريم » جونية (لبنان) ١٩٥٣

لبنان : — مباحث علمية واجتماعية . باشراف اسماعيل حقي بك متصرف جبل لبنان .
المطبعة الادبية ، بيروت ١٣٣٤ هـ .

لحود ، اديب : — العادات والاخلاق اللبنانية .
مكتبة صادر ، بيروت ١٩٥٣

اليازجي ، ناصيف : — رسالة تاريخية في احوال لبنـــان في عهده الاقطاعي .
حريصا (لبنان) مطبعة القديس بولس

Bliss, Frederick J., : The Religions of Modern Syria and Palestine, N. Y. Scribner, 1912.

Canaan, Toufik : Daemonglaube im Lande der Bible; Leipzig, Henrichs, 1929.

— — Light and Darkness in Palestine Folklore. (Journal of the Palestine Oriental Society.)

— — Modern Palestinian Beliefs and Practices relating to God, Jerusalem, Syrian Orphanage Press, 1934.

— — The Child in Palestinian Arab Superstitions (Journal of the Palestine Oriental Society.)

— — The Folklore of Palestine, Jerusalem, The Palestine Oriental Society.

— — Unwritten Laws Affecting the Arab Woman of Palestine, Jerusalem.

Curtiss, Samuel I. : Ursemitische Riligion in volksleben des heutigen Orients, Leipzig 1903.

Ducousso, Gaston : L'industrie de la soie en Syrie et Liban, Imprimerie Catholique, Beirut, 1913

Fegali, Michel T., La famille catholique au Liban, Revue d'Ethnographie, vol. VI.

— — Contes, légendes, coutumes populaires du Liban et de Syrie, Paris, Adrien-maisonneuve, 1935.

Frazer, *Sir* James G. : Folklore in the Old Testament, New York, Macmillan, 1923.

Funk and Wagnalls : Standard Dictionary of Mythology and Legend, New York, Funk, 1949 - 50.

Granqvist, Hilma N. : Marriage Conditions in a Palestinian village, part I 1931, part II 1935, Helsingfors (Finland.)

— — Birth and Childhood among the Arabs, Helsingfors, 1947.

— — Child Problems among the arabs, Helsingfors, 1950.

Gulick, John : Social Structure and Culture Change in a Lebanese Village, N. Y. Wenner — gren Foundation, 1955.

— — The Lebanese Village, American Anthropologist, vol. 55, no. 3.

Latron, André : La vie rurale en Syrie et au Liban ; Beirut, Impr. Catholique, 1936.

Lewis, N. N. : Lebanon, the Mountain and its Terraces ; Geographical Review, vol. 43, no. 1.

Sāfi, M. : Mariage au nord du Liban ; Anthropos, vols. 12, 13.

Shemāli, B. Moeurs et usages au Liban, Anthropos vol. IV (1909)

— — Naissance et premier âge au Liban, Anthropos vol. V (1910)

— — Mariage et noce au Liban, Anthropos vols. X, XI (1916)

Seligman, B. Z. Studies in Semitic Kinship ; Bulletin of the, School of Oriental Studies, vol. 3, part 1.

Tannous, Afif I. : The Arab Village Community of the Middle East ; Washington, Government Printing Office, 1944.

Thoumin, Richard L.: Geographie humaine de la Syrie centrale, Paris, 1936.

Winkler, H. A.: Siegel und Charactere in der muhammedanischen Zauberei, Berlin, Gruyter, 1930.

Zwemer, Samuel M.: Studies in Popular Islam, London, Sheldon Press, 1939.

فهرس

(الارقام تشير الى الصفحات)

حرف الهمزة

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

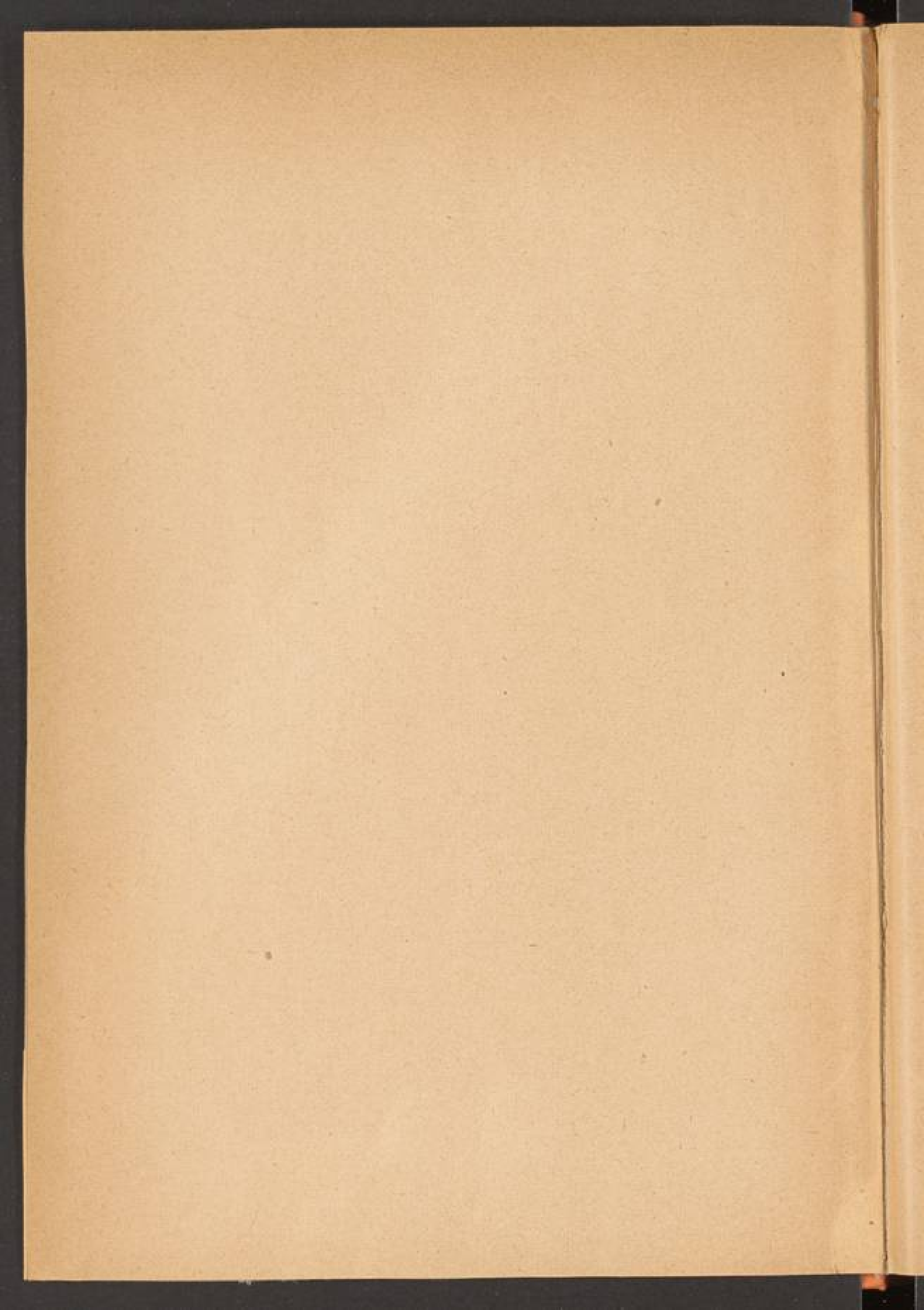
حرف الواو

حرف الياء

محتويات الكتاب

مطابع «الكريم» — جونيه

١٩٥٧



back

S

